

حسین علیہ السلام

۱۲۸۳

بسم الله الرحمن الرحيم
الى سيادة الاساتذة الكرام
معلمي الجويني اهل بيتك
صلى الله عليه وسلم
معلمي قرائة القرآن
١٤٢١ هـ

اهداءات ٢٠٠٢

أد/مصطفى الصاوي الجويني

الاسكندرية

حُسنُ الأسوة

بِمَثَابِئِ مَنْ نَزَّلَهُ وَرَسُولُهُ فِي النَّبِيِّ

تأليف

السيد محمد صديق حسن خان

١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ

١٨٣٢ - ١٨٨٩ م

الكتاب الأول

تحقيق

الدكتورة هدى محمود قرعة

مطبعة المكنى

المؤسسة السعودية بدمر

٦٨ شارع الحبسية - القاهرة ت ٨٣٧٨٥١

الكتاب الأول

فيما نزل في النسوة
من آيات الكتاب العزيز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ، وبالكتاب المبين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد .

فقد كانت الثقافة طيبة من عالم عتق من المحدثين هو « السيد محمد صديق نخسرخان » أن يفرد كتاباً من مكتبته الثقافية الدينية للنساء ؛ أسماء « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة » .

وقد انتصح المؤلف كتابه بخطبة الكتاب التي دوج المؤلفون على البدء بها ، تلاها بمقدمة بين فيها أسباب تأليفه لكتاب ؛ وأوضح منهجه في التأليف ، وذكر فيما بعضاً من الكتب التي اعتمد عليها ، وينقسم الكتاب إلى :

– الكتاب الأول : فيما نزل في النسوة من آيات الكتاب العزيز .

– الكتاب الثاني : فيما ورد بالنسوة من أحاديث السنة المطهرة .

– تعقبها خاتمة في بيان أن الانثى تخالف الرجل في أحكام .

أ – الكتاب الأول : في آيات الكتاب العزيز . ترى المؤلف في هذا القسم قد جمع فأحصى ، ووعى فأثبت ؛ فلم يترك آية ورد فيها ذكر النساء : صراحة ، أو إقادة ،

أو كناية ، إلا أثبتنا ؛ وجاء بهما مرتبة حسب ورودها في سورها ؛ حسب ترتيب
المصحف .

وقد قسم هذا الجزء إلى أربعة وتسعين ومائة باب ؛ وضع لكل منها عنواناً
مناسباً .

وفي الكتاب ما ينظم حياة المرأة ؛ الدينية ، والمالية ، والاجتماعية ؛ أمّا ، واختاً ،
وزوجة ، وابنة ؛ فالمرأة شريكة الرجل وقسيمه في كل شئون الحياة منذ
بدء الخليقة :

فمذ أن خلق الله آدم وحواء من نفس واحدة ؛ ابتدأت بينهما شركة الحياة
التي سنها الله لهما بقوله : ﴿ يَأْدَمُ أَشْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . [البقرة : ٢٠]

للتكليف لآدم وحواء بالسكن واحد ، والأمر بالمعيشة لهما واحد ، ونهيهما
عن المحرمات واحد ؛ وقد جاء للمصيان منهما واحداً ، فخالفاً أمر الله معاً ؛ لذا كان
الجزاء لهما واحداً ؛ وهو طردهما من الجنة ، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض .

وكان هذا أول إرهاب للبشرية بأن المرأة شريكة الرجل في التكليف ، وفي
العبادات ، وفي الحياة الاجتماعية ؛ وفي نيل الجزاء : إن مثوبة ، وإن عقوبة .

فمن الناحية الدينية : فرضت أركان الإسلام الخمسة على المرأة ؛ كما فرضت على
الرجل ، ونزلت الآيات تصف القائمين والقائمات بالعبادات ؛ للتمتعن والتبعات أوامر
الله عز وجل ؛ فقابل تعالى بين الرجال والنساء بقوله : ﴿ إِنَّ لِلنَّسَاءِ مِثْلَ مَا لِلرِّجَالِ وَهُنَّ عَلَى
وَلَوْ مِثْلُ نَفْسٍ وَوَلَوْ مِثْلُ نَفْسٍ وَالتَّائِبَاتِ وَالتَّائِبَاتِ وَالتَّائِبَاتِ وَالتَّائِبَاتِ
وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ
وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ . [الأحزاب : ٣٥]

وفي آيات الجزاء قال عز من قائل : ﴿ اُنۢى لَا اُصۡبِحُ عَمَلٍ حَامِلٍ
مِّنۡكُم مَّنۡ ذَكَرَ اَوْ اُنۢتۡى بَعۡضُكُم مِّنۡ بَعۡضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .
وقال : ﴿ وَعَدَ اللّٰهُ لِلۡزَوٰجِیۡنَ وَٱلۡزَوٰمِیۡنَ جَنَٰتٍ تَجۡرِیۡ مِنۡ تَحۡتِہَا
الۡاَنْهَارُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

الخلق واحد ، والعمل الصالح واحد ، والثواب واحد ، ولا بد أن يكون
العقاب أيضاً واحداً : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوا۟ اَیۡدِیۡہُمَا جَزَآءً بِمَا
كَسَبَا نَكَآلاً مِّنۡ اللّٰهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] .

وكذلك جميع ما جاء في آيات الحدود ؛ يقع الجزاء على الرجل والمرأة على
حد سواء .

وقد جاء في الكتاب كثير من الآيات لينظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد
الأسرة ؛ لما جاء لينظم ما بين الآباء والأبناء : ﴿ وَوَصَّیۡنَا ٱلۡإِنۡسَٰنَ بِوَالِدَیۡہِ
حَسَنَةً ۖ اُمُّہٗ وَهَنَآ عَلَیۡ وَہَنٍ وَفِصَالُہٗ فِی سَآمِیۡنَ ﴾ [النسان : ١٤] .

وما جاء لا يجب أن تكون عليه العلاقة بين الأزواج : ﴿ وَمِنۡ اٰیٰتِہٖ
اَنۡ خَلَقَ لَکُم مِّنۡ اَنۡفُسِکُمۡ اَزۡوَاجًا لِّتَسۡکُنُوۡا اِلَیۡہَا وَجَعَلَ بَیۡنَکُمۡ
مَّوَدَّةً وَرَحَمَةً ﴾ [الروم : ٢١] وقوله : ﴿ وَلَہُنَّ مِثۡلُ الَّذِیۡ حَلٰیہُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ . [البقرة : ٢٢٨]

وفي آيات الكتاب ما يبيح للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة ؛ ولكن
إذا خاف من نفسه الجور ، وعدم القدرة على العدل ؛ فلنكن واحدة .

وقد ورد في الكتاب أيضاً كثير من الآيات تضع القيود على الأزواج ؛
ليترابطوا حق لا يقع أبغض الحلال إلى الله .

ومن الناحية المادية : جاء في الكتاب كثير من الآيات يضمن للمرأة حقوقها

فقد أمر الله تعالى أن يؤدي إلى المرأة صداقتها : قليلة ، وكثيره : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] .

ونهى الأزواج عن استردادها : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ . [النساء : ٢٠]
بل لقد وردت الآيات في الكتاب تنظم للمرأة أحوالها المعيشية إذا لم توفق في حياتها الزوجية ؛ وتحم وتويع الطلاق : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

ولها النفقة ، ولها السكن ، بل لها أجر إرضاع وليدها : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِعَوضِهِنَّ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَلَالٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَبْنِيَنَّ حُلُومَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] .

ووردت في الكتاب آيات اللوارث تعطى المرأة حقوقها : ابنة ؛ فبينت أن لها سهماً في والدها وأقربائها : ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء : ٧]

وحددت نسبة هذا الإرث : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى ﴾ [النساء : ١١]

وحددت الآيات ميراث المرأة زوجة : ﴿ وَلَهُنَّ الرِّبْحُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ ﴾ . [النساء : ١٢]

وحددت أيضاً نصيب المرأة أماً : ﴿ فَلَأُمُّهُ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ ﴾ . [النساء : ١١]

وجاء في الكتاب كثير من الآيات المشرعة للأحكام ؛ يدل دلالة واضحة على أن الإسلام كان حقيقياً بالمرأة المؤمنة ؛ فإن الله تعالى قدرته ليستجيب إلى شكايه امرأة من فوق سبع سموات فينزل فيها آياته ، وفيها حكم كفارة الظهار : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ نَحْوَ رُكْنَيْهَا ﴾ [المجادلة : ١] .

وقد وردت في الكتاب أيضاً آيات التي ضرب الله فيها مثلاً بالنساء السابقات : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ . [النحر : ١١]

وضرب مثلاً بجرم ؛ التي اسطفاها الله وطهرها وصدقت بكلمات ربها وكتبه . وكما ضرب الأمثال بنساء صالحات قاتلات عابدات ضرب الأمثال بغيرهن : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ تُوْحِمُ وَامْرَأَةٌ كُوفٍ كَانَتْا تَهْتَمُ هُبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَضَلْتَاهُمَا ﴾ [النحر : ١٠] .

هكذا وردت في الكتاب : آيات الاسوة الحسنة للنساء ترغيها ، والاسوة العينة للنساء ترهيباً ، وعلى المرأة المؤمنة أن تميز الحبيب من الطيب ، وتختار الاسوة الحسنة فتلتبها .

وكما وردت في الكتاب آيات ، تسكرم المرأة ، وتمزها ، وتولى من شأنها ، وترفع من قدرها ، وتنظم لها احوالها ؛ وردت أيضاً آيات : تنس للمرأة منهجاً إسلامياً عليها أن تتبها : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَغْضَظْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١]

﴿ يُدْنِينَ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

وبعد فقد كان مؤلف الكتاب موقفاً في الكتاب الأول إذ استقصى جميع الآيات التي نزلت في النساء ؛ فأثبتها وفسرها وبين ما فيها من أحكام . وقد استشهد عليها بالحديث في هذا الجزء ، كما استشهد بآيات من سور آخر .

ب - الكتاب الثاني : فيما ورد بالنسوة من أحاديث السنة المطهرة ، نرى مؤلف الكتاب وهو صاحب العقلية للنهجية للفهم لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ، يورد في هذا الجزء ما جاء من أحاديث في النسوة ؛ ذاكر أرواياتها ، ناسباً كل رواية إلى : راويها ، أو روايتها ، أو روايتها ، مفسراً ما غمض من معانيها ، وكثيراً ما يبين مناسبة الحديث ، ودائماً ما يذكر من خرج الأحاديث ، وقد ربط بين الأحاديث والآيات مستشهداً بها .

وقد قسم المؤلف هذا الجزء إلى ثمانين وأربعمائة باب ؛ وضع لها العناوين المناسبة وذكر ص ٦٩٤ أنه قد لخص ما سبق من كتاب « تيسير الوصول » ، وأنه سيبدأ بعد هذا بما في « الترغيب والترهيب » من الأحاديث المتعلقة بالنساء ؛ فلي هذا يكون قد لخص من كتاب تيسير الوصول اثني عشر وأربعمائة باب ، ويكون ملخصه من كتاب الترغيب والترهيب ثمانية وستين باباً .

وقد دعاني هذا وما ورد ص ٤ من قوله : « والأخبار على ترتيب : تيسير الوصول ، والترغيب والترهيب » إلى أن أوثق أحاديث أبواب الكتاب بأن أرجعها إلى مصدريها ، وأن أقابلها بما ورد في الكتابين ، وأثبت ما يبين من اختلاف ؛ وفي مواضع نادرة أثبت أحاديث من غير مصدرها الذي ذكره لعدم الاستدلال عليها .

وبعد ؛ فلما كانت السنة المطهرة هي المصدر الثاني الذي يستقي منه المسلمون أمور دينهم ودينامهم بعد القرآن ، ولما كانت هي التي تفصل بيان ما أجل ؛ لذا كان المؤلف موقفاً في قسميه ، إذ أتى بالجميل في الكتاب الأول ، وأردفه بالفصل في الكتاب الثاني .

وقياساً على استقصائه لما ذكر عن النساء ؛ في آيات الكتاب العزيز ؛ في الكتاب

الأول ؛ يكون استقصاؤه لما ذكر عن النساء في أحاديث الرسول في الكتاب الثاني .

وإتماماً للفائدة الرجوة من كتابه هذا ، أورد بعد ذلك خاتمة في بيان أن الأئمة مخالف للرجل في أحكام ، لحص فيها أهم ما بينهما من اختلاف ، وأورد بعض الآراء الآخرين وناقشها ، وعقب عليها .

ولا أقول : إن هذا الكتاب الفريد في موضوعه وتقسيمه خاص بالمرأة المسلمة ، ولكني أقول : إنه منهج تعليمي إسلامي لا غنى عنه لكل أسرة مسلمة .

وقد اعتمدت في تحقيق لهذا الكتاب على نسخة طبعت في حياة المؤلف عام ١٣٠٩ هـ مطبوعة الجوائب بالقسطنطينية فانخذتها أصلاً ، وقد كان منهج المؤلف في الكتاب الأول أن يأتي بالجزء من الآية ، ويشرحه ، ويمقب عليه فأكثر ، أن أورد الآية ، أو الآيات ، أو ما سيشرحه مجملًا ، وأصدر به للباب حتى يكون أمام عيني القارئ والقارئة قبل أن يبدأ في تتبع الباب .

وقد وضعت للكتاب الأول :

١ - فهرساً تفصيلياً ؛ أثبت فيه أبواب الكتاب ؛ كما أوردتها المؤلف ، وذكرت فيه أهم النقاط الفرعية التي اشتمل عليها الباب .

٢ - فهرساً للآيات المستشهد بها ، وقد رتبها مجتمعة في سورها ؛ حسب ترتيب المصحف .

٣ - فهرساً للأحاديث المستشهد بها ، وقد رتبته هجائياً ، حسب موضع الاستشهاد .

ووضعت للكتاب الثاني :

١ - فهرساً تفصيلياً ؛ أثبت فيه أبواب الكتاب ؛ كما أوردتها المؤلف ، وذكرت فيه أسماء رواة الأحاديث ؛ فإن كان لمن روى أكثر من رواية في الباب ، وضمت بعد الاسم رقماً يدل على عدد رواياته .

٢ - فهرساً للآيات المستشهد بها ، وقد وثبتها مجتمعة في سورها ؛ حسب ترتيب المصحف

وقد قدر لهذا الكتاب من التوفيق :

— أن يكون قد مر قرن من الزمان منذ أن طبع لأول مرة بمطبعة الجواب بالقسطنطينية عام ١٣٠١ هـ .

— أن يكون هو الكتاب الرابع من مكتبة السيد محمد صديق حسن خان الإسلامية الذي يطبع بمطبعة للديني ؛ فقد سبق أن طبع له :

١ - كتاب الدين الخالص ، تحقيق : الشيخ محمد الزهري النجار ؛ طبع عام ١٣٧٩ هـ ؛ ويقع في أربعة أجزاء .

٢ - كتاب الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة طبع الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ . بتحقيق : الشيخ علي السيد صبح المديني ، وطبع الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ ؛ بتحقيق : الأستاذ إبراهيم يحيى أحمد ؛ ويقع في جزء واحد .

٣ - كتاب نيل اللرام من تفسير آيات الأحكام طبع عام ١٣٩٩ هـ ؛ بتحقيق : الشيخ علي السيد صبح المديني ويقع في جزء واحد طبعة ثانية .

والمؤلف وإن كان قد قسم كتاب « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة » إلى : الكتاب الأول فيما نزل في النسوة من آيات الكتاب العزيز ، والكتاب الثاني فيما ورد بالنسوة من أحاديث السنة المطهرة ؛ إلا أن الطبعة التي صدرت في حياته والتي ارتضاها ؛ قد وقع فيها الكتاب في جزء واحد . وقد اقتضى تسليق الكتاب ، والإخراج الطباعي له ؛ أن يقع في جزئين .

وبعد

فإن أكن وقت بفضل الله ومَنِّهِ ،

وإن تكن الأخرى فليس على من اجتهد من سبيل ،

وما توفيق إلا بالله .

القاهرة : { يناير سنة ١٩٨١ م
ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ } . هدى محمود قراة

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه : محمد صديق حسن خان بن علي بن لطف الله الحسيني ؛ يتصل نسبه
بالشهيد حسين ، ويتصل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

لقبه وكنيته : كان يلقب « القنوجي » نسبة إلى بلدة « قنوج » ، وكان يلقب
« البخاري » نسبة إلى بلدة « بخاري » ، وكان يلقب « نواب
على الجاه أمير الملك بهادر » ، وكان يكنى « أبي الطيب » .

مولده ونشأته : ولد سنة ١٢٤٨ للهجرة ببدة « بريلي » ؛ ونشأ في بلدة « قنوج » ؛
وهي من أعظم بلاد الهند .

رحلته العلمية : ارتحل في سبيل العلم تاركاً بلده « قنوج » إلى « دهل » قاعدة
المملكة الهندية ؛ ليتم تعليمه فيها ، واجتهد في إتقان علوم القرآن
والسنة ، وتدوين علومهما ، ثم عاد بعد ذلك إلى « قنوج » ،
ثم مالبت أن سافر إلى « بهوبال » واستقر بها .

شيوخه : أخذ عن الشيخ الملقب محمد صدد الدين خان تلميذ الشيخ ولي
الدين المحدث الدهلوي ، وأجازه إجازة تامة للعلوم كلها ؛ عقلها
ونقلها ، وأخذ عن الشيخ عبد الحق بن فضل الهندي المجاز من
الإمام الشوكاني ، كما أخذ عن آخرين ممن أخذوا عن الإمام
الشوكاني .

مكتبته الثقافية : قرأ كثيراً وكتب كثيراً ، وكما يقول في ترجمته نفسه نقلاً عن
مؤلفه « التاج المكمال » : « كنت كثير الاشتغال بمطالعة الكتب

وكتابة الصحف . . . وألفت في زمان الطلب وسائل ومساائل ،
وحررت تراجم كثيرة لكتب الدين باللسانين ، وأول ما
صنفت . . . ثم تابعت للتوليف وبلغت حال تحرير هذا الكتاب
تسعة وخمسين مؤلفاً .

وقد عقب محقق «كتاب التاج السكالي» في هامش الترجمة بقوله :
« حسب ما ذكر أن جميع مؤلفاته عددها ٢٠٤ ، منها العربية :
٥٤ ، الفارسية ٤٢ ، الأردنية ١٠٧ وتأليفه أكثر مما ذكر » .

وفي ترجمته نفسه ذكر أيضاً أن كتبه : « قد سارت بها الركبان
في حياتي إلى أقصى المدائن والبلدان ، وقرظها أصحاب الحديث
والقرآن ، والأدب والبيان . . . وأنها انتشرت في بلاد الهند
وبهوبال ومصر وقسطنطينية وبلاد الحجاز واليمن وتونس
ولبنان والقدس والجزائر وبلنار وقازان وجميع بلاد الترك
وفارس » .

وهكذا نرى أن السيد محمد صديق خان قد أئتمى المكتبة العربية
والإسلامية بالمديد من مؤلفاته . وقد اشتد إقبال الناس على
هذه الثروة الفكرية التي انتشرت بين مشارق الأرض ومغاربها ؛
فأعيد طبع بعضها أكثر من مرة .

وفاته : وبعد رحلاته العديدة في سبيل العلم ، وحياته الحافلة بالدرس
والتحصيل . والتي كان من نتائجها هذه الحصيللة الوافرة من
المؤلفات ؛ توفي سنة ١٣٠٧ هـ . عن ٥٩ عاماً . رحمه الله
رحمة واسعة .



حَسْبُكَ الْإِسْلَامُ

بِمَا نَبَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ وَسُؤْلَهُ فِي النَّبِيِّ

مطبعة المَدَنِي
١٨ شارع العاصمة - القاهرة الجديدة - القاهرة
مينا ٢٠٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ،
 واهللاً والسلام على سيد رسله وخاتم أنبيائه من أنزل عليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا كَلِمَةً فَيُنَاسِ بِشِيرَاءٍ وَنَذِيرًا ﴾ (١) وعلى آله وصحبه ورحمة علومه الذين جاهدوا
 في الله ووجهه وبالله جهاداً كبيراً . وبعد : فهذا كتاب وسط في جمع آيات بينات نزلت
 في أمور النساء وشئونهن ، وأحاديث طليات وردت في أطوارهن وفنونهن ، أخذتها
 من الكتاب المميز استقراء وزدت عليها تفسير بعضها من « فتح البيان » (٢) وهو
 الكتاب الأول من هذا المسطور ، ثم أتيتها أحاديث من الصحاح ، والسنن ،
 وموطأ مالك ، وكتاب رزين ، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذرى ، رضى الله
 عنهم ، وهو الكتاب الثانى من هذا اللزير (٣) ، وذكرت في خاتمة هذا الكتاب
 ما تخصصت به النساء من دون الرجال ، وتميزت به منهم في مراتب الإجمال والإعمال ،
 فقام هذا السفر بحمده تعالى جامعاً لاشتات هذه الأبواب على نسق لم يسبق إليه ،

(١) سبأ : ٢٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، من كتب المؤلف ، وهو مطبوع في عشرة أجزاء .

(٣) للزير : المکتوب ، اسم مفعول من زير أى : كتب

ومنوال لم ينسج أحد عليه ، دعنى إلى تأليفه صاحبى وعيى^(١) ، فى حضرتى .
وعينى ، تاج الهند « نواب شاهجهان بيكم » ، حفظها الله وسلم ، وهى من
اللاتى ملكن ناصية الحكومة والولاية فى مملكة جهولال الهمة ، منذ سنة ١١٢٠
الهجرية . وإنما حملها على اقتراح ذلك على أنها لما تلت القرآن الكريم مع ترجمته
بلسانها ، وقرأت بعض كتب الحديث « كشكاة المصابيح » وأتقنت لسانها ، سألتنى
أن أفرد لها ما نزل وورد فيها من نصوص الكتاب والسنة ، بحيث لا يترك ذلك من
ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فهضت لذلك الخطب الخطير ، والأمر الكبير
وانتدبت إليه ياتيان ماتيسر عجالة وضبطته فى سلاسل التحرير ، رجاء أن ينفع الله
تعالى به عصابة^(٢) النسوة ، ويوقنهن له بالقدوة والأسوة ، وطفى أنك لا نجد
مجموعاً على هذا الشكل أبداً ، لأنه ما من شيء له أيسر علاقة ، وأدنى ملازمة بين
وهو فى آية أو حديث إلا أوردته فى هذا الكتاب بعد حذف المكررات إلا ما شاء
الله تعالى ، وسردت الآيات على ترتيب المصحف الشريف ، والأخبار على ترتيب
« تيسير الوصول »^(٣) و « الترغيب والترهيب »^(٤) ، وزدت فى مطاوي مخاويرها
شرح بعض غريبها وضبط مشكلها وفقها وتفسير صوابها على ما اختاره جماعة السنية
المطهرة قديماً وحديثاً وسميته : (حسن الأسوة ، بما ثبت من الله ورسوله فى
النسوة) والله الحمد فى كل حال وعلى كل شأن ، وبه التوفيق وهو المستعان .

(١) عيني : يريد هنا زوجته .

(٢) أى : جماعة النسوة .

(٣) هو كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ، ومؤلفه عبدالرحمن
ابن علي المعروف بابن الفريح الشيباني الزبيدي الثاني المتوفى ٩٤٤ هـ .

(٤) هو كتاب الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ومؤلفه ، أبو محمد زكى الدين
عبد العظيم بن عبد القوي المنفري ، المتوفى ٦٥٦ هـ ، وقد ذكر المؤلف السيد صديق خان فى
نهاية الباب الثانى عشر بعد الأربعين من الكتاب الثانى من مؤلفه : أن ماسبق من أحاديث .
قيل هذا الباب قد نلصقه من كتاب تيسير الوصول ، وأنه سيبدأ به ذلك بما فى الترغيب
والترهيب . وقد دعانى هذا إلى أن أرجع أحاديث الكتاب إلى مواضعها من هذين الكتابين .

مقدمة [المؤلف]

لا يخفى عليك أن النساء نصف هذه الأمة ، بل أكثرها ، وهن شقائق الرجال في جميع ماورد من الشريعة الحقة إلا أشياء خصهن الله تعالى ورسوله بها من دون الرجال ، وقد تفضل عليهن كما تفضل عليهم بأنواع من الإفضال ، فلهن ما لهم وعليهن ما عليهم في جملة الشرائع والأحكام ، وهى أبواب كثيرة طيبة جداً لا يتسع ذكرها للمقام ، كيف وما من خصال حسنة نزل بها القرآن والحديث إلا وهى مطلوب منهن فضلها ، وما من عيب سيئة نطق بها الكتاب والسنة إلا وهى مقصود منهن تركها ، لكننى خصصت هذا الكتاب ببيان ماورد في ذكرهن على الخصوص ، وهذا شطر علم من علوم الدين ، وشطره الباقي مشترك بينهم وبينهن باليقين ، وكم من تفاسير للآيات البينات ، وروايات الأحاديث والدرایات ، جاءتنا من قبل نساء الأنصار والمهاجرات . حتى قيل إن نصف هذا العلم نقل إلينا من عالمتهن عائشة الصديقة رضى الله عنها ، وكانت أعلمهن بأيام الله ، وأشعار العرب ، وأسباب نزول الآى ، وأرواهن لأحاديثه صلى الله عليه وسلم في أبواب كثيرة من الشرائع ، وكان لها قوة الاجتهاد في علوم اللغة الصائفة ، فمن أتاح الله له علم هذا الكتاب ، وكان قد وزق سائر المشترك بينهما من قبل ، فقد فاز بالقدح الملى في مجالس أولى العلم

والآلآب ، وإليك أن تمر بما في هذا السفر من نفائس الأخيار والآثار ، وعلمن آيات الله الواحد القهار ، على غفلة منك غير مبال بها ، بل عليك أن تستفيد بآلك الدلائل ، وتستفيض بآلك الخايل ، وتشيها فبين ، وتعلمن على تعلمه وتعلمه لنغيرهن ما استطعن ، فإن الله شاكر لمن شكر ، ذا كر لمن ذكر ، غافر لمن تاب وأناب إليه واستغفر ، والسعيد من وعظ بغيره ، وتعلمي بسلام كل أمر مئهن شوره وخيره ، وإذا عسر عليك فهم شيء من مباني الآي والسنن وممانها ، فارجع إلى تهاسر الكتاب المعتمد عليها في هذا الباب ، وشروح كتب الصحاح والسنن من جملة من أهل الآلآب كفتح البيان ، وفتح البارى ، والروضة الندية ، والنيل والسيل ، وأخوتها ، فإن فيها ما يرشدك إلى الحق الحقيق بالقبول والاتباع ، وبينك عن الميل إلى كتب الفروع التي لفقها أهل الرأى وأرباب الابتداع ، ولولم أكن في شغل شاغل ، وفكر هائل ، لآتيتك بذلك كله ، ونبأتك بكثره وقله ، وحيث أن آيات الكتاب متصفة بالبينات ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم موصوفة بأن ليها كنهار في الوضوح واللمعات ، لا يحتاج العالم بهما وعارفهما إلى غيرها في هذه الشرائع والآبواب إن شاء الله تعالى ، فهذا الكتاب مع اختصاره واقتصاره ، في جمع آياته وآثاره ، بين لا يتقنع ، وجلي لا يتبرقع ، وفيه كفاية ومقنع ، وبلاغ لمن له هداية ، فاصبر عليه صبراً جميلاً ، فغير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ومن أصدق من الله ورسوله قىلاً ، وبأى حديث بعده يؤمنون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون .

الكتاب الأول
في آيات الكتاب العزيز

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

١ - باب منازل في إسكان الأيوين آدم وحواء في الجنة

وإزال الشيطان لهما عنها

﴿... يَتَقَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...﴾ [٣٦ - ٣٥]

● قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أى : اتخذ الجنة مأوى ومزلا ، وهو محل السكون ، « والزوج » : وهى حواء باللد ، والزوج فى اللغة الصبيحة بشير « هاء » ، وقد جاء « بهاء » قليلا ، كما فى صحيح مسلم قال : « يفلان هذه زوجتى فلانة » (١) . . . الحديث « وكان خلق حواء من ضلعه اليسرى ، فلذا كان كل إنسان ناقصاً ضلعاً من الجانب الأيسر ، فجاء اليمين أضلاعها ثمانى عشرة وجهة اليسار أضلاعها سبع عشرة . وقصة خلقها مبسطة فى كتب السنة .

والتخلفوا فى الجنة الى أمر آدم وزوجه بسكنها ، وقيل : إنها كانت فى الأرض ، وقيل : هى دار الجزاء والثواب . وقد استوعب العلامة ابن القيم فى كتابه « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » أدلة الفريقين ، ولكل وجهة هو موليها ، وصح بعضهم القول الأول ، ومنهم من صح القول الثانى ، وقيل : كلاهما ممكن ، فلا وجه للتقطع ، والأولى الوقف . والله تعالى أعلم .

● وقال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أى : استزل آدم وحواء ﴿ الشيطان عنها ﴾ أى : الجنة ودعاهما إلى الزلة وهى الخطيئة ، وقيل نهماها . قيل : إنه كان ذلك بمشاهدة منه لهما ،

(١) تهذيب الوصول ٢ : ٢٨ وفيه : « ... وقال هذه زوجتى » عن مسلم

وإليه ذهب الجمهور ، مستدلين بقوله تعالى : « وَقَامَهُمَا إِلَىٰ لَكُمَا لَعْنِ النَّاصِحِينَ »^(١) ، وللقاسمة ظاهرها الشافعية ، وقيل يصدر منه إلا مجرد الوسوسة ، والمفاعلة ليست على بابها بل للبيان ، وقيل غير ذلك ﴿ فَأَخْرَجَهَا مَعَا كَانَا فِيهِ ۖ أَيْ : خَرَجَهَا مَعَهَا كَانَا فِيهِ ۖ ﴾ ، وعلى هذا حرفها عما كانا عليه من الطاعة إلى العصية وقيل الضمير إلى الجنة ، وعلى هذا فالفعل مضمّن معنى أبعدهما ، وإنما نسب ذلك إلى الشيطان لأنه هو الذى تولى إغراء آدم حتى أكل من الشجرة .

● وبالجملة فهبط آدم على « سرنديب » من أرض الهند على جبل يقال له نود ، وأهبطت حواء على جذة وهما أصل هذا النوع الإنساق . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس » . أخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه (٢) . وعنه : « ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى أهبط من الجنة » . وعن الحسن قال : « لبث آدم في الجنة ساعة نهار ، وتلك الساعة مائة وثلاثون سنة من أيام الدنيا » . وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لولا حواء لم تخن أئني زوجها » أخرجه البخارى والحاكم (٣) . وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حكايات في صفة هبوط آدم وزوجه من الجنة ، وما أهبط معهما ، وما صنعا عند وصولهما إلى الأرض ، فلا حاجة لنا ببسط جميع ذلك في هذا الكتاب ، وذكر طرقاتها ابن القيم فى « الحادى » أخرجه .

* * *

(١) قاسمها : أى أقسم لها إله من الناصحين لها . والآية رقم ٢١ من سورة الأعراف

(٢) المستدرك للحاكم ٢ : ٥٤٢ .

(٣) تيسير الوصول ٣ : ٢١٢ . وفيه « لم تخن أئني زوجها أوفر » أخرجه الشافعي ، وفيه : « وخيانة حواء لآدم هى ترك النصيحة له فى أكل الشجرة لا فى غيرها » .

٢ - باب ما نزل في ذبح الأبناء واستحياء النساء

﴿ يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [٤٩]

● قال تعالى : ﴿ يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ﴾ . « الذبح » في الأصل : الشق ؛ وهو فرى أو داج للذبح . وهل « نساء » جمع نسوة أو جمع امرأة ؟ من حيث المعنى قولان : والراد : يتركون نساءكم أحياء ليستخدموهن ويمتنهوهن ، عبر عن البنات باسم النساء لأنه جنس يصدق عليهن ، ولا يخفى ما في قتل الأبناء واستحياء البنات للخدمة ونحوها من إزال الـقل بهم وإلصاق الإهانة الشديدة بجميعهم ، لما في ذلك من المار ، ويشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ .

٣ - باب ما نزل في الإحسان إلى الوالدين

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . ﴾ [٨٣]

● قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ قال مكي : هذا الميثاق أخذه الله عليهم في حياتهم على ألسن أنبيائهم ، وبالجملة . خبر بمعنى التهي ، وهو أبلغ من صريح النهي ؛ لما فيه من الاعتناء بشأن التهي عنه .

وَمَا كَدَّ طَلِبَ امْتِثَالِهِ حَتَّى كَانَهُ امْتِثَالُ وَآخِرِ عَنْهُ .

- عبادة الله : إثبات توحيده ، وتصديق رسله ، والعمل بما أنزل الله في كتبه .
- والمراد بالإحسان : معاشره الأيوين بالمعروف ، والتواضع لهما ، وامتثال أمرهما ، وسائر ما أوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق ، ومنه البر بهما ، والرحمة لهما ، والآنزل عند أمرهما بما لا يخالف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ، ولا يؤذيهما وإن كانا كافرين ، وأن يدعوها إلى الإيمان بالرفق واللين ، وكذا . وإن كانا فاسقين بأمرهما بالمعروف من غير عنف ولا يقول لهما : « أف » .

٤ - باب ما نزل في ابن مريم عليهما السلام

{ . . . وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ { ٨٧ } }

- قال تعالى : { وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ } أى : الدلالات الواضحات المذكورة في سورة آل عمران والمائدة (١) ، وقيل : هى الإنجيل . واسم « عيسى » بالسرانية : « يسوع » . « ومريم » : بمعنى الخادم ، وقيل : هو اسم علم لها ؛ كزيد من الرجال .

٥ - باب ما نزل في التفريق بين المرء وزوجه

{ . . . فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } [١٠٢]

(١) آل عمران : ٤٩ ، المائدة : ١٠٢

● قال تعالى : ﴿فَيَتَمَلَّوْنَ مِنْهَا﴾ أى : من الملوكين ، ﴿مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الرَّءِ
وَزَوْجِهِ﴾ أى : سحراً يكون سبباً فى التفريق بينهما ، كالثفت فى المقد ؛ ونحو ذلك
بما يحدث الله تعالى عنده البقضاء والخلاف بين الزوجين ؛ على حسب المادة الإلهية
من خلق المعبيات عقب الأسباب المادية ، ابتلاء من الله تعالى . وفى الآية دلالة
على أن للسحر تأثيراً فى نفسه ، وحقيقة ثابتة ، ولم يخالف فى ذلك إلا المعتزلة
وأبو حنيفة .

● ﴿وَمَا مِنْ بَضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يُلْقِنُ اللَّهُ وَيَتَمَلَّوْنَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾
يعنى : السحر ، لأنهم يقصدون به العمل ، أو لأن العلم ، يجرى إلى العمل غالباً ، قال
أبو السمودي فيه : « إن الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير ، كتملم الفلسفة التى
لا يؤمن أن تخرج إلى الفوابة » انتهى .

٦ - باب ما نزل فى قصاص الأثني

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ
بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ۚ﴾ [١٧٨]

● قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ استدلت بهذه الآية على أن القتل لا يقتل بالأثني ،
إلا إذا سلم أولياء المرأة الريادة على ديتها من دية الرجل ، وبه قال مالك والشافعي
وأحمد وإسحق والثوري وأبو ثور ، وذهب الجمهور إلى أنه يقتل الرجل بالمرأة
ولا زيادة ، وهو الحق ، وقد بسط الشوكاني رحمه الله البحث فى نيل الأوطار
فرأجسه^(١) .

(١) ٧ ، ١٦٢ وما بعدها .

٧ - منازل في وصية الوالدين

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ٠٠ ﴾ [١٨٠]

• قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ « الوصية » هنا عبارة عن : الأمر بالشئ بعد الموت ، وقد اتفق أهل العلم على وجوبها على من عليه دين ، أو عنده ودية أو نحوها . وأما من لم يكن كذلك ، فذهب أكثرهم إلى أنها غير واجبة عليه ، سواء كان فقيراً أو غنياً ، وقالت طائفة : « إنها واجبة » .

وذهبت جماعة إلى أن الآية محكمة ، وللراد بها من الوالدين من لا يرث كالأبوين الكافرين ، ومن هو في الرق . قال ابن النذر : أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الوصية لها جائزة . وقال كثير من أهل العلم : « إنها منسوخة بآية الموارث » . وقيل : « نسخ الوجوب وبقي الندب » .

٨ - باب ما نزل في حل الرقت إلى النساء ومباشرتهن

في ليالي الصوم

﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ مَنِ لَبَسَ لَكْرًا وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهْنٍ ٠ ٠ قَالَتَيْنِ يَشْرُوهُنَّ وَابْتِغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُنَّ فِي الْمَسْجِدِ ٠٠ ﴾ [١٨٧]

• قال تعالى : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (١) . « الرقت » :

(١) أسباب النزول : ٢٦-٢٧ ، وانظر الباب : ٢٤ من الكتاب الثاني من هذا الكتاب .

كتابه عن الجماع ، قال الزوجان : « هو كة جامعة لكل ما يريد الرجل من امراته » (١) .
وكذا قال الأنهرى ، وقيل : أصله الفحش ، وليس هو المراد هنا . وعدي « إلى »
لتضمنه معنى الإفضاء .

● ﴿ هن لباس لكم وأتم لباس لمن ﴾ جعل النساء لباساً للرجال ، والرجال
لباساً لمن لا متزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع ، كلامتزاز القدي يكون بين
الثوب ولا به ، قال أبو عبيدة وغيره : « يقال للمرأة لباس وفراش وإزار » (٢) وقيل :
« إنما جعل كل واحد منهما لباساً للآخر لأنه يستتره عند الجماع عن أعين الناس » ،
وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هن سكن لكم وأتم سكن لمن ، قيل : لا يسكن
شيء إلى شيء ككون أحد الزوجين إلى الآخر ، وقال : الدخول والتشفي والإفضاء
والباشرة والرفق واللمس والمس هي الجماع ، فإن الله حي كريم يكره بما شاء .

● وقال تعالى : ﴿ فالآن يا بشره من ﴾ أى : جامعون ، فهو حلال لكم فى
ليالى الصوم وسميت الجماع مباشرة ، لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه . ﴿ وابتغوا
ما كتب الله لكم ﴾ أى : ابتغوا بمباشرة نساءكم حصول ما هو معظم المقصود من
النكاح ، وهو حصول النسل والولد ، وقيل : ابتغوا ما كتب الله لكم من
الإماء والزوجات .

● وقال تعالى : ﴿ ولا تبشروهن وأتم عا كفون فى المساجد ﴾ قيل : المراد
الجماع ، وقيل : يشمل التقبيل واللمس ، إذا كانا بشهوة لا إذا كانا بشيها ، فهما
جائزان ، قاله عطاء والشافعى وابن المنذر وغيرهم .

٩ - باب ما نزل فى أجر النفقة للوالدين

﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ . . ﴾ [٢١٥]

(١) كتاب إعراب القرآن ومطايه : خ ٢٤٦ - جامعة الدول العربية لوجه ٥٢

(٢) مجاز القرآن ١ : ٦٧

● قال تعالى : ﴿ مَا آتَيْنَاهُم مِّنْ خَيْرٍ فَلَا يُدْرِكُهُمْ فِي الْمَوْتِ وَعَلَى الْوَالِدِ وَالْذِينَ الْأَقْرَبِينَ فِي وَجُودِهِ ﴾ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿ انْظُرْ إِلَى هَذَا التَّرْتِيبِ الْحَسَنِ الْمَجِيبِ فِي كَيْفِيَةِ الْإِتِّفَاقِ كَيْفَ فَصَّلَهُ !

١٠ - باب ما نزل في نكاح المشركات

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَيْنَّ حَتَّى يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ ۝ ٢٢١ ﴾ [٢٢١]

● قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ۚ أَى : لَا تَنْكِحُوا ، وَالرَّادِ بِالنِّكَاحِ الْمَقْدَلِ الْوَطْءِ . وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّهْيُ عَنْ نِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ ، قِيلَ : الْمُرَادُ بِهَا الْوَثَائِدُ ، وَقِيلَ : تَمَّ الْكِتَابَاتِ ، لَمَّا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ : حَرَّمَ اللَّهُ نِكَاحَ الْمُشْرِكَاتِ عَلَى السَّلَمِينَ ، وَلَا أَعْرِفُ شَيْئاً مِنَ الْإِسْرَافِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَقُولَ الْمَرْأَةُ : إِنْ دَخَلَ عَيْسَى ، أَوْ عِدَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ (١) .

قَالَتْ طَاهِيَّةُ : جَاءَتْ آيَةُ الْمَائِدَةِ خَفَضَتْ الْكِتَابَاتِ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ ، وَهُوَ الْقَوْلُ الرَّاسِخُ عَنْ مَقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ : نَزَلَتْ (٢) هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي مَرْثَدٍ الْفَنَوِيِّ وَكَانَ قَدْ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي « عَتَاقٍ » أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ؛ وَكَانَتْ ذَاتَ حِظٍّ مِنَ الْجَمَالِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ وَأَبُو مَرْثَدٍ مُّؤْمِنٌ مُّسْلِمٌ يُقَالُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهَا تَمَجِّنِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ . ۚ ﴾ الْآيَةُ . . أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ .

● ﴿ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ ﴾ أَى : دَقِيقَةُ مُؤْمِنَةٍ أَتَمَّ وَأَصْلَحَ وَأَفْضَلُ مِنْ حُرَّةٍ مُّشْرِكَةٍ ، وَاسْتِفَادَ مِنْهُ تَفْضِيلُ الْحُرَّةِ الْمُؤْمِنَةِ عَلَى الْحُرَّةِ الْمُشْرِكَةِ بِالْأَوَّلَى . قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : يَجِبُ التَّفْضِيلُ فِي كَلَامِهِمْ إِنْجَاباً لِلأَوَّلِ وَتَقِيّاً عَنِ الثَّانِي ، فَكُلُّ هَذَا

(١) الْبُخَارِيُّ ٧ : ٦٢ وَتَبَيَّنَ : « وَهُوَ عِدٌ ... »

(٢) أَسْبَابُ النُّزُولِ : ٢٩ ، وَفِي الْأَصْلِ مَقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ .

يلزم عدم الخير في الشركة مطلقاً. ﴿ولو أعجبكم﴾ أى : الشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو نسب أو شرف. قال السيوطى : وهذا مخصوص بنير الكتايات بآية : «وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الدِّينِ أَتَوَّابَاتٌ» .

● ﴿ولا تسكحوا المشركين﴾ أى : لا تزوجوا الكفار بالمؤمنات خطاب للأولياء .
﴿حتى يؤمنوا﴾ قال القرطبي : أجمعت الأمة على أن الشرك لا يطفى المؤمنين بوجه ، لما في ذلك من التضاضة على الإسلام .

● ﴿ولبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجب﴾ أى : بحسنة وجهه ونسبه وماله .

* * *

١١ - باب ما نزل في عدم قرب النساء حتى يطهرن

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢]

● قال تعالى ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ وهو اسم الحيض ، أى . الحدث . وأصل الكلمة من السيلان والانفجار . ﴿قل هو أذى﴾ أى : شئ يتأذى به . أى برأىته . والآذى كناية عن القدر ، أو عمله .

● ﴿فأعزلوا النساء في المحيض﴾ أى : اجتنبهن وأتركوا وطأهن في زمان الحيض . إن حمل الحيض على المصداق ، أو في عمل الحيض إن حمل على الاسم . والرداد منه ترك الحمامة لا ترك الجالسة أو اللابسة فإن ذلك جائز ، بل يجوز الاستمتاع بهن ما عدا الفرج ، أو ما دون الإزار على خلاف في ذلك ، ولا خلاف بين أهل العلم في تحريم وطء الحائض ، وهو معلوم من ضرورة الدين .

● ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿والطهر﴾ : انتطاق الحيض . «والطهر» : الاغتسال . وبسبب اختلاف القراء ، اختلف أهل

العلم ؛ فذهب الجمهور إلى منع الجماع حتى تنطهر' بللاء ، وقال آخرون : حلت لزوجه إذا وإن لم تنفسل . ورجح الطبري قراءة التشديد ، والأولى أن يقال : إن الله تعالى جعل للحل غایتین كما تقتضيه القراءتان : إحداهما انقطاع الدم ، والأخرى التطهر منه به ، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى ، فيجب المسير إليها ، وقد دل على أن الغاية الأخرى هي المعتبرة ؛ قوله سبحانه بعد ذلك ﴿ فإذا تطهروا ﴾ فإن ذلك يفيد أن المعتبر التطهر لا مجرد انقطاع الدم ، وقدقرر أن القراءتين بمنزلة الآيتين ، فكما أنه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة ، كذلك يجب الجمع بين القراءتين .

● ﴿ فأتواهن من حيث أمركم الله ﴾ أى : لجامعهن ، وكفى عنه بالإتيان ، والمراد أنهم يجامعونهن في المأوى الذى أباحه الله ، وهو القبل . قيل : من قبل الحلال لا من قبل الزنا .

● ﴿ إن الله يحب المتوابين ﴾ من إتيان النساء في أدبارهن ، أو في الحيض ..
﴿ ويحب للتطهرين ﴾ من الجنابة والأحداث ، والسموم أولى .

١٢ - باب ما نزل في موضع إتيان النساء

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [٢٢٣] .

● قال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ لفظ « الحراث » يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج الذى هو القبل . خاصة إذ هو مزدنع اللذية ، كما أن « الحرث » مزدنع الثبات ، فقد شبه ما يلقى في أرحامهن من النطف التى منها النسل بما يلقى في الأرض من البذور التى منها النبات ، يجمع أن كل واحد منهما مادة لما يحمل منه !!

● ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ أى : محل زرعكم واستنباتكم الولد وهو القبل ، وهذا على سبيل التشبيه ، جعل فرج المرأة كالأرض والتطفة كاليد ، والولاء كالزراع .
﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أى : من أى جهة شئتم ، من خلف وقدام وبأركه ومستلقية واضطجعة وقائمة وقاعنة . ومقبلة ومدبرة ، إذا كان في موضع الحرث ، وقد ذهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين إلى أن إتيان الزوجة في دبرها

حرام ، وروى عن مالك من طرق ما يقتضى إباحتها ذلك . وفى أسانيدنا ضعف ، وأخرج الشيخان وأهل السنن وغيرهم عن جابر^(١) قال : كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأة من خلفها فى قبلها ثم حملت جاء الولد أحول فزلت^(٢) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم^(٣) . أى : إن شاء عجيبة وإن شاء غير عجيبة بحيث يكون ذلك فى صمام واحد . وقد روى هذا عن جماعة من السلف ، وصرحوا أنه السبب . والصمام : السيل . وعن ابن عباس قال^(٤) : جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هلكت . قال : وما أهلكك ؟ قال : حولت رحلى الليلة . فلم يرد عليه شيئاً ، فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ . يقول : أقبل وأدبر واتق الدبر والحيفة . أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وجسنه والنسائى والضياء فى المختارة وغيرهم . وأخرج الشافعى فى الأم وابن أبي شيبة وأحمد والنبائى وابن ماجه وابن المنذر والبيهقى فى سننه من طريق خزيمة بن ثابت : أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء فى أدبارهن ، فقال : « حلال ، أو لا بأس ، فلما ولى دعاه فقال : كيف قلت ؟ أمن دبرها فى قبلها ؟ فتم . أم من دبرها فى دبرها ؟ فلا . إن الله لا يستحي من الحق ، لا تأتوا النساء فى أدبارهن » .

وقد ورد النهى عن ذلك من طرق ، وقد ثبت نحو ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين مرفوعاً وموقوفاً ، وقد روى القول بحمله عن بعضهم وليس فى أقوال هؤلاء حجة البتة ، ولا يجوز لأحد أن يميل بأقوالهم فإنهم لم يأتوا بدليل على الجواز . فمن زعم منهم أنه فهم ذلك من الآية فقد أخطأ فى فهمه ، فقد فسرنا لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه ، بخلاف ما قاله هذا المخطئ فى فهمه كائناً من كان ، وأينما كان ، ومن زعم منهم أن سبب نزول الآية أن رجلاً أتى امرأته فى دبرها فليس فى هذا ما يدل على أن الآية أحلت ذلك ، ومن زعم ذلك فقد أخطأ ، بل الذى تدل عليه الآية أن ذلك حرام ، فكون ذلك هو السبب لا يستلزم أن تكون الآية نازلة فى تحليله ، فإن الآيات النازلة على أسباب تأتى تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه .

(١) أسباب النزول : ٤٠ - ٤٢ (٢) تفسير الوصول ١ : ٩٤

١٣ - باب ما نزل في الإيلاء من النساء

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٢٧ - ٢٢٨]

● قال تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ (١) « الإيلاء » أن يحلف ألا يطلق امرأته أكثر من أربعة أشهر ، فإن حلف على أربعة أشهر فادونها لم يكن مؤلّياً ، وكانت بيتاً محضاً ، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور . وقال الثوري وأهل الكوفة : « الإيلاء » : أن يحلف على أربعة أشهر فصاعداً . وقال ابن عباس (٢) لا يكون مؤلّياً حتى يحلف أن لا يحسبها أبداً . ولفظ « من نسائهم » يشمل : الحرائر ، والإماء إذا كن زوجات ، وكذلك يدخل تحت قوله « يؤلون » البعد إذا حلف من زوجته . قال أحمد (٣) والشافعي وأبو ثور : إيلاؤه كالحر . وقال مالك (٤) وأبو حنيفة : إن أجله شهران . وقال الشعبي (٥) : إيلاء الأمة نصف إيلاء الحرة . « والتربص » : التأني والتأخر ، وإنما وقت الله بهذه المدة دفناً للضرر عن الزوجة وقد كان أهل الجاهلية يؤلون السنة والفتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك ضرر النساء ، وقد قيل : إن الأربعة الأشهر هي التي لا تطيق المرأة الصبر عن زوجها زيادة عليها . ﴿ فإن فاءوا ﴾ . أي : رجعوا فيها أو بعدوا عن الخمين إلى الوطء . وللسلف في الشيء أقوال هذا أولاها لانه ، وهو الذي ينبغي الرجوع إليه : ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ .

● ﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ . فيه دليل على أنها لا تطلق بمضى أربعة أشهر كما قال مالك ما لم يقع إفتاء تطليق بعد المدة .

● ﴿ فإن الله سميع عليم ﴾ . يعني ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفء ، أو الطلاق ، ولا يخفى عليك أن أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق منهم ،

(١) أسباب النزول : ٤٢ - ٤٣ .

(٢ - ٥) قيل المرام : ٩٣ .

ومكفوا بما لم يدلى عليه اللفظ ولا دليل آخر ، ومعناها ظاهر واضح ، وهو أن الله جعل الأجل لمن يؤلى أى : يحلف من امرأته أربعة أشهر . ثم قال : « فإن قاموا » ، أى : رجعوا إلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح ، فإن الله لا يؤاخذهم بتلك العين ، بل يتفر لهم ويرحمهم ، وإن وقع العزم منهم على الطلاق والتفصل له ، فإن الله سمح لتلك عليم به ، فهذا معنى الآية الذى لا شك فيه ولا شبهة . فمن حلف أن لا يوطأ امرأته ولم يقيد بمدة ، أو قيد بزيادة على أربعة أشهر ، كان علينا إيماله أربعة أشهر ، فإذا مضت ، فهو بالخيار إما أن يرجع إلى نكاح امرأته ، وكانت زوجته بعد مضي المدة كما كانت زوجته قبلها ، أو يطلقها وكان له حكم المطلق لامرأته ابتداء ، وأما إذا وقت بدون أربعة أشهر فإن أراد أن يبر في يمينه اعتزل امرأته التي حلف منها حتى تنقضي المدة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آلى من نسائه شهراً ، فإنه اعتزلهن حتى مضى الشهر^(١) ، وإن أراد أن يوطأ امرأته قبل تلك المدة التي هي دون أربعة أشهر حنث في يمينه ، ولزمته التكفارة ، وكان مثلاً لما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : « من حلف على يمين ، فرأى غيره خيراً منه ، فلبأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه »^(٢) . والله أعلم .

* * *

١٤ — باب ما نزل في عدة المطلقات ودرجة الرجال عليهن

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٢٨]

● قال تعالى : ﴿ والمطلقات ﴾ . أى : الخليات من حبال أزواجهن ، و« المطلقة » ،

(١) صحيح البخارى : ٧ ، ٣٨ .

(٢) تفسير الرضول ٣ : ٢٢٢ ؛ من أبي هريرة مع اختلاف في الرواية .

هى التى أوقع الزوج عليها الطلاق ﴿يَتْرِكْنَ بَأْسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تعفى من حين الطلاق تتدخل تحت عمومها المطلقة قبل النكول ، ثم خصصت بقوله تعالى : «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ حُدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا» ^(١) فوجب بناء العام على الخاص ، وخرجت من هذا العموم المطلقة قبل النكول ، وكذلك خرجت الحامل بقوله تعالى : «وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» ^(٢) وكذلك خرجت الآية ^(٣) بقوله تعالى : «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ» ^(٤) «والتربص» : الانتظار ، قيل : هو خبر فمعنى الأمر ، أى : ليربصن ، قصد بإخراجه مخرج الخبر تأكيد وقوعه ، وزاده تأكيداً وقوعه خبراً للبتدأ ، قال ابن العربي : وهذا باطل ، وإنما هو خبر عن حكم الشرع ، فإن وجدت مطلقة لا تربص فليس ذلك من الشرع ، ولا يلزم من ذلك وقوع ، خبر الله سبحانه على خلاف غيره .

● «والتقروء» : جمع قرء ، ومن العرب من يسمى الحيض قرءاً ، ومنهم من يسمى الطهر قرءاً ، ومنهم من جمعها جميعاً ، فيسمى الحيض مع الطهر قرءاً ، والحاصل أن القرء فى لغة العرب مشترك بين الحيض والطهر ، ولأجل ذلك الاشتراك اختلف أهل العلم فى تعيين ما هو المراد بالقرء المذكورة فى الآية ، فقال أهل الكوفة : هى الحيض . وقال : أهل الحجاز : هى الأظهار . واستدل كل واحد بأدلة على قوله . وعندى أنه لا حجة فى بعض ما احتج به أهل القولين جميعاً . ويمكن أن يقال : إن المدة تنقضى بثلاثة أظهار أو بثلاث حيض ، ولا مانع من ذلك ، فقد جوز جمع من أهل العلم حمل المشترك على معنيه ، وبذلك يجمع بين الأدلة ويرتفع الخلاف ويندفع النزاع .

● ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكُنْ مِنْهَا خَلْقٌ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ قيل : المراد به الحيض ، وقيل : الحمل ، وقيل : كلاهما . ووجه التنبه عن اللسان ما فيه فى بعض الأحوال من الإصرار بالزوج وإذهاب حقه ، فإذا قالت المرأة : إنها حاضت وهى لم تحض ، ذهب بمقتضى من الاتفاق ، وإذا قالت : إنها لم تحض وهى قد حاضت ألزمت

(١) الأحزاب : ٤٩ .

(٢) الطلاق : ٤ .

(٣) الآية . التى بلغت سننا انقطع فيه الحيض ويثبت من الحمل .

(٤) الطلاق : ٤ .

من النفقة ما لم ياتمه فأضرته به ، وكذلك الحمل ربما تسكنه لتقطع حقه من الانجماع ، وربما تدعيه لتوجب عليه النفقة ونحو ذلك من المقاصد المستزمنة للإضرار بالزوج ، وقد اختلفت الأقوال في المدة التي تصدق فيها المرأة إذا ادعت انتضاء عدتها ، وفيه دليل على قبول قولهم في ذلك نقياً وإيجاباً .

• ﴿ إِنْ كُنْ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ فيه وعيد شديد للسكّنات ، ويان أن من كتمت ذلك منهن لم تستحق اسم الإيمان ، وهذا الشرط ليس للتقييد بل للتشليط ، حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن المدة أيضاً .

• ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ جمع « بعل » ، وهو الزوج . وهو أيضاً مصدر من « بعل » الرجل إذا صار بطلا ، فهو لفظ مشترك بين المصدر والجمع .

﴿ أَحَقُّ رَدِّهِنَّ ﴾ أى : برجسهن ، وذلك يختص بمن كان يجوز للزوج مراجعتها ، فيكون في حكم التخصيص لمعوم قوله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن » لأنه يوم الثلاث وغيرهن ، وصيغة التفضيل لإرادة أن الرجل إذا أراد الرجعة والمرأة تأبأها وجب إشراؤه على قولها ، وليس معناه أن لها حقاً في الرجعة ، قال أبو السمود : ﴿ في ذلك ﴾ يعنى : في مدة التربص ، فإن انقضت مدة التربص فهي أحق بنفسها ، ولا عمل له إلا بالنكاح مستأنف بولي وشهود ومهر جديد ، ولا خلاف في ذلك ، والرجعة تكون باللفظ وتكون بالوطء ، ولا ياتزم للراجع شيء من أحكام النكاح بخلاف . ﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ أى بالرجعة ، أى إصلاح حالها معها وحالها معه ، فإن قصد الإضرار بها فهي محرمة ، لقوله تعالى : « وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّعَقْدُوهُنَّ »^(١) وقيل : إذا قصد بالرجعة الضرر فهي صحيحة وإن ارتكبت به محرماً وظلم نفسه ، وعلى هذا فيكون الشرط للذكور في الآية حث الأزواج على قصد الإصلاح والزرع فم عن قصد الضرر ، وليس المراد به جعل قصد الإصلاح شرطاً لصحة الرجعة .

• ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى : من حقوق الزوجات على الرجال . مثل ما للرجال عليهن ، فيحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه للنساء ، وهي كذلك تحسن عشرة زوجها بما هو معروف من عادة النساء . أنهن يفعلنه لأزواجهن ، من طاعة وتزین وتحبب ونحو ذلك .

قال ابن عباس في الآية : إني أحب أن أقرن لامرأتى كما أحب أن تنزني لي ، لأن الله تعالى قال : « ولهن مثل الذي عليهن » . قال الكرخي : أى : في الوجوب لا في الجنس ، فلو غلبت ثيابه أو خيزت له لم يأنزله أن يفعل ذلك . وقيل : في مطلق الوجوب لا في عدد الأفراد ولا في صفة الواجب .

● ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ . أى : منزلة ليست لهن ، وهى قيامه عليهما في الإعتاق ، وكونه من أهل الجهاد ، والمقل والقوة ، وله من الميراث أكثر مما لهما ، وكونه يجب عليهما امتثال أمره ، والوقوف عند رضائه ، والشهادة والدية وصلاحية الإمامة والقضاء ، وله أن يتزوج عليهما ويتسرى وليس لهما ذلك ، ويده الطلاق والرجعة ؛ وليس شيء من ذلك بيدهما ، ولو لم يكن من فضيلة الرجال على النساء إلا كونهن خلقن من الرجال ؛ لما ثبت أن حواء خلقت من ضلع آدم ؛ لكفى .

وقد أخرج أهل السنن عن عمر بن الأحوص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا إن لكم على نساءكم حقاً ولنساءكم عليكم حقاً ، أما حقكم على نساءكم : أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحققن عليكم : أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » (١) . وصححه الترمذى وأصله عند مسلم في الصحيح . وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن جرير والحاكم وصححه البيهقى .

● ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ فيما دبر خلقه ، وعن أبي غليان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بشه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها . ثم رجع فرأى رجلاً يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (٢) . رواه البهوى بسنده .

(١) الترغيب والترهيب كتاب النكاح ٤ : ١٢٠ .

(٢) الترغيب والترهيب . كتاب النكاح ٤ : ١٢٠ .

١٥ - باب ما نزل في مدارج الطلاق والخلع

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ فَمَا سَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِجْ بِإِحْسِنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ . . ﴾ [٢٢٩]

● قال تعالى : ﴿الطلاق مرتان﴾ أى : عدد الطلاق الذى تثبت فيه الرجعة : للأزواج هو مرتان ، فالمراد بالطلاق المذكور هو الرجعى ، إذ لا رجعة بعد الثالثة ، وإنما قال سبحانه « مرتان » ولم يقل طلقان إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد أخرى لا طلقان دفعة واحدة ، كذا قال جماعة من المفسرين ، ولما لم يكن بعد الطلقة الثانية إلا أحداً من ، إما إيقاع الثالثة التى بها تبين الزوجة ، أو الإمساك لها واستدامة نكحها وعدم إيقاع الثالثة عليها قال سبحانه : ﴿فإمساك﴾ أى : بعد الرجعة لمن طلقها زوجها طلقين ﴿بمعروف﴾ عند الناس من حسن المشورة وحقوق النكاح ﴿أو تسريح بإحسان﴾ أى : بإيقاع طلقة ثالثة من دون ضرر لها ، وقيل : المراد « بالإمساك » رجعة بعد الطلقة الثانية ، و « بالتسريح » ترك الرجعة بعد الثانية حتى تنقضى عدتها ، والأول أظهر . قال أبو عمرو : أجمع العلماء على أن التسريح هى الطلقة الثالثة بعد الطلقتين وإياها عني بقوله ﴿فإن طلقها فلا تحمل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ .

وقد اختلف أهل العلم فى إرسال الثلاث دفعة واحدة ، هل تقع ثلاث أو واحدة فقط ؟ فذهب إلى الأول الجمهور ، وذهب إلى الثانى من عداهم ، وهو الحق ، وقد قرره العلامة الشوكانى فى مؤلفاته تقريراً بالنا ، وأفرده برسالة مستقلة ، وكذا الحافظ ابن القيم فى « غائاة الهمم » و « أعلام الوقفين » .

● ﴿ولا يحل لکم أن تأخذوا بما آیتموهن شیئاً﴾ الخطاب للأزواج ، أى : لا يحل لهم أن يأخذوا فى مقابلة الطلاق بما دفعوه إلى نساءهم من المهر شیئاً على وجه المضارة لمن ، وتكثير « شیء » للتحقير ، أى : شیئاً زراً فضلاً عن الكثير ، وخص .

مادفعوه إليهن بدم حل الأخذ منه منع كونه لا يحل للأزواج أن يأخذوا من أمواتهن التي يملكنها من غير المهر ، لكون ذلك هو الذي يتعلق به نفس الزوج . ويتطلع لأخذه دون ماعدها عما هو في ملكها ، على أنه إذا كان أخذ مادفعه إليها في مقابلة البضع عند خروجه عن ملكه لا يحل له ، كان ماعدها ممنوعاً منه بالأولى ، وقيل : الخطاب للأئمة والحكام لطابق قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ فإن الخطأ فيه لهم وعلى هذا يكون إسناد الأخذ إليهم لكونهم الآمرين بذلك ، والأول أولى ؛ لقوله : ﴿ مَا آمَنْتُمُوهُنَّ ﴾ فإن إسناده إلى غير الأزواج بعيد جداً ؛ لأن إنشاء الأزواج لم يكن عن أمرهم ، وقيل : إن الثاني أولى لئلا يشوش النظم .

● ﴿ إِنْ أَنْ يَخَافَا ﴾ أى : يعلما ، أى : الزوجان من أنفسهما ، فيه التفات من الخطاب إلى التثنية ﴿ أَلَا يَخَافُا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أى : تخاف المرأة أن تمس الله في أمور زوجها ويخاف الزوج أنه إذا لم تعلمه أن يمتد علىها .

● ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ أى : خشيتم وأشققتهم ، وقيل : ظننتم . ﴿ أَنْ لَا يَخَافَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ يعنى ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمر به من حسن الصحبة والمباشرة بالمعروف ، وقيل : هو يرجع إلى المرأة وهو سوء خلقها واستغفائها بحق زوجها .

● ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ ﴾ أى : لا جناح على الزجل في الأخذ ولا على المرأة في الإعطاء بأن تقتدى نفسها من ذلك النكاح يذلل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله ، وهذا هو الخلع ، وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك للزوج ، وأنه يحل له الأخذ مع ذلك الخوف ، وهو الذى صرح به القرآن . وحكى ابن المنذر عن بعض أهل العلم أنه لا يحل له ما أخذ ، ويجبر على رده ، وهذا في غاية السقوط .

وقد ورد في فم المختلعات أحاديث منها : عن ابن عباس عند ابن ماجه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ربح الجنة ، وإن ربحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً » (١) .

(١) الترغيب والترهيب : كتاب النكاح ٤ : ١٥٣ - ١٥٤ برواية مختصة ، انظر تفسير الواسل ١ ، ٣٣٨ ، وفي بعض الروايات في غير ما يأس « موضع في غير كنهه » والمضى : في غير مواضع وجوب سؤال الطلاق .

وقد اختلف أهل العلم في عدة المختلة والراجع أنها تمتد بحبيضة ، لما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه عن ابن عباس : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر امرأة ثابت بن قيس أن تمتد بحبيضة » . ولما أخرجه الترمذى عن الربيع بنت مموذ بن غفراء أنها اختلفت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تمتد بحبيضة (١) . قال الترمذى : الصحيح أنها أمرت أن تمتد بحبيضة . وفي الباب أحاديث ، ولم يرد ما يعارض هذا من المرفوع ، بل ورد عن جماعة من الصحابة والتابعين أن عدة المختلة كمدة الطلاق وبه قال الجمهور . قال الترمذى : وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم ، واستدلوا على ذلك بأن المختلة من جملة المطلقات فهي داخلة تحت عموم للقرآن ، والحق ما ذكرناه ؛ لأن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يخص عموم القرآن .

وقد اختلف أهل العلم إذا طلب الزوج من المرأة زيادة على ماتفه إليها من المهر وما يتبعه ورضيت بذلك ، هل يجوز أم لا ؟ . وظاهر القرآن الجواز لعدم تنقيده بمقدار معين ، وبهذا قال مالك والشافعى وأبو ثور ، وروى مثل ذلك عن جماعة الصحابة والتابعين ، وقال أحمد وغيره : لا يجوز لما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

١٦ - باب ما نزل في التحليل

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحِلَّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ ﴾ [٢٣٠]

● قال تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أى : الطلقة الثالثة التى ذكرها سبحانه بقوله ﴿ أَوْ تَسْرِعْ بِلُحْسَانٍ ﴾ فإن وقع منه ذلك فقد حرمت عليه بالتاليث ، سواء كان قد راجعها أم لا . وسواء انتقضت عدتها في صورة عدم الرجعة أم لا .

(١) تفسير الوصول ٣ : ١٧ .

● ﴿ فلا تحمل له من بعد ﴾ والحكمة في شروع هذا الحكم الرضع عن المسارعة إلى الطلاق ، وعن العود إلى الطلقة الثالثة والرغبة فيها . ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ أى : حتى تتزوج زوجاً آخر غير المطلق بعد انقضاء عدتها من الأول فيجامعها . والنكاح يتناول المقد والوطء جميعاً ، وللراد هنا الوطء ، وقد أخذ بظاهر الآية سعيد بن المسيب ومن وافقه ، فقالوا : يكفي مجرد المقد . لانه للراد . وذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أنه لا بد مع المتقدم الوطء ، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار ذلك ، وهو زيادة يتعين قبولها ، ولعله لم يبالغ ابن المسيب ومن تابعه . وفي الآية دليل على طي أنه لا بد أن يكون ذلك نكاحاً شرعياً مقصوداً لذاته ، لا نكاحاً غير مقصود لذاته ، بل حيلة للتفحيط وذريعة إلى ردها إلى الزوج الأول ، فإن ذلك حرام للأدلة الواردة في ذمه وذم فاعله ، وإنه التيسر للمستمار الذى لعنه الشارع ، ولمن من أمخذه لذلك .

أخرج الشافعى وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى عن عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إني كنت عند رفاعة فطلقتى فبنت طلاقى (١) ، فتزوجنى عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدية التوب ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تريدن أن ترجعى إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك » . وقد روى نحو هذا عنها من طرق .

وأخرج أحمد والنسائى عن ابن عباس أن الميمصاء أو الرميمصاء ، أقت النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك لك حتى يذوق عسالتك رجل غيره » (٢) والمصيلة والمصالة : مجاز عن قليل الجماع ، أو يكتفى بقليل الانتشار ، شبهت تلك اللذة بالصل ، وصنرت بالهام لأن التاليل على الصل التأنيث . قاله الجوهري .

● وقد ثبت لمن الحلل والحلل له في أحاديث كثيرة ، منها : عن ابن مسعود عن أحمد والترمذى ، وصححه النسائى والبيهقى في سننه قال : « لمن النبي صلى الله عليه وسلم الحلل والحلل له » (٣) .

(١) أى : جعله طلاقاً باتناً ، لا طلاقاً رجبياً .
(٢) تبسم الرسول ٣ : ٢٥٠ باختلاف في الرواية .
(٣) تبسم الرسول ٣ : ١٥٢ .

وفي الباب أحاديث في ذم التحليل وقلعه أطلال بذكرها ابن القيم في «إفائة اللهيان» و«وأعلام المومنين» وهو بحث نفيس جداً فراجع.

● ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أي : إن طلقها الزوج الثاني فلا جناح على الزوج الأول . وللازداد أن يرجع كل واحد منهما لصاحبه يعني ينكح جديد . قال ابن النذر : أجمع أهل العلم على أن الحر إذا طلق زوجته ثلاثاً ثم انقضت عدتها ونكحت زوجاً ودخل بها ثم فارقتا وانقضت عدتها ثم نكحها الزوج الأول ؛ أنها تكون عنده على ثلاث تطليقات . ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي : علماً وأيقناً ، وقيل : إن رجوا إذ لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أي : أن يرجع كل واحد منهما على الآخر ، وأما إذا لم يحصل عن ذلك بأن يعلم أو أحدهما عدم الإقامة لحدود الله أو تردداً أو أحدهما لم يحصل لهما الظن فلا يجوز السخول في هذا النكاح ، لأنه مظنة لمصيبة الله والوقوع فيها حرمه على الزوجين .

١٧ - باب ما نزل في بلوغ أجل المدة وعدم الضرار بهن

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

أَوْ مَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْنَدُوا﴾ [٢٣١]

● قال تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي : فآرين انقضاء عدتهن وشارفن منهاها ، ولم يرد انقضاء المدة ، فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم السهل على الأكثر ، وقيل : إن الأجل اسم للزمان ، فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن إيقاع رجة فيه ، بحيث إذا فات لا يبقى بعده مكنة إلى الرجة ، وعلى هذا لا حاجة إلى المجاز .

● ﴿فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي : راجعوهن بمعروف ، وهو أن يشهد على رجةها ، وأن راجعها بالقول لا بالوطء ، وقيل : هو القيام بحقوق الزوجية ، وهو الظاهر .

● (أو سرحوهن بمعروف) أي : أتركوهن حتى تنقضي عدتهن ، فيمكن أنفسهن ، واللفظ : إذا طلقتم النساء ققارب آخر المدة فلا تضاروهن بالمراجعة من غير قصد لاستمرار الزوجية واستدامها ، بل اختاروا أحد الأمرين : إما الإمساك أو التسريح .

● (ولا تمسكوهن ضرراً) : كما كانت تفعل الجاهلية من طلاق المرأة حتى يقرب . انتضاء عدتها ثم مراجعتها لا عن حاجة ولا محبة ، ولكن لقصد تطويل المدة وتوسيع مدة الانتظار ضرراً .

● (لتمتدوا) أي : لقصد الاعتداء منكم عليهن والظلم بهن ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه .

١٨ - باب ما نزل في عضل النساء عن النكاح

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ

أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ ۝ [٢٣٧]

● قال تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ الخطاب إما للأزواج ، ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهم من أن يتزوجن من أردن من الأزواج بعد انتضاء عدتهن لحية الجاهلية ، كما يقع كثيراً من الخلفاء والساطين غيرة على من كن تحتم من النساء أن يصرن تحت غيرهم ، لأنهم لما نالوه من رئاسة الدنيا وما صاروا فيه من النخوة والكبرياء يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بني آدم ، إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع ، وإما أن يكون الخطاب للأولياء ، ويكون معنى إسناد الطلاق إليهم أنهم سبب له لسقوطهم للزوجين للنساء المطلقات من الأزواج المطلقين لهن ، والمراد بياوغ الأجل : نهايته ، لا كما سبق في الآية الأولى ، ولهذا قال الشافعي : اختلاف المسلمين على افتراق البياوغين . « والمضل » : الحيس ، وقيل : التضييق والمنع ، وهو زاجع إلى معنى الحيس . وقوله : ﴿ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ : إن أريد به المطلقات لهن فهو مجاز باعتبار

ما كان، وإن أريد من يدين أن يتزوجنه فهو مجاز أيضاً باعتبار ما سيكون .

● ﴿ إِذَا تَرَاضَا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يعني : إذا تراضى الخطاب والنساء ، « والمعروف » هنا : ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز ، وقيل : هو أن يرضى كل واحد منهما بما ألزمته لصاحبه بحق المتدخلى تحصل للصبي الحسنة والمنة الجلية والميشة الرضية .

قيل : سبب قولها : أن أخت مقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يرخصها ، فنهى مقل . كما رواه الحاكم واسمها جميلة واسم زوجها عاصم بن عدى ، فلما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه وأنكحها إياه ، وتعام القصة في البخارى (١) .

١٩ — باب ما نزل في إرضاع الوالدة الولد والفصال

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِصَ عَنْهُ الرِّضَاعُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْرِضُوا أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أُنْتِمْ بِالْمَعْرُوفِ ۝ ٥٠ ﴾ [٢٣٣]

● قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ تأكيده للدلالة على أن هذا التقدير تحقيق لا تخيير ، وفيه رد على أبي حنيفة في قوله إن مدة الرضاع ثلاثون شهراً ، وعلى نذر في قوله إنها ثلاث سنين ذلك (لأن أريد أن يتم الرضاعة) فيه دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتماً بل هو التمام ، ويجوز

(١) أسباب النزول : ٤٣ ، وانظر البخارى ٦ : ٣٦ .

الاتصار على ما دونه وليس له حد محدود ، وإنما هو على مقدار إصلاح الطفل وما يعيش به . والآية تدل على وجوب الرضاع على الأم لولدها ، وقد حمل ذلك على ما إذا لم يقبل الرضيع غيرها .

● ﴿ وعلى الولود له ﴾ أى : على الأب الذى يولد له ، وآثر هذا اللفظ دون قوله : وعلى الوالد للدلالة على أن الأولاد للآباء لا للأمهات ، ولهذا يسمون إليهم دونهن كأنهم ولدين لهم فقط : ذكر معناه فى الكشف . ﴿ رزقهن ﴾ أى : الطعام الكافى المتعارف به بين الناس ﴿ وكسوتهن ﴾ أى : ما يتعارفون به أيضاً . ﴿ بالمعروف ﴾ أى : على قدر الميسرة ، وفى ذلك دليل على وجوب ذلك على الآباء للأمهات المرضعات ، وهذا فى المطلقات طلاقاً باتناً ، وأما غير المطلقات فنفتقن وكسوتهن واجبة على الأزواج من غير إرضاعهن لأولادهن . وقال القرطبي : الأشهر أن الآية فى الزوجات فى حال بقاء النكاح لأنهن للتمتع بالنفقة والكسوة أرضن أو لم أرضن ، وهما فى مقابلة التمكن ، لكن إذا اشتلت الزوجة بالإرضاع لم يكمل التمكن ولا التمتع بها قد يتوهم أن هذه النفقة تسمط حالة الإرضاع فنفس هذا التوهم بقوله : ﴿ وعلى الولود له ﴾ ثم قال فى عمل آخر : وفى هذه الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لمعجزه وضفله . ونسبه تعالى للأم لأن النفقة يصل إليه بواسطتها فى الرضاع ، وأجمع العلماء على أنه يجب على الأب نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم . انتهى .

● ﴿ لا تكلف نفس ﴾ أى : من النفقة والكسوة ﴿ إلا وسعها ﴾ ، لا تضار والدة بولدها ﴾ أى : لا تضار من زوجها بأن يقصر عليها فى شيء مما يجب عليه ، أو يتزوج ولها منها بلا سبب . ﴿ ولا مولود له بولده ﴾ أى : لا تضار الأب بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الرزق والكسوة ، هذا إذا قرئ على البناء للمفعول ، وأما إذا قرئ على البناء للفاعل ، فالنفي : لا تضر والدة بولدها بنفسه . تربيته أو تقصر فى غذائه ، ولا ولد بولده بأن يفرط فى حفظ الولد . والتعليم بما يحتاج إليه^(١) ، وقدمها لفرط شفتها ، وأضيف الولد تارة إلى الأب وتارة إلى الأم للإستطلاق لا لبيان النسب ، إذ لو كانت له لم تصلح إلا للوالد . لكنه هو الذى يعلب إليه الولد .

● ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ قيل : هو وارث الصبي إذا مات أبوه كان عليه إرضاعه ، قاله أحمد وأبو حنيفة على خلاف بينهما ؛ هل يكون الوجوب على من يأخذ نصيباً من الإرث ؟ أو على الذكور فقط ؟ أو على ذى رحم له وإن لم يكن وارثاً ؟ . وقيل : وارث الأب يجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها بالمعروف إذا لم يكن للصبي مال ، فإن كانت أخذت أجره إرضاعه من ماله . وقيل : هو الصبي نفسه أى : عليه من ماله إرضاع نفسه إذا مات أبوه وورث من ماله . وقيل : هو الباقي من والى المولود بعد موت الآخر منهما ، فإذا مات الأب كان على الأم كفاية الطفل إذا لم يكن له مال . وقيل : وارث المرضعة يجب عليه أن يصنع بالمولود كما كانت الأم تصنعه به من الرضاع والحضمة والقرية .

● ﴿فإن أراداً فصلاً﴾ أى : نظاماً عن الرضاع والتفريق بين الصبي والئدى عن رضاع منهما ﴿أى : اتفاق من الوالدين إذا كان قبل الحولين﴾ ﴿وتشاور﴾ يشاورون أهل العلم فى ذلك ، حتى يجزوا أن القطام قبل الحولين لا يضر بالولد ﴿فلا جناح عليهما﴾ فى ذلك الفصل .

● ﴿وإن أردتم﴾ خطاب للآباء لا للإمهات ﴿أن تسترضعوا أولادكم﴾ غير الوالدة ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم﴾ إلى الإمهات ﴿ما آتيتكم﴾ من أجرهن بحساب ماقد أرضن لكم ، وقيل : إذا سلمتم ما أردتم إعطاءه إلى المرضعات ﴿بالمعروف﴾ مستبشرى الوجوه ، ناطقين بالقول الجليل ، مطيعين لأنفس المراضع بما أمكن .

٢٠ - باب ما نزل فى عدة المتوفى عنها زوجها . وتمرضها

للخطاب وغير ذلك

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ وَيَدْرُونَ أَنَّ أَزْوَاجَكُمْ يَرْجِعْنَ إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ . [٢٣٤]

● قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذِرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أي : الذين يموتون ويتركون النساء ينتظرون بأنفسهن قدر هذه المدة ، ووجه الحكمة : أن الجنين الذي يتحرك في القالب الثلاثة أشهر والأربعين لأربعة أشهر ، فزاد سبحانه عشرًا لأن الجنين ربما يضعف عن الحركة فتأخر حركته قليلا ولا يتأخر عن هذا الأجل . وظاهر هذه الآية العموم ، وأن كل من مات عنها زوجها تكون عدتها هذه المدة ، ولكنه قد خصص هذا العموم قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (١) وإلى هذا ذهب الجمهور وهو الحق ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أذن لسبيعة الأسلمية أن تتزوج بعد الوضع (٢) . وظاهر الآية عدم الفرق بين الصغيرة والكبيرة والحرة والأمة وذات الحيض والآيسة ، وقيل : عدة الأمة نصف عدة الحرة : شهران وخمسة أيام ، والأول أولى . وفي حديث عمرو بن الماس قال : « لا تلبسوا علينا سنة نبينا صلى الله عليه وسلم : عدة أم الولد إذا توفى عنها سيدها أربعة أشهر وعشر » (٣) . أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ومصححه ، وضعفه أحمد وأبو عبيد . وقال الدارقطني : الصواب أنه موقوف . قال أبو حنيفة : تمتد ثلاث حيض . وقال أحمد : بالأول ، وقال مالك والشافعي : عدتها حيفة . وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول (٤) ، وإن كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة .

● ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجِلُ﴾ أي : انقضاء المدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الخطاب للأولياء ، وقيل : لجميع المسلمين ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب والنقطة من السكن الذي كانت معتدة فيه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا يخالف شرعاً ولا عادة مستحسنة .

وقد استدلل بذلك على وجوب الإحداد على الممتدة عدة الوفاة ، وقد ثبت ذلك في الصحيحين وغيرها من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) الملاق : ٤

(٢) تفسير الوصول ٣ : ١٧ .

(٣) تفسير الوصول ٣ : ١٨ ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) أي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذِرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ البقرة ٢٤٠ ، وانظر من : ٤٤ من هذا الكتاب .

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » (١) . وكذلك ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرها « انتهى عن الكحل في عدة الوفاة » (٢) .

والإحداذ : ترك الزينة من الطيب ، وترك لبس الثياب الجيدة والخلى وغير ذلك . ولا خلاف في وجوب ذلك في عدة الوفاة ، ولا خلاف في عدة الرجعية ، واختلفوا في عدة البائنة على قولين ، وعمل ذلك كتب علم الفروع . واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية ، لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على الباشرة ، وأجيب بأنه خطاب للأولياء ، ولوصح المقد بغير ولي لما كان خطاباً . والله أعلم .

• • •

٢١ - باب ما نزل في التبريض بخطبة النساء

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ عَنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ مِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا أَوْ لَمْ نَعْرِضْ أَوْ لَمْ نَعْمِدْ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ ﴾ [٢٣٥]

• قال تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ للتوفي عنهن أزواجهن في العدة ، وكذا المطلقات طلاقاً بائناً ، وأما الرجويات فيحرم التبريض والتصرع بخطبتين ، نفى للفهوم تفصيل . ﴿ أَوْ أَكْنَنْتُمْ ﴾ أى : سترتم وأسترتم من التزويج بعد انقضاء العدة ، و « أَوْ » هنا للإباحة ، أو التخيير ، أو التفصيل ، أو الإيهام على المخاطب . ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ من قصد نكاحهن ، وقيل : هو أن يدخل ويسلم ويهدى إن شاء ، ولا يتكلم بشيء .

• ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ سَتَذَكَّرُونَ ﴾ ولا تصبرون عن النطق لمن برهتكم فبين ، فرخس لكم في التبريض دون التصرع .

(١) تيسير الوصول ٣ : ٢٠ . (٢) صحيح البخارى ٧ : ١٦٢ - ١٦٤

● ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ أى : لا يقل الرجل لهذه الفتنة : تزوجى ، بل يعرض ترضاً ، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء . وقيل : « السر » : الزنا ، أى : لا يكن منكم مواعدة على الزنا فى العدة ثم التزويج بعدها ، واختاره الطبرى وغيره ، وقيل : السر : الجماع ، أى : لا تصفوا أنفسكم لمن بكرة الجماع ترغياً لمن فى النكاح ، وإلى هذا ذهب الشافى . قال ابن عطية : أجمعت الأمة على أن الكلام مع المتعدة بما هو رث من ذكر الجماع أو تحريض عليه لا يجوز ، وقال أيضاً : أجمعت الأمة على كراهة المواعدة فى العدة للمرأة فى نفسها ، وللأب فى ابنته البكر ، وللسيد فى أمته . وقال ابن عباس : المواعدة سرا أن يقول لها : إني عاشق وعاهدي أن لاتتزوجى غيرى ، ونحو هذا .

● ﴿إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ أى : ترضاً . قال ابن عباس : هو قوله : « إن رأيت ألا تسبقين نفسك ، أو يقول : إنك لجليلة وإنك إلى خير وإن النساء من حاجتى ، وإنى أريد التزويج ، وإنى لأحب المرأة من أمرها كذا وكذا ، وإن من شأى النساء ، ولوددت أن الله يسر لى امرأة صالحة » . رواه البخارى وجماعة (١) .

● ﴿ولا ترموا عقدة النكاح﴾ أى : فى العدة ﴿حق﴾ يبلغ الكتاب أجله ﴿أى : تنقضى العدة ، وهذا الحكم جمع عليه ، وللرأ بالاجل : آخر مدة العدة .

* * *

٢٢ - باب ما نزل فى طلاق ما لم يمسهن أو لم يفرضوا لهن

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعْتُمُوهُنَّ عَلَى الْمُوسَمِ قَدَرِهِ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مِمَّا نَزَعْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ . وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ .﴾

[٢٣٦ - ٢٣٧]

(١) البخارى ٧ : ١٨ : باختلاف فى الرواية .

• قال تعالى : ﴿إِلا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ إِنْ طَلَّقَتِ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَمْسُوهُنَّ﴾ أي : مدة عدم مسيسكم ، أو غير ماسين لمن ، أو اللاتي لم تمسوهن ، أي : ما لم يجاموهن ﴿أو تفرضوا لمن فريضة﴾ أي : ألا تفرضوا ، وقيل : حتى تفرضوا ، وقيل : وتفرضوا ، ولست أرى لهذا التطويل وجهاً ، ومعنى الآية أوضح من أن يلتبس ، فإن الله سبحانه رفع الجناح عن المطلقين ما لم يقع أحد الأمرين أي : مدة انتفاء ذلك الأجد ، ولا يتبقى الأحكام إلا بانتفاء الأمرين معاً ، فإن وجد الميس وجب المسمى أو مهر المثل ، وإن وجد الفرض وجب نفسه مع عدم الميس وكل واحد منهما جناح ، أي : المسمى أو مهر المثل أو نفسه .

« فائدة » اعلم أن الطلقات أربع : مطلقة مدخول بها مفروض لها وهي التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية ، وفيها شبه الأزواج عن أن يأخذوا مما آتوهن شيئاً ، وأن عدتهن ثلاثة قروء . ومطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها وهي المذكورة هنا فلا مهر لها بل للثمة ، وبين في سورة الأحزاب أن غير المدخول بها إذا طلقت فلا عدة عليها ^(١) . ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها وهي المذكورة فيها سيأتي بقوله سبحانه : ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ..﴾ الآية ، ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَقْتَضَتْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ ^(٢) .

« وفريضة » فيها وجهان : أحدهما أنها مفعول به والتقدير شيئاً مفروضاً ، والثاني أن تكون مصدراً ، أي : تفرضوا لمن فرضاً . واستجد أبو البقاء ^(٣) الوجه الأول .

• ﴿وتمسوهن﴾ أي : أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لمن ، وظاهر الأمر الوجوب وبه قال جماعة ، ومن أدلة الوجوب قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لَلزَّوَاجِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ وَجَبَ لَكُمْ قَلْبَتُهُنَّ مِنْ عِلَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسْرُحُوهُنَّ سَرَاعاً حَمِيلاً ^(٤)﴾ وقال مالك وغيره : إنها مندوبة لا واجبة لقوله تعالى : ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ .

(١) الأحزاب : ٤٩ (٢) النساء : ٢٤ .
(٣) إجماع ما سن به الرحمن ١ : ٥٦ (٤) الأحزاب : ٤٩ .

ولو كانت واجبة لإطلاقها على الخلق أجمعين . ويجاب عنه بأن ذلك لا يناقى الوجوب ، بل هو تأكيد له كما في الآية الأخرى : « حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ » ^(١) ، وكل مسلم يجب عليه أن يحسن ويتق الله سبحانه ، ثم اختلف فقيل : إنها مشروعة لكل مطلقة وبه قال الشافعي وأحمد ، واختلفوا هل هي واجبة أم مندوبة فقط ؟ ثم قالوا : إنها غنصة للمطلقة قبل البناء والفرس ، لأن المدخول بها تستحق جميع السعي أو مهر المثل ، وغير المدخول بها التي قد فرض لها تستحق نصف السعي ، وقد وقع الإجماع على أن المطلقة قبل الدخول والفرس لا تستحق إلا التمة إذا كانت حرة ، وأما إذا كانت أمة فذهب الجمهور إلى أن لها التمة ، وقال الأوزاعي والثوري : لا تمتع لها ، وقال مالك والشافعي : لأحد لها مروف بل ما يقع عليه اسم التمة . وقال أبو حنيفة : إذا تنازع الزوجان في قدد التمة يجب لها نصف مهر مثلها ولا ينقص عن خمسة دراهم . وللشافعي فيها أقوال .

● ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ هذا يدل على أن الاعتبار في ذلك بحال الزوج ، فالتمة من النفي فوق التمة من الفقر ، والموسع : من اتسعت حاله ، والمقتر : القليل . قال ابن عباس : « المس » : « النكاح » و « الفريضة » : الصداق ، وأمر الله أن يتمتع على قدر عمره ويسره ، فإن كان موسراً متمها بخادم ، وإن كان معسراً متمها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك . وعنه قال : تمتع الطلاق أعلاها الخادم ، ودون ذلك الورق ^(٢) ، ودون ذلك الكسوة . وعن ابن عمر : أدنى ما يكون من التمة ثلاثون درهماً . ومتع الحسن بن علي رضي الله عنهما بشيرين ألفاً وزيقاق من عمل . وعن شريح أنه متع بمصفاة درهم . وعن ابن سيرين أنه كان يتمتع بالخادم والثقة والكسوة .

● قال تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ فيه دليل على أن التمة لا تجب لهذه المطلقة لوقوعها في مقابلة المطلقة قبل البناء والفرس التي تستحق التمة ، أي : فالواجب عليكم ما سميتم لهن من المهر ، وهذا جمع عليه ، وقد وقع الاتفاق أيضاً على أن المرأة التي لم يدخل بها زوجها ومات وقد فرض لها مهرأ تستحقه كاملاً بالموت ، وله الميراث وعليها

(١) البقرة : ٢٤٦ .

(٢) الورق : الدراهم المصروفة .

العدة.. واشتغلوا في الحلة هل تقوم مقام الدخول وتستحق بها المرأة كامل المهر كما تستحقه بالدخول أم لا ؟ فذهب إلى الأول مالك والثاني في التقديم وأهل الكوفة والخلفاء الراشدون وجمهور أهل العلم وتجب أيضاً عندم العدة ، وقال الثاني في الجديد : لا يجب إلا نصف المهر وهو ظاهر الآية ، لما تقدم من أن الميسر هو : المطلق ، ولا تجب عنده العدة ، وإليه ذهب جماعة من السلف .

● ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتَ﴾ أَيْ : الْمَطْلُوقَاتِ ﴿أَوْ يَمُوتَ الَّذِي يَدُهُ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾
 قيل : هو الزوج وبه قال الثاني في الجديد وأبو حنيفة وجماعة من السلف ، ووجهه ابن جرير وفيه قوة وضمف ، وقيل : هو الوالي وبه قال مالك ، وفيه أيضاً ضعف وقوة ، والراجح هو القول الأول . ﴿وَأَنْ تَمُوتَا أَوْ تَمُوتَا قَبْلَهُمَا﴾ قيل : خطاب للرجال والنساء تظلياً .

● ﴿وَلَا تَلْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ومن جملة ذلك أن تفضل المرأة بالمهر عن النصف وتفضل الرجل عليها إلا كمال المهر .

٢٣ - باب ما نزل في وصية المتوفى للزوج

﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً إِلَّا لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ۝ ٢٤٠﴾ [٢٤٠]

● قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ أَيْ : يَمُوتُونَ مِنْ
 الوفاة ، قال الجمهور إنها منسوخة بالأربعة الأشهر والعشر ، وقال مجاهد : هي
 حكمة . وحكى ابن عطية وعباس أن الإجماع منقاد على أن الحول منسوخ وأن
 عندها أربعة أشهر وعشر . ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ بثلاثة أشياء : الثلقة ، والكسوة ،
 والمكنتى . وهذه الثلاثة تستمر سنة . ويجب أن يحيط على الزوجة ملازمة السكن وترك
 التزين والإحتداد .

• ﴿ متاعاً إلى الحول ﴾ وهو نفقة السنة والسكنى من تركهم ﴿ غير إخراج ﴾ أي : لا يخرجون من مساكنهم .

• ﴿ فإن خرجن ﴾ باختيارهن قبل الحول ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ أي : على الولي والخاصة ﴿ فيما فعان في أنفسهن ﴾ من التمريض للخطاب ﴿ من معروف ﴾ في الشرع غير منكر فيه ، وفيه دليل على أن النساء كن عذرات في سكنى الحول ، وليس ذلك بحتم عليهن .

* * *

٢٤ - باب ما نزل في متعة المطلقات

﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۝ ﴾ [٢٤١] .

• قال تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ﴾ .

قيل : هي المتعة وأنها واجبة لكل مطلقة ، وقيل الآية خاصة بالوائى قد جومعن ، وقيل عامة تشمل للتمة الواجبة وغيرها وهي متعة سائر المطلقات فلهذا مستحبة فقط ، وقيل : المراد بالتمة : النفقة .

* * *

٢٥ - باب ما نزل في شهادة النساء

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ۝ ﴾ [٢٨٢] .

• قال تعالى : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ﴾ هذه قطعة من آية الدين الطولى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ فيه أن المرأتين في الشهادة يزوج ، وأنها لا تجوز شهادة النساء إلا مع الرجل لا وحدهن ، إلا أنها لا يطلع عليه غيرهن للضرورة . واختلفوا هل يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعى ، كما جاز

الحكم بشعادة رجل مع يمين المدعى ، فذهب مالك والثاقلني إلى أنه يجوز ذلك لأن الله تعالى قد جعل الرأتين كالرجل في هذه الآية ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا يجوز ، وهذا يرجع إلى الخلاف في الحكم بشاهد مع يمين المدعى . والحق أنه جائز لورود الدليل عليه ، وهو زيادة لم تخالف ما في الكتاب العزيز ؛ فيتمتعين قبولها كما أوضح ذلك في « شرح المتقي » . ومعلوم عند كل من يفهم أنه ليس في هذه الآية ما يرد به قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاهد واليمين ، ولم يدفعوا هذا إلا بقاعدة مبنية على شفا جرف هار ، وهي قولهم إن الزيادة على النص : نسخ ، وهذه دعوى باطلة ، بل الزيادة على النص شريعة ثابتة جاءت بها صلى الله عليه وسلم بالنص المتقدم عليها ، وأيضاً كان يازمهم ألا يحكموا بنسكول المطلوب ولا ييمين الرد على الطالب ، وقد حكموا بها الجواب الجواب .

● ﴿ أن تفضل إحداهما ﴾ أى : تنسى ، تذكر إحداهما الأخرى ، أى : القدا كرة الناسية . وهذه الآية تعليل لاعتبار العدد في النساء ، أى : فليشهد رجل ولتشهد امرأتان عوضاً عن الرجل الآخر لأجل تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت ، وإنما اعتبر فيهما التذكير لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال .



مَا نَزَّكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْاَنْعَامِ

٢٦ - باب ما نزل في حب الشهوة من النساء

{ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ } [١٤]

• قال تعالى في سورة آل عمران :

{ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } المراد بالناس : الجنس . « والشهوات » : جمع شهوة ، وهي نزوع النفس إلى ما تريده وتوقاها إلى الشيء للشهوى . والمراد هنا المشتهيات عجز عنها بالشهوات مبالة في كونها مرغوبة فيها أو مخفياً لها : { من النساء } بدأ بهن لكثرة تشوق النفوس إليهن والاستئناس والالتذاذ بهن ، لأنهن خبايا الشيطان وأقرب إلى الاقتان .

إِنَّ النِّسَاءَ شَيْطَانٌ خَلَقْنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

٢٧ - باب ما نزل في نذر امرأة عمران

وفي مريم عليها السلام

{ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أَخِيفُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ قَالَ يَمْرُؤُا إِنَّ لَكَ مِنْهَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [٣٥ - ٣٧]

● قال تعالى : ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ اسمها « حنة » بنت فلقد أم مريم
 فهي جدة عيسى ، وعمران هو ابن مائان جد عيسى عليه السلام وليس نبياً ﴿ وب
 إني نذرت لك ما في بطن عررا ﴾ هذا النذر كان جائراً في شريعتهم ، والراد بالحرية
 هنا ضد اليهودية وقيل : المحرر الخالص لله لا يشوبه شيء من أمر الدنيا ، وهلك
 عمران وهي حامل . ﴿ فتقبل مني ﴾ قال ابن عباس : نذرت أن تجعله في الكنيسة
 بتبديدها . وقال مجاهد : خادماً للبيعة . ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ .

● ﴿ فلما وضعتها ﴾ أنى ﴿ قالت رب إني وضعتها أنى والله أعلم بما وضمت
 وليس الذكر كالأُنثى ﴾ أى : أمر هذه الأُنثى عظيم وشأنها غم ففى خير منه وإن
 لم تصلح للسدانة ، فإن فيها مزايا أخر لا توجد فى الذكر ، وعلى هذا فالسلام
 على ظاهره ولا قلب ، وقيل : ليس الذكر الذى أردت أن يكون خادماً ويصلح
 للنذر كالأنثى التى لا تصلح لملك بل هو خير منها ، وكأنها اعتذرت إلى ربها ، وعلى
 هذا ففى السلام قلب ، وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها .

● ﴿ وإنى سميتها مريم ﴾ أى : العابدة ، ومقصودها من هذا الإخبار بالتسمية :
 التقرب إلى الله فإن معنى « مريم » : خادم الرب بلقمتهم .

● ﴿ وإنى أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ عن أبى هريرة رضى الله
 عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من بنى آدم من مولود
 إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نحره إمه إلا مريم وابنها »^(١)
 متفق عليه . وللهديث ألفاظ عنه .

● ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ أى : رضى بها فى النذر وسلك بها مسلك
 السعداء ﴿ وأنتها نبأتاً حسناً ﴾ أى : سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان .

● ﴿ وكفلها زكريا ﴾ أى : ضمها إليه بالقرعة لا بالوحى ، وكان من ذرية
 سليمان ، وعن ابن عباس وناس من الصحابة : أن مريم كانت ابنة سيدهم وإمامهم
 فتشاح عليها أجارهم فافتروا فيها بسهامهم أيهم يكفلها . وكان ذكر زكريا زوج اختها^(٢)
 فكفلها وجعلها معه فى محرابه وكانت عنده وحضتها .

(١) تفسير الوصول ١ : ١٠٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ : ٢٦٠ : « . . . ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن
 اسحاق وابن جرير وغيرهما ، وقيل زوج اختها كما ورد فى الصحيح » .

- ﴿كَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قيل : فأكهة الشتاء في الصيف وناكة الصيف في الشتاء ، وقال ابن عباس : عنباً في مكمل (١) في غير حينه .
- ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهذا يدل على جواز الكرامة لأولياء الله تعالى .

* * *

٢٨ - باب ما نزل في ولادة الماهر وزوجها شيخ كبير

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾
 قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿[٤٠]﴾

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ استبعد حصول الولد منهما مع كون الماده قاضية بأنه لا يحدث من مثلها ، لأنه كان يوم التبشير ابن تسعين سنة ، وقيل ابن مائة وعشرين سنة ، وكانت امرأته في ثمان وتسعين سنة ، « والماهر » : النقي لا تلد . وقيل : إنه قد مر بعد دعوته إلى وقت بثانها أربعون سنة ، وقيل عشرون سنة ، فكان الاستبعاد من هذه الحيثية .
- ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الأفعال المعجبية مثل ذلك للعلل هو إيجاد الولد من الشيخ الكبير وللراة الماهر .

* * *

٢٩ - باب ما نزل في اصطفاء مريم وأمرها بالعبادة

﴿وَاذْكُورَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأْتُكَ يَمْرُؤً إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
 وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ • يَمْرُؤُ أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي
 وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿[٤٢-٤٣]﴾

(١) المكمل : شبه الزميل .

— ٤٩ —

● قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ مِنْ
مَسِيسِ الرِّجَالِ أَوِ السَّكْفَرِ ، أَوِ الذَّنُوبِ ، أَوِ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى عَمُومِهَا ، وَكَانَتْ
لَا تَحِيضُ . وَقِيلَ : إِنَّا حَاضَتُ قَبْلَ حَمَلِكِ بِمِيسَى مَرَّتَيْنِ ﴾ (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ)
قِيلَ . مِنْ نِسَاءِ عَالَمِ زَمَانِهَا ، وَهُوَ الْحَقُّ ، وَقِيلَ : نِسَاءُ جَمِيعِ الْعَالَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَلِاخْتَارَهُ الرِّجَالُ (١) .

● ﴿ يَا مَرْيَمُ اتَّقِي رَبَّكِ ﴾ أَي : أَطِيعِي لِلْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ ، أَوْ ادْعِيهِ وَدَعْوَى
عَلَى طَاعَتِهِ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ : ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أَي : صَلِّي
مَعَ الصَّالِينَ . فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْجَمَاعَةِ .

قال الأوزاعي : لما قالت الملائكة لما ذاك شفاهاً قامت حتى تورمت قدمها
وسالت دماً وقيحاً . وحكى عن مجاهد نحوه .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث علي كرم الله وجهه قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خير نساها مريم بنت عمران ، وخير نساها خديجة
بنت خويلد » (٢) .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً « أفضل نساء
الملائك خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى رفته « كل من الرجال كثير
ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على
النساء كفضل لقتر يد على سائر الطعام » (٣) . وفي المعنى أحاديث كثيرة تفيد أن
مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها فقط ، ويؤيده ما أخرجه ابن عساكر عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع نسوة سيدات نساء عالمهن مريم
بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، وأفضلهن
علماً فاطمة رضي الله عنها » .

(١) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج : خ : ٧٤٦ : ج . ٥٠ . ح لوحة ٨٩ .

(٢) صحيح البخاري : ٥ : ٤٧ وانظر تفسير الوصول : ٣ : ٩٩ .

(٣) تفسير الوصول : ٣ : ٩٩ .

٣٠ - باب ما نزل في تبشير مريم بالولد .

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ ﴾ [٤٥-٤٧]

• قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ لِمَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ أى : كائنة من عنده وناشئة منه من غير واسطة الأسباب المادية ، وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا خل ، وفى تفسير أبى السعود - مفتى الحنفية فى ديار الروم - فى سورة النساء : يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء الرشيد فناطر على بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له : إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله ، وتلاه هذه الآية قوله : « وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ »^(١) قرأ له الواقدي : « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ »^(٢) وقال : إذن يانزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه سبحانه ، فانقطع النصراني وأسلم ، وفرح الرشيد فرحاً شديداً وأعطى الواقدي صفة فاخرة .

وذلك الولد ﴿ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ قال أبو عبيد : هو بالعبرانية « منشعاً » فرب كاعرب موسى بموسى . قال فى الكشف : وهو لقب من الألقاب المشرفة ومعناه باللغة العبرانية : المبارك^(٣) .

إلى قوله سبحانه : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ منك ، من غير أن يمسك بشر ، وعبرتنا بالخلق وفى قصة يحيى بالفعل^(٤) لما أن ولادة المذراء من غير أن يمسها بشر أبعد وأغرب من ولادة عجموز عاتق من شيخ كبير .

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) الجاية : ١٣ .

(٣) الكشف للزمخشري : ٣٠٥ .

(٤) آل عمران : ٤٠ : « كذلك الله يفعل ما يشاء » انظر ص ٩١ من هذا الكتاب

٣١ - باب ما نزل في المباحلة بدعوة النساء فيها

﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٦١]

• قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ نزلت في قصة مباحلة نصارى نجران^(١) ، « والبهل » اللعنة . والمباحلة : لللاعنة ، والعبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فبدل على جواز المباحلة منه صلى الله عليه وسلم لكل من حاجه في عيسى ، وأمه^(٢) أسوته .

والآية دليل على فضل أصحاب الكساء^(٣) ، وفضل من آتى منهم من أهل بيته وهم : نبي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم ، وفيها أن أبناء البنات يسمون أبناء ، وإنما خض الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل .

وعن سعد رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فقال « اللهم هؤلاء أهلي » رواه مسلم والترمذي^(٤) .

والمباحلة جائزة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعند لا يقيس دفعه إلا بها ، وقد باهل بعض الساف كالحافظ ابن القيم في مسألة صفات الباري ، والحافظ ابن حجر وغيرهما جماعة من المقلدة ، فلم يقوموا بها وانهمزوا والله الحمد . ومن منع منها الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصب ولم يأتيه بدليل ، وكأنه جاهل بمسائل الدين .

(١) أسباب النزول : ٥٨ .

(٢) أي : تمثل به وتسير على مثاله .

(٣) أسباب النزول : ٢٠٣ .

(٤) تيسير الوصول ٣ : ٨٢ .

٣٢ - باب ما نزل في عدم ضياع عمل الآثي

﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ ﴾ [١٩٥]

● قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ ﴾ : لا أجهل بل أنيكن عليه ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ « من » بيانية مؤكدة ، لما تقتضيه النكرة الواقعة في سياق النفي من العموم .

● ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أي : رجالكم مثل نساءكم في ثواب الطاعة والمقاب ، ونساءكم مثل رجالكم فيها ، وقيل في الدين والنصرة والمالاة ، والأول أولى .



مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي بُيُوتِكُمُ النِّسَاءِ

٣٣ - باب ما نزل في خلق حواء من آدم عليه السلام

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ ﴾ [١]

• قال تعالى في سورة النساء : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ آدم عليه السلام وحواء ﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواء ، قيل : خلقت قبل دخوله الجنة ، وقيل : بعد دخوله إيها .
• ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾ أى : فرق وفرق من آدم وحواء للمبر عنها بالنفس والزوج رجالاً كثيراً ونساءً ﴿ أى : نساء كثيرة ، وترك التعميم به استثناء أو اكتفاء بالوصف الأول (١) .

• ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ كانوا يقرنون بينهما في السؤال والناشدة فيقولون : أسألك بالله والرحم ، وأنشدك الله والرحم ، قيل التقدير : واتقوا قطع مودة الأرحام ، فإن قطع الرحم ، من أكبر الكبائر . وصلة الأرحام باب لكل خير ، تزيد في العمر ، وتبارك في الرزق ، وقطعها سبب لكل شر ، ولذا وصل تقوى الرحم بتقوى الله . وصلة الرحم تختلف باختلاف الناس ؛ فتارة تكون عادته مع راحة الصلة بالإحسان ، وتارة بالخدمة وقضاء الحاجة ، وتارة بالمسكينة ، وتارة بحسن العيادة ، وغير ذلك .

« والأرحام » : اسم لجميع الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره ، لاخلاف في هذا بين أهل التشريع واللغة ، وقد خص أبو حنيفة رحمه الله « الرحم » بالمحرم في منع الرجوع في الهبة مع موافقته على أن معناها أعم ، ولا وجه لهذا التخصيص .

(١) في قوله : « رجالاً كثيراً » .

٣٤ - باب ما نزل في تعدد الأنكحة

﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [٤ - ٣]

• قال تعالى: ﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ «من» بيانية أو تبعية ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أي: اثنتين اثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً . وقد استدل بالآية على تحريم ما زاد على الأربع ، والآية تدل على خلاف ما استدلوا به ، فالأولى أن يستدل على تحريم الزيادة على الأربع بالسنة لا بالقرآن، كما في حديث ابن عمر في قصة غيلان الثقفي عند أحمد وغيره ، وكانت تحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اختر منهن » وفي لفظ « أمسك منهن أربعاً ، وفارق سائرهن » وله الفاظ وطرق (١) .

وفي الباب حديث نوفل الديلمي وكانت عنده خمس نسوة فقال له صلى الله عليه وسلم : « أمسك أربعاً وفارق الأخرى » أخرجه الشافعي . وحديث قيس الأسدي وكانت تحته ثمانى نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختر منهن أربعاً وخل سائرهن » أخرجه ابن ماجه . لولا أن في هذه السنن مقالا .

• ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ بين الزوجات في القسم والثقة ونحوهما ﴿فواحدة﴾ أي : فأنكحوا واحدة ، وفيه المنع من الزيادة على الواحدة لمن خاف ذلك .

﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ أي : اقتصروا على السراى وإن كثر عددهن ، كما يفيد الوصول ، إذ ليس لمن من الحقوق ما للزوجات ، والمراد نكاحهن بطريق الملك لا بطريق النكاح ، وفيه دليل على أنه لا حق للمملوكات في القسم ؛ كما

(١) تفسير ابن كثير ١ : ٤٥٠ . وانظر البخارى ٧ : ١٣ .

يدل على ذلك جملة قسما للواحدة في الأمن من عدم العدل .

● ﴿ذلك﴾ أى : نكاح الأربعة فقط أو الواحدة أو التسرى ﴿أذى﴾ أى : أقرب ﴿ألا تولوا﴾ تجودوا ، وقيل : تباروا ، وقيل : تفتقروا .

● ﴿وأتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ أى : عطاء ، وقيل : تديناً ، وقيل : طية النفس ، وقيل : المهر . ومعنى الآية : على كون الخطاب للأزواج : أعطوهن مهورهن عطية أو ديانة أو فريضة . وعلى كون الخطاب للأولياء : أعطوهن تلك المهور الذى قبضن من أزواجهن . والأول أولى ، وهو الأشبه بظاهر الآية ، وعليه الأكثر .

وفى الآية دليل على أن الصداق واجب على الأزواج للنساء ، وهو جمع عليه ، وأجمعوا على أنه لا حد لسكثيره ، ولختلفوا فى قليله .

● ﴿فإن طاب لکم عن شيء منه نفساً﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا كان من غير ضرار ولا خديعة فهو هنيئاً مريئاً ، كما قال تعالى : ﴿فكوا به نيتاً مريئاً﴾ وفى « طاب » دليل على أن المعتبر فى تحايل ذلك منهن لهم إنما هو طية النفس ، لا مجرد ما يصدر منها من الألفاظ التى لا يتحقق معها طية النفس ، فإذا ظهر منها ما يدل على عدم طية نفسها لم يحل للزوج ولا للولى ، وإن كانت تلتفت بالهبة أو للنذر أو نحوهما . وما أقوى دلالة هذه الآية على عدم اعتبار ما يصدر من النساء من الألفاظ المفيدة للتملك بمجرد ما ؛ لنقصان عقولهن وضعف إدراكهن ، وسرعة انخداعهن وانجذابهن إلى ما يراى منهن بأيسر تغيب أو ترهيب

* * *

٣٥ - باب ما نزل فى نصيب النساء مما ترك الوالدان

● ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [٧]

● قال تعالى : ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ للتوفون من البراث وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴿من المال الخلف عن الميت﴾ : ﴿مما قل﴾ منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴿ففى الآية دليل على أن

الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يستطع بالاعراض ؛ قاله البيضاوى . أجل سبحانه
في هذا الموضع قدر النصيب المفروض ثم أنزل قوله : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾
بين ميراث كل فرد وعياني .

* * *

٣٦ - باب ما نزل في سهام النساء من الميراث

﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل
واحد منهما الثلث مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد
وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه الثلث من بعد
وصية يوصي بها أو دين . . . ﴾ [١١]

• قال تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ هذا تفصيل لما أجل في الآية الأولى
من أحكام الموارث ، وقد استدل بها على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة ،
وهذه الآية بطولها ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمد الأحكام هوام من أمهات
الآيات ، لاحتكامها على ما بهم من علم الفرائض . وقد كان هذا العلم من أجل علوم
الصحابة رضى الله عنهم ، وأكثر مناظراتهم فيه . وهذه الآية ناسخة لما كان في
صدر الإسلام من الموارثة بالخلف والمهجرة والمافدة .

• للذكر مثل حظ الأنثيين المراد حال اجتماع الذكور والإناث ، أما حال
الانفراد فلذكر جميع الميراث ، وللأنثى النصف ، وللأثنين فصاعداً الثلثان .

• ﴿ فإن كن الأولاد للتروكات ﴾ (نساء) ليس ممن ذكر ﴿ فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك ﴾ أى : الميت ، وظاهر النظم القرآنى أن الثلثين فريضة (١) الثلاث من البنات
فصاعداً ، ولم يسم للاثنتين فريضة ، ولهذا اختلف في فريضتهما ؛ فذهب الجمهور إلى أن

(١) أسباب النزول . ٨٢ ، تفسير الرسول ٦ : ٢٠٦ .

لها إذا انفردتا عن البنين الثلاثين ، وذهب ابن عباس إلى أن فرضتهما النصف .

وأوضح ما يحتاج به الجمهور حديث جابر قال : « جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تنكحان إلا ولهما مال » . فقال : « يقضى الله في ذلك » فنزلت آية الميراث : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال : « أعط ابنتي سعد الثلاثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك » . أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم والبيهقي في سننه ، وأخرجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ، قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه (١) .

● « وإن كانت واحدة » بالرفع ، أى : فإن وجدت بنت واحدة على أن « كان » تامة ، وقرئ بالنصب أى : وإن كانت المتروكة أو المولودة واحدة ، وهذه قراءة حسنة « فلها النصف » يعنى : فرضاً لها .

● « ولا بوية » أى : الميت ، والمراد بهما الأب والأم ، وهذا شروع في إرث الأصول « لكل واحد منهما السدس مما ترك » .

واختلف في الجدة هل هو بمنزلة الأب فيسقط به الإخوة أم لا ؟ فذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الأول ، ولم يخالفه أحد من الصحابة أيام خلافته ، واختلفوا في ذلك بعد وفاته ، وبقوله قال أبو حنيفة . وذهب على وزيد بن ثابت إلى توريث الجدة مع الإخوة لأبوين أو لأب ولا ينقص منهم من الثلث ، ولا ينقص مع ذوى العروس من السدس في قول مالك وأبي يوسف والثشافى ، وذهب الجمهور إلى أن الجدة يسقط بنى الإخوة .

وأجمع العلماء على أن للجدة السدس إذا لم يكن للبيت أم ، وأجمعوا على أنها ساقطة مع وجود الأم ، وعلى أن الأب لا يسقط الجدة أم الأم ، واختلفوا في توريث الجدة وابنها حيي فقيل : إنها لا ترث ، وبه قال مالك وأصحاب الراى ، وقيل : ترث ، وبه قال أحمد .

(١) تيسير الوصول ١ : ١٠٦ وفيه « ... وفي أخرى لأبي داود أن امرأة سعد ابن الربيع قالت : وذكر الحديث وقال : هذا هو الصواب وكذا هو في رواية الترمذي » .

﴿إن كان له ولد﴾ الولد يقع على الذكر والأنثى ، لكنه إذا كان الموجود الذكر من الأولاد وحده أو مع الأنثى منهم فليس للجد إلا السدس ، وإن كان الموجود أنثى كان للجد السدس بالفرض وهو عصة فيما عدا السدس ، وأولاد ابن الميت كأولاد الميت .

● ﴿فإن لم يكن له ولد﴾ ولا ولد ابن لما تقدم من الإجماع ﴿ورثه أبواه﴾ مفردين عن سائر الورثة أو مع زوج ﴿فلازمة الثالث﴾ أى : ثلث المال ، كما ذهب إليه الجمهور من أن الأم لا تأخذ ثلث للتركة إلا إذا لم يكن للميت وارث غير الأبوين ، أما لو كان معها أحد الزوجين فليس للأم إلا الثلث الباقي بعد الموجود من الزوجين .

● ﴿فإن كان له إخوة﴾ يعنى : ذكورا أو إناثا اثنين فصاعدا ﴿فلازمة السدس﴾ يعنى : للأم الميت سدس التركة إذا كان معها إخوة ، وإطلاق الإخوة يدل على أنه لا فرق بين الإخوة لأبوين أو لأحدهما ، وقد أجمع أهل العلم على أن الاثنين من الإخوة يقومان مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأم إلى السدس ، وأجمعوا أيضاً على أن الاثنين فصاعداً كالأخوين في حجب الأم .

● ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يعنى : أن هذه الأنصبة والسهم إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه ، وأخرج أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم وغيرهم ، عن على كرم الله وجهه قال : إنكم تقرأون هذه الآية ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بنى الأم يتوارثون دون بنى العلات (١) .

* * *

٣٧ - باب ما نزل في سهم الأزواج من الزوجات

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ﴾ [١٢]

(١) تيسير الوصول ٣ : ١٤٣ - ١٤٤ . وفيه « الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه » ، وفيه : « الأعيان » الأخوة من الأب والأم و « والعلات » : الذين أبوم واحد وأمهاتهم شتى .

● قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نَصْفَ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ منكم أو من غيركم ، الخطيب هنا للرجال ، والمراد بالولد : ولد الصاب أو ولد الولد ذكر أو أنثى ، لما قدمنا من الإجماع .

● ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ﴾ وهذا جمع عليه ، لم يختلف أهل العلم في أن الزوج مع عدم الولد النصف ومع وجوده وإن سفل الربع .

● ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ ﴾ أى : حالة كونهن غير مضادات في الوصية ، وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ، وهذا ميراث الأزواج من الزوجات .

٣٨ - باب ما نزل في سهم الزوجات من الأزواج

﴿ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ﴾ [١٢]

● قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ ﴾ أى : الزوجات تتمددن أولا ﴿ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ﴾ : هذا بيان ميراث الزوجات من الأنواع ﴿ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴿ هذا النصيب مع الولد ، والنصيب مع عدمه تنفرد به الواحدة من الزوجات ويشارك فيه الأكثر من الواحدة لا خلاف في ذلك ، يعنى أن الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن ، وكذلك لو كن أربع زوجات فلهن يشتركن في الربع أو الثمن ، ولا فرق بين الولد ، وولد الابن ، وولد البنت في ذلك ؛ وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها .

● ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ أى : بعد أحد هذين منفرداً أو مضموماً إلى الآخر .

● ﴿وإن كان رجلٌ منكم ميتاً﴾ ميت ﴿يورث﴾ من ورث لا من أورث ﴿كلالة﴾ وهو الميت الذى لا ولد له ولا والد ؛ قاله جمهور أهل العلم ، وقد قيل : إنها إجماع ، وهو قول جمهور الأئمة الأربعة ، وورد فيه حديث مرفوع . ﴿أو امرأة﴾ أى : كانت المرأة للورثة خالية من الوالد والولد ﴿وله أخ أو أخت﴾ قال القرطبي : اجمع العلماء على أن الإخوة هاهنا هم الإخوة للأُم ، قال : ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو للأب ليس ميراثهم هكذا .

وأفرد الضمير فى قوله « وله » لأن للراد كل واحد منهما ﴿فأسكل واحد منهما السدس﴾ مما ترك للورث .

● ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك﴾ بأن يكون للوجود اثنين فصاعداً : ذكراً أو اثنين ، أو ذكراً وأنثى ، قيل : وهذا إجماع .

ودلت الآية على أن الإخوة لأم إذا استكمل بهم السألة كانوا أقدم من الإخوة لأبوين أو لأب ، وذلك فى السألة السمة بالحجارة^(١) . وإذا تركت الميتة ؛ زوجاً ، وأمّاً ، وأخوين لأم ، وإخوة لأبوين ؛ فإن للزوج النصف ، وللأم السدس ، وللأخوين لأم الثلث ، ولا شيء للإخوة لأبوين ، ويؤيد هذا حديث : « ألقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى رجل ذكر »^(٢) . وهو فى الصحيحين وغيرهما . وقد قرر الشوكانى رحمه الله دلالة الآية والحديث على ذلك فى رسالته « للباحث الدرية فى المسائل الحجازية » وفى هذه المسألة خلاف بين الصحابة فمن بعدهم معروف . ﴿فهم شركاء فى الثلث﴾ يستوى فيه ذكرهم وأنثاهم .

● ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال ويعضه ، لكن ورد فى السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سمعته ابن عباس : « الثلث والثلث كثير »

(١) وسبب تسمية المسألة بـ «الحجازية» هو أن الإخوة لأبوين قالوا لأمير - رضي الله عنه -
 هب أن أبانا كان حاراً . ويسمينا بعضهم المشتركة . انظر الموارث فى الصريعة الإسلامية
 لفقيه الشيخ حسين عثوف ٨٨ - ٨٩ .
 (٢) صحيح البخارى ٨ : ١٨٩ .

أخرجه الشيخان^(١) . ففي هذه دليل على أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث ، وأن الثمنان عن الثلث جائز . ﴿ غير مضار ﴾ لورثته بوجه من وجوه الإضرار .

● ﴿ وصية من الله ﴾ وفي كون هذه الوصية من الله سبحانه دليل على أنه قد وصى عباده بهذه التفاصيل المذكورة في القرآن ، وأن كل وصية من عباده مخالفاً فهي مسبوبة بوصية الله ؛ كالوصايا للتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض وللشملة على الضرار بوجه من الوجوه .

* * *

٣٩ - باب ما نزل في الآيات بالفاحشة

﴿ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [١٠]

● قال تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ أى : الفعلة القبيحة والمراد بها هنا الزنا خاصة ، وإتيانها ثم فعلها ومباشرتها ﴿ من نساءك ﴾ هن الملمات ﴿ فاستشهدوا عليهن أربعة ﴾ خطاب للأزواج أو للحكام ، قال عمر بن الخطاب : إنما جعل الله للشهود أربعة سترًا ؛ يستركم به دون فواحشكم ﴿ منكم ﴾ المراد به : الرجال المسلمون . ● ﴿ فإن شهدوا ﴾ عليهن بها ﴿ فأمسكوهن ﴾ أى : اجسوهن ﴿ في البيوت ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿ حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾ ذلك السبيل كان مجازاً لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتترجم عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » . رواه مسلم من حديث عبادة^(٢) . صار الحديث بياناً لتلك الآية لا نسخاً لها .

* * *

(١) صحيح البخارى ٨ : ١٨٧ ، انظر تيسر الوصول ٣ : ٣٦٧ .

(٢) تيسر الوصول ١ : ١٠٧ : وفيه : خلوأعني ، خذوا عني ، وفي سنة ٠٠ . أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى .

٤٠ - باب ما نزل في إرث النساء والمطل وعدم

أخذ المهر منهن وإن زاد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْتَهَبُوا بَعْضَ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبِيرًا كَثِيرًا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ غَنَاقًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهِنَّ وَاتَّعَيْنَا كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [١٩ - ٢١]

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۚ أَيْ : مَكْرَهًا عَلَى ذَلِكَ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ بَيَضُح بِمَعْرِفَةِ سَبَبِ نَزُولِهَا (١) ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقُّ بِأَمْوَالِهِ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَرْوِجَهَا وَإِنْ شَاءُوا زَوْجُوهَا وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يَزَوْجُوها فَهِيَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ وَفِي لَفْظِ لَابْنِ دَاوُدَ عَنْهُ : كَانَ الرَّجُلُ يَرِثُ امْرَأَةً ذَاتَ قُرَابَةٍ خِيَمَظَلَهَا حَقَّ تَمُوتَ أَوْ تَرَدَّ إِلَيْهِ صَدَاقُهَا . وَفِي لَفْظِ لَابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ أَبِي حَاسِمٍ عَنْهُ : إِنْ كَانَ كَانَتْ جَمِيلَةً تَرْوِجَهَا وَإِنْ كَانَتْ ذَمِيمَةً حَبَسَهَا حَقَّ تَمُوتَ فِي رِثَتِهَا .

وقد روى هذا السبب بالفاظ ، لثمتاها : لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوهُنَّ بِطَرِيقِ الْإِرْثِ قَزَعُوا أَنْكُمْ أَحَقُّ بِهِنَّ مِنْ غَيْرِكُمْ وَتَحْبِسُوهُنَّ لِاتَّقْسِمَ .

● ﴿ وَلَا ۚ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ عَنْ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ غَيْرَكُمْ ضَرَارًا ﴿ لِيَنْتَهَبُوا بَعْضَ مَا آتَيْنَهُنَّ ﴾ أَيْ : لِيَأْخُذُوا مِيرَاثَهُنَّ إِذَا مَتَّ ، أَوْ لِيَدْفِنَ إِلَيْكُمْ صَدَاقَهُنَّ إِذَا أَدَّيْتُمْ لَهُنَّ فِي النِّكَاحِ . وَقِيلَ : الْخَطَابُ لِلزَّوْجِ النِّسَاءِ إِذَا حَبَسُوهُنَّ مَعَ سُوءِ الْخُشْرَةِ طَلْعًا فِي إِرْثِهِنَّ أَوْ يَفْتَدِينَ بَعْضَ مَهْرُوهنَّ . وَاخْتَلَا

(١) أسباب النزول : ٨٣ - ٨٤ .

ابن عطية . وأصل العضل : المنع ، أى : لا تمنعوهن من الأنوال ، ودليل ذلك قوله : ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ فإنها إذا أتت بفاحشة فليس للولى حبسها حتى يذهب بملها ؛ إجماعاً من الأمة ، وإنما ذلك للزوج . قال الحسن : إذا زنت البكر تجلد مائة وتغنى ويرد إلى زوجها ما أخذت منه ، وقال أبو قلابة : إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تهتدى منه ، وقال السدى : إذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن ، وقال قوم : لفاحشة : البذاء باللسان وسوء المشرة قولاً وفعلًا ، وقال مالك وجماعة من أهل العلم : للزوج أن يأخذ من الناشئة جميع ما تملك ، وهذا كله على أن الخطاب فى قوله : ﴿ ولا تمضوهن ﴾ للأزواج ، وقد عرفت فى سبب النزول أن الخطاب لمن خوطب بقوله : ﴿ لا يحل لكم ﴾ فيكون المضى : إن يأتين بفاحشة جاز لكم حبسهن عن الأزواج ، ولا يخفى ما فى هذا من التعسف ، مع عدم جواز حبس من أتت بفاحشة عن أن تزوج وتستعف من الزنا ، وكما أن فى جعل قوله : ﴿ ولا تمضوهن ﴾ خطاباً للأولياء فيه تصف ظاهر ، مع مخالفته لسبب نزول الآية ، والأولى أن يقال : إن الخطاب فى قوله : ﴿ ولا يحل لكم ﴾ للمسلمين ، أى : لا تفعلوا كما كانت تفعله الجاهلية ولا تحبسوهن عندكم مع عدم رغبتكم فبهن ، بل لقصد أن تذهبوا ببعض ما آتيتوهن من المهور يفتدين به من الحبس والبقاء تحسبكم وفى عقيدتكم مع كراهتكم لمن ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ جاز لكم مخالتهن ببعض ما آتيتوهن .

● (وعاشرهن بالمعروف) خطاب للأزواج أو أعم ، وذلك مختلف باختلاف الأزواج فى النفى واللقر والرفعة والفضة ، قال السدى : أى : خالطوهن ، وقيل : خالطوهن . قال عكرمة : حقها عليك الصبغة الحسننة والكسوة والرزق بالمعروف .

● (فإن كرهتموهن) بسبب من الأسباب من غير ارتكاب فاحشة ولا نفوذ ففسى أن يؤول الأمر إلى ما تحبونه من ذهاب الكراهة وتبدلها بالمحبة ، فيكون فى ذلك خير كثير من استدانة الصبغة وحصول الأولاد ، فيكون الجزاء على هذا عذوفاً مدلولاً عليه بملته ، أى : فإن كرهتموهن فاصبروا ولا تهاقوهن بمجرد هذه الثمرة . (ففسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) قال ابن عباس : الخير الكثير أن يعطف عليها فيرزق منها ولداً ، ويجعل الله فى ولدها خيراً كثيراً . وعن السدى نحوه . وقال مقاتل : يطلقها فتزوج من بعده رجلاً فيجعل الله له منها ولداً ، ويجعل فى تزويجها خيراً كثيراً . وعن الحسن نحوه . وقيل : فى الآية تنب

إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها ، لأنه إذا كره صحبتها وتعمل ذلك المكروه . طلباً للثواب ، وأتفق عليها وأحسن صحبتها ؛ استحق الثناء الجليل في الدنيا ، والثواب الجزيل في الآخرة .

• ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ﴾ الخطاب للرجال ، والمراد بالزوج : الزوجة ﴿ وآتيتم إحداهن ﴾ وهي المرغوب عنها ﴿ قططاً ﴾ أي : مالا كثيراً . وفي الآية دليل على جواز المنالة في المهور ﴿ فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ والمراد هنا : غير المختلعة . قال ابن عباس : إن كرهت امرأتك وأعجبتك غيرها ، فطلقت هذه وتزوجت تلك ، فأعط هذه مهرها وإن كان قططاً .

« فائدة » أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى - قال السيوطي : بسند جيد - أن عمر بن الخطاب قال : ما أنزل الله ؛ يقول : ﴿ وآتيتم إحداهن قططاً ﴾ فقال : اللهم غفرأ كل الناس ألقه من عمر ، فركب للنبر فقال : « يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تريدوا النساء في صدقاتهن على أربعائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » قال أبو يعلى : وأظنه قال : « فمن طابت نفسه فليعمل » . قال ابن كثير : إسناده جيد قوي ^(١) . وقد رويت هذه القصة بألفاظ مختلفة هذا أحدها . وقيل : المعنى لو جعلتم هذا القدر لمن صدقاتاً فلا تأخذوا منه شيئاً ، وذلك أن سوء المشورة إما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة ، فإن كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيئاً من صدقاتها ، وإن كان التشوؤ من قبل المرأة جاز له ذلك .

• ﴿ تأخذونه بهتانا وإنما مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بهنكم إلى بعض ﴾ قال المروى والكلبي : هو إذا كانا في لحاف واحد جامع أو لم يجامع ، وينحوه قال الفراء ^(٢) . وقال ابن عباس واختاره الزجاج ^(٣) : هو في هذه الآية الجامع ولكن الله يكتفى به .

﴿ وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ هو عقد النكاح ، وقيل : هو الإمساك أو

(١) تفسير ابن كثير : ١ : ٤٦٧ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١ : ٢٥٩ .

(٣) لأعراب القرآن وسامية الزجاج خ ٢٤٦ ج ٥ . د . ع لوحة ٦٥ .

التسريح ، وقيل : هو الأولاد ، وكان ابن عمر إذا نكح قال : نكحتك على ما أمر الله به : إيمانك بمعرف أو تسريح بإحسان .

* * *

٤١ - باب ما نزل في النهي عن نكاح نساء الآباء

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ

لَهُمْ كَانَ فِئْهِتُهُ وَمَقِيَّتًا وَّسَاءَ سَبِيلًا ۚ ﴾ [٢٢]

● قال : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ نهى عما كانت عليه الجاهلية من نكاح نساء آبائهم ، والمراد : آبائكم من نسب أو رضاع : ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ في الجاهلية فاجتنبوه ودعوه فإنه منقور ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقِيَّةً ﴾ وقد كانت الجاهلية تسميه : « نكاح اللقت » ، وهذه الجملة دلت على أنه من أشد المحرمات وأقبحها ، قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن نكاح اللقت فقال : هو أن يتزوج رجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ، ويقال لهذا : « الضيزن » . ويسمى الولد من امرأة أبيه « مقيتاً » ، وكان منهم الأشعث بن قيس ، وأبو معيط .

وعن البراء رضي الله عنه قال : لقيت خالي ومعه الراية قلت : أين تريد ؟ قال : « بشق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده ، فأمرني أن أضرب عنقه وأخذ ماله » ^(١) رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والحاكم وصححه البيهقي في سننه .

﴿ وِسَاءَ سَبِيلًا ﴾ أي : ذلك للنكاح لأنه يؤدي إلى مقت الله ، وقيل : مقولا في حق نساء سبيلا ، فإن السنة الأم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الأمصار والأعصار ^(٢) . قيل مراتب القبيح ثلاث ، وقد وصف الله هذا النكاح بكل ذلك ، فقوله : فاحشة محرمة بقبح العقل ، وقوله : مقية مرتبة بقبح الشرع ، وقوله : ساء سبيلا مرتبة بقبحه للمعادي ، وما اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبيح ، أعادنا الله منه .

* * *

(١) تيسير الوصول ١ : ٣٠١ ، انظر أسباب النزول : ٨٤ .

(٢) جمع مصر وهي البلد ، وجمع عصر وهو الفترة من الزمن .

٤٢ - باب ما نزل في النساء المحرمات على الرجال

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَاءُكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ
مِّنْ نِّسَاءِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٢٤]

● قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما ﴾ .

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ما يحل وما يحرم من النساء ، لحرم سبعا من النسب ، وستا من الرضاع والصهر ، وألحقت السنة المتواترة بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها . ووقع عليه الإجماع .

والسبع المحرمات من النسب : الأمهات والبنات والأخوات والعمات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت .

والمحرمات بالصهر والرضاع : الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والربائب وحلائل الأبناء والجمع بين الأختين ، فهؤلاء ست ، والسابعة منكوحات الآباء ، والثامنة : الجمع بين المرأة وعمتها .

قال الطحاوي : وكل هذا من الحكم المتفق عليه وغير جائز نكاح واحدة منهن بالإجماع ، إلا أمهات النساء اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن . قلت : ويدخل في لفظ الأمهات : أمهاتن وجدتهن وأم الأب وجدته وإن علون ، لأن كلهن

أمهات لمن ولد من ولده وإن سفل ، ويدخل في لفظ البنات بنات الأولاد وإن سفلن ، والأخوات يصدقن على الأخت لأبوين أو لأحدهما ، والعمة اسم لكل أنثى شاركت أباك أو جدك في أصله ، أو أحدهما ، وقد تكون العمة من جهة الأم وهي أخت أبي الأم ، والحالة اسم لكل أنثى شاركت أمك أو جدتك في أصلها أو أحدهما ، وقد تكون الحالة من جهة الأب وهي أخت أم أباك ، وبنت الأخ اسم لكل أنثى لأخيك عليها ولادة بواسطة ومباشرة وإن بدت ، وكذلك بنت الأخت .

● وأمهات الرضاعة مطلق مقيد بما ورد في السنة من كون الرضاع في الحولين إلا في مثل قصة إرضاع سالم مولى أبي حذيفة ، وظاهر النظم القرآني أنه يثبت حكم الرضاع بما يصدق عليه الرضاع لغة وشرعاً ولكنه ورد تقييده بخمس رضاعات في أحاديث صحيحة عن جماعة من الصحابة (١) ، وتقرر ذلك وتحقيقه يطول جداً . والأخت من الرضاع هي التي أرضعتها أمك بلبان أباك سواء أرضعتها مملك أو مع من قبلك أو بمدك من الإخوة والأخوات ، ويلحق بذلك بالسنه : البنات منها ، ومن أرضعتن موطوءته والعمات والحالات وبنات الأخت منها ، لحديث « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » (٢) رواه الشيخان . والأخت من الأم هي التي أرضعتها أمك بلبان رجل آخر ، وأمهات النساء من نسب أو رضاع .

و « الريبة » بنت امرأة الرجل من غيره ، وسميت بذلك لأنه يربها في حجره ، قال القرطبي : اتفق الفقهاء على أن الريبة تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم وإن لم تكن الريبة في حجره ، واختلف أهل العلم في معنى المخول الموجب لتحريم الرائب ، فروى عن ابن عباس وغيره : أنه الجماع ، وقال مالك وأبو حنيفة : إذا لمس بشهوة حرمت عليه ابنتها ، والذي ينبغي للتمويل عليه في مثل هذا الخلاف هو النظر في معنى المخول شرعاً أو لغة ، فإن كان خاصاً بالجماع فلا وجه لإلحاق غيره به من لمس أو نظر أو غيرها ، وإن كان معناه أوسع من الجماع بحيث يصدق على ما حصل فيه نوع استمتاع كان مناهج التحريم هو ذلك . وحكم الريبة في ملك الممنع هو حكم الريبة المذكورة ، واجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الآباء على الأبناء ، وما عقد عليه الأبناء على الآباء ، سواء كان مع العقد وطء أم لم يكن ،

(١) تيسير الوصول ٣ : ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) البخاري ٧ : ١١ - ١٢ .

ثعموم هذه الآية . قال ابن المنذر : أجمع كل من يحفظ عنه العلم من علماء الأمصار أن الرجل إذا وطئ امرأة بنكاح فاسد تحرم على أبيه وابنه وعلى أجداده ، وكذا إذا اخترى جارية ففلس أو قبل حرمت على أبيه وابنه ولا أعلمهم يختلفون فيه . وأما زوجة الابن من الرضاع فذهب الجمهور إلى أنها تحرم على أبيه ، وقد قيل : إنه إجماع .

وقد اختلف أهل العلم في وطء الزنا هل يقتضى التحريم أم لا ؟ فقال أكثر أهل العلم : إذا أصاب رجل امرأة زنا لم يحرم عليه نكاحها بذلك ، وكذلك لا تحرم عليه امرأته إذا زنى بأبها وابنتها ، فحبه أن يقام عليه الحد ، وكذلك يجوز له عندهم أن يتزوج بأب من زنى بها وبابنتها . وقالت طائفة : إن الزنا يقتضى التحريم ، وقد أخرج الدارقطني عن عائشة أنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل زنى بامرأة فأراد أن يتزوجها أو ابنتها فقال : « لا يحرم الحرام الحلال » (١) . واحتج المهرمون بقصة جريج في الصحيح « أنه قال : يا غلام من أبوك ؟ فقال : فلان الراعى » فنسب الابن نفسه إلى أبيه من الزنا ، وهذا احتجاج ساقط .

ثم اختلفوا في اللواط هل يقتضى التحريم أم لا ؟ فقال الثوري : إذا لاط بالصبى حرمت عليه أمه . وهو قول ضعيف .

والجمع بين الأختين يشمل : الجمع بالنكاح والوطء بملك اليمين . وذهب العلماء كافة إلى أنه لا يجوز الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء بالملك ، وجوزة للظاهرية ، وأجمعوا على أنه يجوز الجمع بينهما في الملك فقط ، واختلفوا في جواز عقد النكاح على أخت الجارية التي توطأ بملك اليمين فمنه الأوزاعي وجوزة الشافعي .

وهل التحريم في قوله « حرمت عليكم أمهاتكم » تحريم التقدير عليهن أو تحريم الوطء ، فيه خلاف وإشكال ، ولا يصح الحمل على التقدير والوطء جميعاً ، لأنه من باب الجمع بين الحقيقة والحجاز وهو ممنوع ، أو من باب الجمع بين معنى المشترك وفيه الخلاف المرفوف في الأصول ، فتدبر .

* * *

(١) انظر صحيح البخارى ٧ : ١٤ .

٤٣ - باب ما نزل في تحريم ذوات الأزواج

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
وَاحِلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ [٢٤]

● قال تعالى : ﴿والمحصنات من النساء﴾ عطف على ما تقدم ، أى : وحرمت عليكم ذوات الأزواج ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ بالسي من أرض الحرب فإن هؤلاء حلال لكم وطؤون ؛ وإن كان لها زوج في دار الحرب ؛ بعد الاستبراء (١) ، وبه قال الأئمة الأربعة وغيرهم . والمعنى : تحرم عليكم للزوجات مسلمات كن أو كافرات إلا ما ملكتموهن إما بسي أو بشراء ﴿كتب الله عليكم﴾ أى : فرضه فرضاً .

● ﴿واحل لكم ما وراء ذلكم﴾ وهذا عام ؛ خصوص بما صرح عن النبي صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخلاتها (٢) ، ومن ذلك نكاح الممتدة ، ومن ذلك أن من كان تحت حرة بالنكاح لا يجوز له نكاح الأمة ، ومن ذلك أن من عنده أربع زوجات لا يجوز له نكاح خالصة (٣) ، ومن ذلك الملاءعة فإنها محرمة على الملاحن أبداً ﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ النساء اللاتي أحلهن الله لكم . ولا تبتغوا بها الحرام ، والمراد بالأموال هنا : ما يندفونه في مهور الحرائر وأمان الإماء (محصنين غير مسلمين) أى : متزوجين غير زانين . و « السراح » : الزنا .

٤٤ - باب ما نزل في حلة المتعة بالنساء وتحريمها وإتياء الأجر لمن

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [٢٤]

(١) أسباب النزول ٨٤ - ٨٥ ، تفسير الواسع ٣ : ١٨ .

(٢) البخارى ٧ : ١٥ .

(٣) البقرة : ٣ ، الفرس ٥٨ من هذا الكتاب

• قال تعالى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ قيل : معناه أن الزوج مقى وطئها في النكاح الصحيح ولو مرة وجب عليه مهرها المسمى أو مهر المثل ، وقال الجمهور : المراد نكاح للمتعة ؛ ينكح وقتاً معلوماً ثم يسرحها .

وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة : « يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليدخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » (١) .

وفي لفظ لسلم : إن ذلك كان في حجة الوداع . فهذا هو الناسخ ، والآحاديث في تحريم للمتعة وتحليلها ، وهل كان نسخها مرتين أو مرة ، مذكورة في كتب الحديث .

• ﴿فَأَكْوَهْنِ أَجُورَهُنَّ﴾ أي : مهورهن التي فرصتم لمن ﴿فريضة﴾ أي : مفروضة مسجاة .

• ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ولا عليهن ﴿فِي تَرَاضِيَةٍ بِهِ﴾ أتم وهن ﴿من بعد الفريضة﴾ أي : من زيادة وتقصان في المهر ، فإن ذلك سائغ عند التراضي ، هذا عند من قال : إن الآية في النكاح الشرعي ، وأما عند الجمهور القائلين بأنها في المتعة ، فالقبي : التراضي في زيادة هذه المتعة أو نقصانها أو في زيادة ما دفعه إليها في مقابلة الاستمتاع بها أو نقصانه ، وقيل : ما تراضيت به من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض ، قال الزجاج معناه : « لا جناح عليكم أن تهب المرأة للزوج مهرها ، وأن يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه » (٢) .

* * *

(١) مسند أحمد ٣ : ٣٠٤ ، وتفسير ابن كثير ١ : ٤٧٤

(٢) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج : ج ٧٤٦ ع ٥٠٠ ح لوحة : ٦٨ .

٤٥ - باب ما نزل في نكاح الملوكات وحدهن

إذا أتين بفاحشة

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَعَدِّاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ أُتَيْنَ بِفَدْحَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [٢٥]

● قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ أى : غنى وسعة ، وهو كناية عما يصرف في المهر والنفقة ، وقال مالك : للطلول : المرأة الحرة : ﴿ أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى : الحرائر ﴿ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أى : جارية أخيك المؤمن ، فلا يحل للفقير أن يتزوج بالملوكة للغير إلا إذا كان يخشى على نفسه العنت كما في آخر الآية ، وأما أمة الإنسان نفسه فقد وقع الإجماع على أنه لا يجوز له أن يتزوجها وهي تحت ملكه ، لتمام الحقوق واختلافها ﴿ مِنْ فِتْنَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ استدلل به على أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية ، وبه قال أهل الحجاز ، وجوزه أهل العراق .. والفتاة : هي الشابة الملوكة ، وفي الحديث الصحيح : « لا يقولن أحدكم عدى وأمتى ولكن لقل : فتأى وفتأى » (١).

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾ أى : كلكم بنو آدم وأكرمكم عند الله أتقاكم .. فلا تستنكفوا من الزواج بالإماء عند الضرورة ، فربما كان إيمان بعض الإماء أفضل من إيمان بعض الحرائر ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ لأنهم جميعاً بنو آدم.

فهم متصلون بالانساب ، ولأنهم جميعاً أهل ملة واحدة كتابهم واحد ونبيهم واحد ومتصلون بالدين .

● ﴿ فانكحوا من يأنس أهله ﴾ أى : يأنس للمالكين لمن ومواليهم ، لأن مخالفتهم لم لا يجوز لنيرهم أن ينتفع بشيء منها إلا يأنس من هو له ، واتفق أهل العلم على أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها باطل ، لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطاً في جواز نكاح الأمة .

● ﴿ وآتوهم أجورهم بالمعروف ﴾ أى : أدوا إليهم مهورهم بما هو المعروف في الشرع من غير مغل ولا نقص ولا ضرر ، وقيل مهور أمثالهم ، وقد استدلل بهذا من قال إن الأمة أحق بمهرها من سيدها ، وإليه ذهب مالك ، وذهب الجمهور إلى أن المهر للسيد ، وإنما أضافها إليهم لأن التأدية إليهم تأدية إلى سيدهم ، لكونهم ماله . والذى يرجح هو الأول لكونه ظاهر النظم القرآنى ، والله أعلم .
﴿ محصنات ﴾ عفاف ﴿ غير مسالحات ﴾ زانيات جهراً ، وهذا الشرط على سبيل التذنب بناء على المشهور من جواز نكاح الزواني ولو كن إماء ، قاله الخطيب .
﴿ ولا مستخذات أخدان ﴾ أخلاء يزنون بهم سراً ، وكانت العرب تميم الإعلان بالزنا ولا تميم اتخاذ الأخدان ، ثم رفع الإسلام جميع ذلك فقال الله تعالى :
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (١) .

● ﴿ فإذا أحسن فإن أتين فاحشة فعليه نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ المراد بالإحسان هنا : الإسلام . وبه قال الجمهور ، وقيل : للتزويج ، فعلى الأول لاحد على الأمة الكفارة ، وعلى الثانى لاحد على الأمة التى لم تزوج ، وقال قوم : هو التزويج ؛ ولكن الحد واجب على المسلمة إذا زنت قبل أن تزوج ؛ بالسنة ، وقال ابن عبد البر : جاءت السنة بجعلها وإن لم تحسن ، وكان ذلك زيادة بيان ، والمراد « بالعذاب » هنا : الجلد ، وإنما نقص حد الإمام عن حد الحرائر لأنهن أخضع ، ولم يذكر الله في هذه الآية العيب ، وهم لاحقون بالإماء بطريق القياس ، وكذلك يسكون عليهم وعليهم نصف الحد في القذف والشرب .

● ﴿ ذلك ﴾ أى : نكاح الملوكات عند عدم الطول ﴿ لمن خشى العنت ﴾ أى :

الوقوع في الإثم ، وقيل : الزنا ، وأريد به هنا مايجر إليه الزنا من العقاب الذي يورثه
والأخرى . وبالمجمله قد أبلغ الله نكاح الأمة بثلاثة شروط : عدم القسوة على
نكاح الحرة ، وخوف الفتنة ، وكون الأمة مؤمنة . ﴿ منكم ﴾ بخلاف من لا يخافه من
الأحرار ولا يحل له نكاحها ، وكذا من استطاع طول حرة ، وعليه الشافعي ، وكذلك
مالك وأحمد .

● ﴿ وأن تصبروا ﴾ عن نكاح الإمام (خير لكم) من نكاحهن ، لأن نكاحهن
يلغى إلى إرقاق الولد والنقض من النفس .

* * *

٤٦ — باب ما نزل من كون الرجال قوامين على النساء

ومدح الصالحات منهن

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا
نَفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَأَصْلَحَتْ فَمِنْ تَحْتِهَا حَفِظَتْ لِّلْفَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ ۝ ٤٦ ۚ ﴾

● قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ قال ابن عباس : أمروا عليهن ، فعلى
المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله . ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ من كونهم
فيهم الأنبياء والخلفاء والسلاطين والحكام والأئمة والنزاة ، وزيادة العقل والدين
والشهادة والجمع والجماعات ، ولأن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير
زوج واحد ، وزيادة النصيب والتمصيب في الميراث ، ويده الطلاق والنكاح والرجعة ،
وإليه الانتساب . وغير ذلك من الأمور ، فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء .
● ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ في مهورهن ، وفي الجهاد والعقل (١) والدية ،
والأرض (٢) ، والكتابة ، وقد استدلت جماعة من العلماء بهذه الآية على جواز فسخ

(١) العقل : دية القتيل

(٢) الأرض : هو دية الميراثات .

النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها ، وبه قال مالك والشافعي وغيرهما (١) .

● (فالمالعات) أى : المحسنات الماملات بالخير من النساء (فائتات) أى : مطيمات الله فائتات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن (حافظات للتيب) أى : عند غيبة أزواجهن عنهن من حفظ نفوسهن وفروجهن وحفظ أموالهم (بما حفظ الله) أى : يحفظ الله إيمانهم ومعوته وتسدده ، أو حافظات له بما استحفظهن من أداء الأمانة إلى أزواجهن على الوجه الذى أمر الله به ، أو حافظات له بحفظ الله لهن بما أوصى به الأزواج في شأنهن من حسن الشرة ، وقال السدى : تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع ، كما أمرها الله تعالى .

* * *

٤٧ - باب ما نزل في علاج الناشزة

﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
كَبِيرًا﴾ [٣٤]

● قال تعالى : ﴿واللّٰذِينَ يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ هذا خطاب للأزواج ، و «النشوز» : العصيان . ودلالته قد تكون بالقول والفعل ، بأن رفعت صوتها عليه ، أو لم تجبه إذا دعاها ، ولم تبادر إلى أمره إذا أمرها ، أو لا تخضع له إذا خاطبها ، أو لا تقوم له إذا دخل عليها .

● ﴿فعظوهن﴾ أى : ذكروهن بما أوجب الله عليهن من الطاعة وحسن المعاشرة . ورغبوهن ورهبوهن إذا ظهر منهن أمارات للنشوز ، وهو أن يقول لها : اتقى الله وخافيه فإن لى عليك حقاً ، وارجمى عما أنت عليه ، واعلمى أن طاعتي فرض عليك ؛ ونحو ذلك ، فإن أصرت على ذلك هجرها في المضجع ، كما قال تعالى :

(١) نيل المرام : ٢١٠

● ﴿واهمجروهن في المضاجع﴾ قال : «همجرو» أى : تباعد منه ، «والمضجع» : هو محل الاضطجاع ، أى : لاندخلوهن تحت مايجملونه عليكم حال الضجعة من الثياب ، وقيل : هو أن يولها ظهره عند الضجعة في الفراش ، وقيل : هو كناية عن ترك جماعها ، وقيل : لايبست معها في البيت الذى يضطجع فيه . قال حماد : ينفى النكاح . أخرجه أبو داود .

● ﴿واضربوهن﴾ إن لم ينزعن^(١) بالمهجران ضرباً غير مبرح ولا شائن ، وظاهر النظم القرآنى أنه يجوز للزوج أن يفعل جميع هذه الأمور عند غفلة النشوز ، وقيل : حكم الآية مشروع على الترتيب ، وإن دل ظاهر المصنف بالواو على الجمع ، لأن الترتيب مستفاد من قرينة المقام ، وسوق الكلام ، للرفق في إصلاحهن وإدخالهن تحت الطاعة ، فالأمور الثلاثة مترتبة ، لأنها لرفع الضرر كدفع الصائل^(٢) ، فاعتبر فيها الإخف فالأخف ، وقيل : إنه لا يهجرها إلا بعد عدم تأثير الوعظ ، فإن أثر الوعظ لم ينتقل إلى المهجر ، وإن كفاه المهجر لم ينتقل إلى الضرب . قيل : هو أن يضربها بالسواك ونحوه . قال الشافعى : الضرب مباح وتركه أفضل ، وفي حاشية «الجل على الجلالين» إن كلا من المهجر والضرب مقيد بعل النشوز ، ولا يجوز بمجرد الظن .

● ﴿فإن أطمعنكم﴾ كما يجب ، وحين يوجب حكم وترك النشوز ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ أى : لاتعرضوا لمن بشئ مما يكرهن لا بقول ولا بفعل ، وقيل : للنفى لا تكلفوهن الحب لأنه لا يدخل تحت اختيارهن .

● ﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ إشارة إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب ، أى : وإن كنتم تتقدمون عليهن فاذكروا قدوة الله عليكم ، فإنها فوق كل قدرة ، وهو بالمرصاد لكم .

قال ابن عباس . يضربها ضرباً غير مبرح ، ولا يكسر لها عظماً ولا يجرح بها جرحاً . وعنه قال : يهجرها بلسانه ويضبط لها بالقول ، ولا يدع الجماع . وعن عمرو بن الأحوص ، أنه شهد خطبة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيها : «ألا واستوصوا بالنساء خيراً . فلنهن عوار عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك» ، «إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فاهمجنوهن في المضاجع . واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطمعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً» أخرجه

(١) أى : إن لم يكفنهن ويتهن عما هن فيه ، وانظر ٤٩٢:١ من تفسير ابن كثير .
(٢) الصؤول من الرجال الذى يضرب الناس ويضاول عليهم ، وجبال عليه إذا استطال .

الترمذى وصححه النسائى وابن ملجه (١).

وعن عبد الله بن زعنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أ يضرب أحدكم امرأته كما يضرب المبد ثم يحامها في آخر اليوم » أخرجه الشيخان (٢).

وفى هذا دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء ، فإن احتاج فلا يزال بالضرب على موضع واحد من بدنها ، وليتق الوجه لأنه يجمع الحسن ، ولا يبلع بالضرب عشرة أسواط ، وقيل : ينبى أن يكون الضرب بالمندبل واليد ، ولا يضرب بالسوط والصا ، وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أولى فى هذا الباب .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يسأل الرجل فم ضرب امرأته » أخرجه أبو داود (٣).

* * *

٤٨ — باب ما نزل فى بحث الحكم للإصلاح بينهما

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [٢٥]

● قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ الخطاب للأمرأه والحكم ، والضمير للزوجين ﴿ فَأَبْعَثُوا ﴾ إلى الزوجين برضاها ، خطاب للإمام أو نائبه ، أو لكل أحد من صالحى الأمة ، أو للزوجين . (حكمًا) رجلا عدلا ﴿ مِنْ أَهْلِهِ ﴾ أقاربه ﴿ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ، فإذا لم يوجد الحكم من كانا من غيرهم ، وهذا إذا أشكل أمرهما ولم يتبين من هو السوء منهما ، فأما إذا عرف السوء فإنه يؤخذ لصاحبه الحق منه ، والبعث واجب ، وكون الحكمين من أهلها مندوب .

● ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا ﴾ أى : الحكمان ، وقيل : الزوجان (والأول أولى ، أى :

(١) تيسير الوصول ٢ : ٢٥٦ .

(٢) صحيح البخارى ٨ - ١٨ برواية مختلفة

(٣) تيسير الوصول ٢ - ٢٥٤ وفيه : « من عمر »

على الحكمين أن يسميا في إصلاح ذات البين جهدهما ، فإن قدرا على ذلك عملا عليه
وإن أعياهما إصلاح حالهما ورأيا التفريق (١) بينهما جاز لهما ذلك من دون أمر من
الحاكم في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين .

وعن مالك بلغه أن علياً أكرم الله وجهه قال : إن إليهما الفرقة والاجتماع . وبه
قال الشافعي ، وحكاه ابن كثير عن الجمهور (٢) ، قالوا لأن الله تعالى قال : ﴿ فابشروا
حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ ، وهذا نص من الله سبحانه أنهما قاضيان لا
وكيلان ولا شاهدان .

وقال أهل الكوفة : إن التفريق هو إلى الإمام أو الحاكم في البلد لا إليهما ، ما لم
يوكهما الزوجان أو يأمرهما الإمام والحاكم ، لأنهما رسولان شاهدان وليس إليهما
التفريق ، ويرشد إلى هذا قوله : ﴿ إن يريدن ﴾ أى : الحكمان (إصلاحاً) ﴿ يوفق
الله بينهما ﴾ لاقتصاره على ذكر الإصلاح دون التفريق ؛ وللمنى : يوقع الله الألفة
وللواقعة بين الزوجين حتى يعودا إلى الألفة وحسن المعاشرة ، ومعنى الإرادة : خلوص
نيتهما لإصلاح الحال بين الزوجين .

وقيل : الضمير في قوله « بينهما » للحكمين ، أى : يوفق الله بينهما في اتحاد
كتهما وحصول مقصودهما ، وقيل : كلا الضميرين للزوجين ، أى : إن يريدن إصلاح
ما بينهما من الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق .

وإذا اختلف الحكمان لم يتخذ حكمهما ولا يلزم قبولهما بلا خلاف ، وعن ابن
عباس قال : بشت أنا وماوية حكيم ، فقيل لنا : إن رأيكما أن تجمعا جمعا ، وإن
رأيكما أن تفرقا فرقتا ؛ والقى بهما عثمان (٣) .

● ﴿ إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ . يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين
وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين إن سلكوا غير طريق الحق .

● ● ●

(١) الحسن : التفريق والافتراق سواء ، ومثمن من يجعل الفرق للإبدان ، والافتراق
في الكلام .

(٢ و٣) تفسير ابن كثير ١ : ٩٣ ،

٤٩ - باب ما نزل في عظم حق الوالدين والإحسان إليهما وإلى المملوكات

﴿ ٠٠ . وَإِلَى الَّذِينَ إِحْسَنَّا . . . وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ٠٠ ﴾ [٣٦]

● قال تعالى : ﴿ وبإلوة الدين إحصاناً ﴾ أى : برأ ولين جانب ، وقد دل ذكره بعد الأمر بعبادة الله والنهى عن الإشراك به على عظم حقهما ، ومثله : « أن اشكركم على ما أنعم الله عليكم » فأمر سبحانه بأن يشكرا لله ، وهو أو يقوم بخدمتهما ، ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والإنفاق عليهما ؛ بقدر القدرة . وقد وردت أحاديث كثيرة فى حقوقهما ، وهى معروفة ، إلى قوله :

● ﴿ وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أى : أحسنوا إلى الأرقاء وهم العبيد والإماء ، وقيل : أعم فى شمل الحيوانات ، وعن على كرم الله وجهه قال : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واقفوا الله فيما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » (١) .

٥٠ - باب ما نزل فى التيمم من لمس النساء وكونه ضربة واحدة من التراب

﴿ ٠٠ . أَوَلَمْ تَسْمُ الْنِسَاءَ فَلَمْ تَحِدُوا مَاءً فَتَتِيمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَأَتَمَسَحُوا

بِرُءُوسِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ ٠٠ ﴾ [٤٣]

● قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَسْمُ الْنِسَاءَ ﴾ وقرئ « لمستم » ، والمراد : الجماع ، وقيل : مطلق للباشرة ، وقيل : يجمع الأمرين جميعاً ، وقيل : معنى « لمستم » : قبلتم . و « لمستم » : غشيتم ، قالت فرقة : « للامسة » هنا : غتصة باليد دون الجماع ، قالوا : و « الجنب » لا يتيمم بل ينقل ويدع الصلاة حتى يجد الماء ، والأحاديث الصحيحة

(١) لقمان : ١٤ .

(٢) الترغيب والترهيب ، كتاب القضاء : ٤ : ٢٦٣

تدفعه وتبطله ، كحديث عمار وعمران وأبي ذر في تيمم الجنب^(١) ، وقالت طائفة : هو الجماع ، قال مالك : للامس بالجماع يقيم ، والآية ظاهرة في الجماع ، وثبتت السنة الصحيحة بوجود التيمم على من أجنب ولم يجد الماء ، فكان الجنب داخلاً في هذا الحكم بهذا الدليل ، وعلى فرض عدم دخوله فالسنة تكفي في ذلك .

﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ تطهرون به للصلاة . هذا التقيد راجع إلى جميع ما تقدم من الرض والسفر والحجىء من النائط وملامسة النساء ، وقيل : راجع إلى الآخرين ، وعلى كل صورة لا تخلو الآية عن الإشكال ، والظاهر أن الرض بمجرد مسوغ للتيمم ، وإن كان الماء موجوداً إذا كان يتضرر باستعماله في الحال أو في اللآل ، ولا تعتبر خشية التلف .

● ﴿ فتيمموا ﴾ التيمم : المقصد . ثم كثر استعمال هذه الكلمة في مسح اليدين والوجه بالتراب ، وظاهر الأمر : الوجوب ، وهو مجمع عليه ، والأحاديث في تفاصيل التيمم وصفاته مبينة في السنة للطهارة .

﴿ صعيداً طيباً ﴾ الصعيد : وجه الأرض ، سواء كان عليه تراب أم لم يكن ، وقالت طائفة : التراب . والثاني أولى .

● ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ يتناول للمسح بضربة أو ضربتين ، وإلى كل ذهبت طائفة ، والاول أرجح ، وبينته السنة يائناً شافياً ، والحاصل أن أحاديث الضربتين لا تخلو جميع طرقها من مقال ، ولو صحت لكان الأخذ بها متيناً ، لما فيها من الزيادة ، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار .

٥١ - باب ما نزل في الجهاد منهم وهن مستضعفات^(٢)

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ . . ﴾ [٧٥]

(١) انظر تفسير الوصول ٢ : ٣٧٤ - ٣٧٦ .

(٢) منهم : أى : من الرجال المكافين بالجهاد ، ومن : أى النساء المستضعفات .

● قال تعالى : ﴿ وما لكم لا تحاتلون في سبيل الله ﴾ خطاب للمؤمنين
 للامورين بالقتال .
 ﴿ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ حتى تخلصوهم من الاسر وتريحوهم
 مما هم فيه من الجهد ، وفيه دليل على أن الجهاد واجب ، ولا عند لكم في تركه . وقد
 بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والأذى ، قال ابن عباس . أنا وأخي من المستضعفين .
 رواه البخاري (١) ومسلم ، ولا يبعد أن يقال : إن لفظ الآية أوسع من هذا .

٥٢- باب ما نزل في كفارة قتل الخطأ برقبة مؤمنة

﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ ﴾ [٩٢]

● قال تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أى : ف عليه عتق نسمة .
 كفارة عن قتل الخطأ ، قيل : هى التى صلت وعقلت الإيمان ، فلا تجزىء الصغيرة .
 المولودة بين المسلمين ، وقال مالك والشافعى : تجزىء كل من حكم له بوجوب
 الصلاة عليه إن مات .

وعن أبى هريرة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بحارية سوداء ، فقال :
 يا رسول الله ، إن على عتق رقبة مؤمنة فقال لها : « أين الله ؟ فأشارته إلى السماء
 بأصبعها ، فقال طابع : فمن أنا ؟ فأشارته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء
 أى : أنت رسول الله ، فقال : أعتقتها فإنها مؤمنة » رواه عبد بن حميد وأبو داود
 والبيهقى ، وقد روى من طرق ، وهو فى صحيح مسلم من حديث معاوية السلفى (٢) .

٥٣- باب ما نزل في استضعاف النساء من الهجرة

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [٩٨]

(١) صحيح البخارى ٦ : ٥٨

(٢) تفسير الوصول ١ : ١٦٦ باختلاف الرواية .

● قال تعالى : ﴿إِلَّا الْمُسْتَغْفِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ وردت هذه الآية في شأن الهجرة ، ودلت على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب بأى سبب كان ، وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره حقت عليه الهجرة ، وفي الباب أحاديث ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : أنا وأبى من عذر الله تعالى ، أنا من الولدان ، وأبى من النساء (١) .

٥٤ — باب ما نزل في دعاء الإناث من دون الله

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنْتَاءٌ﴾ [١١٧]

● قال تعالى : ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنْتَاءٌ﴾ أى : أصناماً لها أسماء مؤنثة ، كاللات والعزى وللناة ، وقيل : للراد بالإناث الأموات التى لا روح لها كالخشب ، والحجر . وقيل : للملائكة ، لقولهم : هم بنات الله . قال الضحاك : اتخذوهن أرباباً وصوروهن صور الجوارى خفلوا وقلدوا ، وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات الله الذى عبده ، يعنون الملائكة .

٥٥ — باب ما نزل في بشارة الإناث بالجنة عند العمل الصالح

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾ [١٢٤]

● قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان ﴿فأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾ وهو النقرة في ظهر النواة ، وهذا على سبيل اللبالة في نفى الظلم ، ووعده بتوفية جزاء أعمالهم وأعمالهن من غير نقصان ، كيف والمجازى أرحم الراحمين .

(١) تفسير الرسول ١ : ١٠٩ ، وانظر صحيح البخارى : ٥٨ .

٥٦ - باب ما نزل في فتوى الله من يتامى النساء

﴿ . . وَبَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُثْنِي عَلَيْكُمُ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَوْلُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ . . ﴾ [١٢٧]

• قال تعالى : ﴿ وبستفتونك في النساء ﴾ أى : في شأنهن وميراثهن ﴿ قل الله يفتيكم فيهن ﴾ قال مجاهد : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئاً ، لأنهم كانوا يقولون : إنهم لا ينزون ولا ينمون خيراً ، ففرض الله لمن للميراث حقاً واجباً .

﴿ وما يتلى عليكم في الكتاب ﴾ أى : القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿ في يتامى النساء ﴾ الثلاث لا تؤولن ما كتب ﴿ أى : فرض ﴾ لمن ﴿ من الميراث ومن الصداق وغيره ، وذلك أنهم كانوا يورثون الرجال دون النساء والكبار دون الصغار ، قال إبراهيم : كانوا إذا كانت الجارية يتيمة دميعة لا يوطونها ميراثها ويمحبونها من التزويج حتى تموت فيرثوها ، فأمر الله هذه الآية .

﴿ وترغبون أن تنكحوهن ﴾ بجاهلن ومالهن ﴿ والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أى : العدل في مهورهن وموارثهن .



٥٧ - باب ما نزل في مصالحة المرأة للزوج عند خوف النشوز

﴿ . . وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [١٢٨]

• قال الله تعالى : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها ﴾ أى : نوحها ، ويطلق « البعل »

أيضاً على السيد ﴿نشوزاً﴾ أى : دوام النشوز ، بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها ؛ لبئسها وطموح عينه إلى أجل منها ﴿أو إعراضاً﴾ منه بوجهه ، قال النحاس : الفرق بينهما : أن «النشوز» التباعد ، «والإعراض» أن لا يكلمها ولا يأنس بها .

● ﴿فلا جناح عليهما﴾ أى : لا حرج ولا إثم على الزوج والمرأة ﴿أن يصالحا﴾ ظاهر الآية ، أنه يجوز التصالح بأي نوع من أنواعه ، إما بإسقاط النوبة أو بعضها ، أو بعض النفقة ، أو بعض المهر . ﴿بينهما صلحاً﴾ أى : في القسمة والنفقة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما ، فإن صالحته على بعض حقها جاز ، وإن أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها ﴿والصلح خير﴾ على الإطلاق ، أو خير من الطلاق والفرقة ، أو من الخصومة ، أو من النشوز والإعراض ، وعن ابن عباس قال : «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، لا تطلقني وأجمل يومى لمائة فعمل»^(١)، ونزلت هذه الآية . أخرجه الترمذى وحسنه وابن المنذر والطبراني والبيهقي . قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز . وأخرج البخارى عن عائشة في الآية قالت : «الرجل يكون عنده المرأة ليس بمستكر منها يريد أن يفارقها ، فنقول : أجملك من شأني في حل فنزلت»^(٢) . وفي الباب روايات .

● ﴿وأحضرت الانفس الشح﴾ أى : شدة البخل ، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن المشورة وحسن النفقة ونحو ذلك ، والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها .

● ﴿وإن تحسنا﴾ أيها الأزواج الصعبة والمشرة ﴿وتتقوا﴾ ولا يجوز من النشوز والإعراض في حق المرأة ، فلها أمانة عندكم ، وقيل : المعنى : أن تحسنا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلماً والجور ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازيكم بما عملتم به من استحقاقه .

(١) تفسير الرسول ٣ : ٣٥٤ ، وفيه عن عائشة رضى الله عنها باختلاف الرواية .

(٢) صحيح البخارى ٦ : ٦٢ .

٥٨ - باب ما نزل في الميل إلى إحداهن كل الميل

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [١٢٩ - ١٣٠]

● قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ على الوجه الذي لا ميل فيه ألبتة ، لما حبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه ، وزيادة هذه في المحبة وتقصان هذه ، وذلك بحكم الحلقة بحيث لا يملك كون قلوبهم ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية ، ولهذا كان يقول الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم « اللهم هذا قسمي فإيا أملك ولا تلقني فإيا تملك ولا أملك » رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن النضر عن عائشة ، وإسناده حسن صحيح (١) .

قال ابن مسعود : العدل بين النساء : الجماع . وقال الحسن : الحب ، وكذا المحادثة والمجالسة والنظر إليهن والتتبع .

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ على العدل والتسوية بينهن في الحب وميل القلب ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ إلى التي تحبونها ؛ في القسم والنفقة ﴿ فَتَذَرُوهَا ﴾ أى : الأخرى للمال عنها ، ﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي ليست ذات زوج ولا مطلقة ، تشبيهاً بالشئ الذى هو معلق غير مستقر على شئ ، لا فى السماء ولا فى الأرض ، أى : لا أيماء ، ولا ذات زوج .

● ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا ﴾ ما أفستدتم من الأمور التي تركتم ما يجب عليكم فيها من عشرة النساء والعدل بينهن في القسم والحب ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ الجور في القسم وكل الميل الذي نهى عنه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

● ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا ﴾ أى : لم يتصالحا بل فارق كل واحد منهما صاحبه بالطلاق ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا ﴾ أى : يحميه مستغنياً عن الآخر بأن يهيء للرجل امرأة توافقه وتقر

(١) تفسير الواسع ٣ : ٣٥٤ ، وفيه « خرجه أصحاح السنن » .

بها عينه ، والمرأة رجلا تتبسط بصبغته ويرزقهما ﴿ من سعة ﴾ رزقا ينيهما به عن
الحاجة ، وفي هذا تسوية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق .

* * *

٥٩ - باب ما نزل في ميراث الكلالة

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ
لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ
فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً
فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [١٧١]

● قال تعالى : ﴿ يستفتونك ﴾ والمستفتي هو جابر ، وعن قتادة أن الصحابة أهمهم
شأن الكلالة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل هذه الآية : ﴿ قل الله يفتيكم
في الكلالة ﴾ وقد تقدم الكلام عليها (١) ، واسم « الكلالة » يقع على الوارث
بالوودث ، فإن وقع على الأول فهم من سوى الولد والوالدة ، وإن وقع على الثاني
فهو من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض
لا أعقل ، فتوضأ ثم صب علي فمقلت ، قلت : إنه لا يرثني إلا كلاله فكيف لليراث ؟
فنزلت آية الفرائض . أخرجه الستة وغيرهم . وعن جابر (٢) رضى الله عنه قال :
اشتكت وعندي سبع أخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنفخ في
وجهي فأقمت ، قلت : يا رسول الله ، ألا أوصي لأخواتي بالثلثين ؟ قال : « أحسن »
قلت : بالطر ؟ قال : « أحسن » ثم خرج وتركني وقال : « لجابر ، لا أراك ميتاً من
جوعك هذا ، وإن الله تعالى قد أنزل فين الذي لأخواتك قبل لمن الثلثين » فكان جابر
يقول : أنزلت في هذه الآية . رواه أبو داود ، وفي الباب روايات .

(١) انظر ص ٦٣-٦٤ من هذا الكتاب .

(٢) أسباب النزول ١٠٧ ، تفسير الرسول ١ : ١٠٦ .

● ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ أي : ولا والد ، والمراد بالولد الابن ، لأن البنت لا تسقط الأخوة ﴿وله أخت﴾ أي : من الأبوين أو لأب ، لا لأم ، فإن فرضها السدس ، ﴿فلها﴾ أي : لأخت الميت ﴿نصف مترك﴾ . قال الجمهور : إن الأخوات لأبوين أو لأب عصبة للنسب وإن لم يكن مهن أخ ، وذهب داود الظاهري إلى أنهن لا يصبين بالنسب ، وأنه لا ميراث للأخت لأبوين أو لأب مع البنت ، وورد في السنة ما يدل على ثبوت ميراث الأخت مع البنت ، وهو ما ثبت في الصحيح أن ما ذاق قضي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت وأخت ، فجعل للبنت النصف ، وللأخت النصف . وكذا صرح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قضى في بنت وبنت ابن وأخت ، فجعل للبنت النصف ، ولبنت الابن السدس ، وللأخت الباقي^(١) . فكانت هذه السنة مقتضية لتفسير الولد بالابن دون البنت .

● ﴿وهو﴾ أي : الأخ ﴿يرثها﴾ أي : الأخت ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ ذكر أكان أو أثنى ؛ إن كان المراد بولده لها حيازته لجميع ممتلكته ، وإن كان المراد بثبوت ميراثه لها في الجملة أعم من أن يكون كلا أو بعضاً يفسر الولد بما يقتاول الذكر فقط . فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له ، أو أثنى فله ما فضل عن نصيبها ، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس ، والمراد هنا سقوط الأخ مع الولد فقط ، وأما سقوطه مع الأب فقد تبين بالسنة كما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم «ألقوا الرافض بأهلها فما بقي فلا ولي رجل ذكر»^(٢) ؛ والأب أولى من الأخ .

● ﴿فإن كانتا﴾ أي : إن كان من يرث بالأخوة ﴿اثنتين﴾ أي : الأخنتين فصاعداً ؛ لأنها تزلت في جابر ، وقد ماتت عن أخوات سبع أو تسع ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ إن لم يكن له ولد كاسلف ، وما فوق اثنتين من الأخوات يكون لهن الثلثان بالاولى .

﴿وإن كانوا﴾ أي : من يرث بالأخوة ﴿إخوة﴾ أي : وأخوات ﴿رجالاً ونساء﴾ أي : مختلطين ذكر وذكراً وإنثاءً ﴿فلذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ الإثنتين﴾ نصيباً .

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٨٨ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٨٩ ، وانظر ص ٦٤ من هذا الكتاب .

مَا نَزَّلْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ

٦٠ - باب ما نزل في الكتابيات المحصنات

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۝﴾ [٥]

● قال تعالى في سورة المائدة : ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ قيل : هن العفاف .
وقيل : الحرائر . ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يدخل تحت هذه .
الآية الحرة العفيفة من الكتابيات على جميع الأقوال ، إلا على قول ابن عمر في
النصرانية (١) ، ولا تدخل تحتها الحرة التي ليست بعفيفة ، والأمة العفيفة على قول من يقول
إنه يجوز استعمال المشترك في كلا معنييه ، وأما من لم يجوز ؛ فإن حمل المحصنات على
الحرائر لم يغل بجواز نكاح الأمة عفيفة كانت أو غيرها إلا بدليل آخر ، ويقول بجواز
نكاح الحرة عفيفة كانت أو غيرها . وإن حمل على العفاف قال يجوز نكاح الحرة .
العفيفة والأمة العفيفة دون غير العفيفة منهما ، ومذهب أبي حنيفة أجواز التزويج
بالأمة الكتابية لمعوم هذه الآية .

﴿إذا آتيتوهن أجورهن﴾ أي : مهورهن ، وهو الموضع الذي يذله الزوج
للزوجة ، أي : فهن حلال ، وهذا الشرط بيان للأكل والأولى ، لالصة العقد ، إذ
لا يتوقف على دفع اللهر ولا على التزامه كالأجنبي .
﴿محصنين غير مسافحين﴾ أي : جاهرين بالزنا ﴿ولا متخذى أخدان﴾ أي :
لم يتخذوا مشوقات ، فقد شرط الله في الرجال اللفة وعدم المجاهرة بالزنا وعدم
اتخاذ أخدان ، كما شرط في النساء أن يكن محصنات .

(١) البخارى ٧ : ٦٢ ، واخرى ١٨ من هذا الكتاب .

٦١ - باب ما نزل في التيمم للمرضى وغيرهم

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَمْسَسِ الْيَسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ ﴾ [٦]

• قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَمْسَسِ الْيَسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾
تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة النساء مستوفى (١).

٦٢ - باب ما نزل في حد السارقة

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا ۗ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ ۝ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ ۝ ﴾ [٣٩-٣٨]

• قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ذكر السارقة مع السارق لزيادة البيان ، لأن غالب القرآن الاختصار على الرجال في تشريع الأحكام ؛ « والسارقة » بكسر الراء اسم للشيء المسروق ، والمصدر السرقة ، وهو أخذ الشيء خفية عن المليون ، وقدم السارق هنا والثانية في آية الزنا ، لأن الرجال إلى السرقة أميل ، والنساء إلى الزنا أميل ، وللعنى : اقطعوا يمين كل واحد منهما من السكوع ، وقد بينت السنة المطهرة أن موضع القطع الرسغ ، وقيل : يقطع من المرفق ، وقال الخوارج . من التكعب .

والسرقة لا بد أن تكون ربع دينار فصاعداً ، وتكون من حرز كإوردت بذلك

(١) انظر ص ٨٢ - ٨٣ من هذا الكتاب .

الإحاديث الصحيحة^(١)، وبهذا قال الجمهور ، وذهب قوم إلى التقدير بشرة دراهم ، وقال الحسن البصري : إذا جمع الثياب في بيت قطع .

﴿ جزاءً بما كسبا نكلاً ﴾ من الله ﴿ أى : عقوبة منه سبحانه ، وكان عمر بن الخطاب يقول : اشتدوا على الناسق واجلواهم يداً يداً ورجلاً رجلاً . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فمن تاب من بعد ظله وأصلح فإن الله يتوب عليه ﴾ فيه قبول التوبة ، وليس فيه ما يفيد أنه لا قطع على التائب .

٦٣ - باب ما نزل في كون مريم صديقة

﴿ . . . وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ . . . ﴾ [٧٥]

● قال تعالى : ﴿ . . . وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ أى : أم المسيح عليه السلام صادقة فيما تقوله ، أو مصدقة لما جاء به ولدها من الرسالة ، وذلك لا يمتثلزم الألوهية لها ، بل هى كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء اللاتى يلائمن الصدق أو التصديق ويالن في الاتصاف ، لما رتبتهما لإلحقة بشرين أحدهما نبي والآخر صابى ، فمن أين لكم أن تصفوها بما لا يوصف به سائر الأنبياء وخواصهم ؟ . ووقع اسم الصديقة عليها بقوله تعالى : ﴿ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِّبَ ﴾^(٢)

—•••••—

(١) صحيح البخارى ٨ : ١٩٩

(٢) النعزم : ١٢

مَا تَزَكَّرَ عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْاَنْحَاءِ

٦٤ - باب ما نزل في نفى صاحبة الله سبحانه وتعالى

﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَدَتْ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١٠٠ - ١٠١]

● قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

● ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله ، وذلك عن جهل خالص ، ومن كان خالفهما فكيف يكون له ولد وهو من جملة مخلوقاته ، وكيف يتخذ ما خلقه ولداً ؟
« ولم تكن » : تأكيد لنفي الولد ، لأن الصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد .

* * *

٦٥ - باب ما نزل في تحريم ما في بطون الأنعام على النساء

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا
أَزْوَاجُنَا أَلَمْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴾ [١٣٩]

● قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ أي :

حلال لهم ، ﴿ ومحرم على أزواجنا ﴾ وهن النساء ، فیدخل فی ذلك البنات والأخوات ونحوهن ، فيه بیان نوع من جهالتهم وضلالتهم ، والمراد بالانعام : أجنة البحائر (١) والسواشب (٢) ، وقيل : هو الابن ﴿ وإن يكن ميتة ﴾ أى : ما فی بطونها ﴿ فهم لأبيه شركاء ﴾ يأكل منه الذکور والإناث ﴿ سيجزيهم وصفهم إنه حکیم عليم ﴾ فيه وعید على أهل الشرك .



(١) البحائر: جمع البعيرة وهى الناقة إذا أشقت أذنّها طولاً ، وتركّت لا تمنع من كلام ولا يفضع بها .
 (٢) والسواشب: جمع السائبة وهى الناقة التى تسب فلا يفضع بظهرها ولا تمنع من كلام ولا تركب .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ

٦٦ - باب ما نزل في أمر الأيوين في مكون الجنة

﴿ وَيَتَفَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . ﴾ [١٨]

● قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وما آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ الآية
تقدم تفسيرها في أول الكتاب من سورة البقرة (٢) ، واختلفوا في خلق حواء ، فقال ابن
إسحاق : خلقت قبل دخول آدم الجنة ، وهو ظاهر هذه الآية ، وقيل : بعده ، وقيل :
الخطاب للمسدوم لوجوده في علم الله ، والقصة مشتقة على فوائده وأحكام
لا يسهل هذا المقام .

٦٧ - باب ما نزل في ترك النساء وإتيان الرجال

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [٨١]
﴿ فَأَنْجِبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴾ [٨٣]

● قال تعالى في قصة لوط عليه السلام : ﴿ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء ﴾ أى : متجاوزين في فعلكم هذا للنساء اللاتي هن محل لقضاء الشهوة
وموضع لطلب اللذة ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أى : مجاوزون الحلال إلى الحرام ،
يعنى من فزوج النساء إلى أديار الرجال .. إلى قوله : ﴿ فَأَنْجِبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ
كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴾ استثنى امرأته من الأهل لكونها لم تؤمن به ، أى : بقيت في هذاب
الله لأنها كانت كافرة (٣).

(١) لسان العرب : سكن بالمكان يسكن سكنى وسكوا : أقيم .

(٢) انظر ص ١١ من هذا الكتاب

(٣) ضمير ابن كثير : ٢ : ٢٣١

٦٨ - باب ما نزل في شرك المرأة بالله تعالى

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرَحْمَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا . ﴾ [١٨٩ - ١٩٠]

● قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ أى : آدم عليه السلام ، قاله جمهور المفسرين ﴿ وجعل منها ﴾ أى : من هذه النفس ، أو من جنسها ، والأول أولى . ﴿ زوجها ﴾ وهى حواء ، خلقها من ضلع من أضلاعه ﴿ ليسكن إليها ﴾ ، ويطنن بها فإن الجنس جلسه أسكن وإليه آنس ، وكان هذا فى الجنة ﴿ فلما تنشأها ﴾ أى : جامها ﴿ حمت حملاً خفياً ﴾ أى : علفت به ﴿ فمرت به ﴾ فرت به ﴿ أى : استمرت تقوم وتقدم وتمضى حواشيها لا تجد ثقلاً ولا مشقة ولا كلفة ، وقيل : جزعت ، وقيل : شكت أحملت أم لا ؟ ﴾ فلما أثقلت ﴾ أى : صارت ذا ثقل لكبر الولد فى بطنها ﴿ دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشَّاكِرِينَ ﴾ على هذه النعمة .

● ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ ، وعن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يمشي لها ولد ، فقال : سمعته عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره » (١) أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والرويان والطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه . وفى الباب روايات ، وفيها دليل على الجاعل شركاء فيما آتاهما هو حواء دون آدم عليه السلام ، وصيغة التثنية لانتفاي ذلك لأنه قد يستدل الواحد إلى اثنين ، بل إلى جماعة ، والأنبياء عصمهم الله تعالى من الشرك والكفر ، وكان هذا الشرك من حواء شركاً فى التسمية دون العبادة .

(١) تيسير الوصول ١ : ١٢١ أخرجه الترمذى ، انظر أسباب النزول ١٣١ :

مَا زَكَّرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُؤْلِ التَّوْبَةِ

٦٩ - باب ما نزل في تعذيب المنافقات

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ۚ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [٦٧ - ٦٨]

● قال تعالى في سورة التوبة : ﴿لِلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ إلى قوله : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دلت الآية على أن حكم أهل النفاق من ذكر وأنثى حكم الكفار في دخول النار ، واستحقاق اللعنة والمذاب .

٧٠ - باب ما نزل في الترحم على المؤمنات

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ سِرِّحَهُمُ اللَّهُ ۚ﴾ [٧١]

● قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إلى قوله : ﴿سِرِّحَهُمُ اللَّهُ﴾ السين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره بمونة المقام ، والتوكيد في إنجاز الوعد لكونه بشارة مَحْضَتْ (١) لتأكيد الوعود .

(١) عشت : أى : خلعت .

٧١ - باب ما نزل في وعد المؤمنين والمؤمنات بالجنة

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُخَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢]

● قال تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ومسكن طيب في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز
العظيم ﴾ .

وصف الله الجنة هنا بأوصاف : الأول جرى الأنهار من تحتها ، أى : من تحت
أشجارها وغرفها ليليل الطبع إليها . الثانى : أنهم فيها خالدون لا يمتريهم فيها فناء
ولا تنير . الثالث : طيب مساكنها الخالية عن السكودرات ، لتستطيعها النفوس ،
ويطيب فيها الميش . والرابع : أنها ذات عدن ، أى : إقامة غير منقطعة ، هذا على
ما هو معنى عدن ، وقيل : هو علم .

والجنات : هى البساتين التى يتعير فى حسننا الناظر ، وعن أنس رضى الله عنه
نزل على النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا »^(١) الآية ؛ عند
مرجهمن الحديدية ، فالفتح البين : هو فتح الحديدية ، قالوا : هنيئاً لك مريئاً
يا رسول الله ، لقد بين الله لك ما يعمل بك . فإذا يفصل بنا ؟ فترلت
« لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »^(٢)
الآية . أخرجه البخارى^(٣) ومسلم والترمذى .

(١) الفتح : ١

(٢) الفتح : ٥ ، انظر أسباب النزول ٢١٦ - ٢١٧

(٣) صحيح البخارى : ٥ : ١٦٠

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ هُودٍ

٧٢ - باب ما نزل في ولادة العجوز وزوجها شيخ

﴿ وامرأته قائمة فضحكك فبشرتها بإسحاق ومن وراءه إسحق يعقوب . قالت يوليتى، ألدوا ناعجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ [٧١ - ٧٣]

• قال تعالى في سورة هود : ﴿ وامرأته ﴾ أى : سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام وهى ابنة هارون بن ناحور ، وهى ابنة عم إبراهيم عليه السلام ﴿ قائمة ﴾ عند تحاور الملائكة وراء الستر تسمع كلامهم ، وقيل : واقفة تخدم الملائكة ﴿ فضحك ﴾ (١) متجسماً وسروراً ، وقيل : حاضت ، والاول أولى .

﴿ فبشرتها بإسحاق ﴾ ولد بعد البشارة بسنة ، وكانت ولادته بعد إسماعيل بأربع وعشرين سنة ﴿ ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ هو ولد الولد ، أى : فبشرت بأنها تعيش حتى ترى ولد الولد ﴿ قالت يوليتا ألدوا ناعجوز ﴾ أى : شيخية طمنت في السن ﴿ وهذا بعلي شيخاً ﴾ لاتحبل من مثله النساء ، قيل : كان إبراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة ، وهى بنت تسع وتسعين ، وقيل : تسعين فقط .

﴿ إن هذا لشيء عجيب ﴾ قيل : كان ولد لإبراهيم من هاجر إسماعيل ، فتمنت سارة أن يكون لها ابن وأيست منه لكبر سنها ، فبشرها الله على لسان ملائكته : ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله ﴾ أى : فضائه وقدره وهول استحيل عليه شيء ، قالوا : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ فيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته .

٧٣ - باب ما نزل في كون البنات أظهر للوط

﴿ . . . قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرِ لَكُمْ . . . ﴾ [٧٨]

• قال تعالى حاكياً عن لوط عليه السلام : ﴿ قال يلقوم هؤلاء بناتي ﴾ أى :

(١) البحر المحيط : ٥ ، ٢٤٢ ، ابن كثير : ٣ : ٤٥٢ .

تزوجهن ودعوا ما تطلبونه من الفاحشة بأضياف ، وقد كان له ثلاث بنات ، وقيل : ابنتان ، وقيل : أراد بهن النساء ، لأن نبي القوم أب لهم ، قاله ابن عباس ، وهذا أولى . لكن فيه مخالفة لظاهر النظم ، وقيل : كان في ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة ، وقيل : عرض بناته عليهم بشرط الإسلام ^(١) ، وقيل : إنما كان هذا القول منه على طريق المدافعة ولم يرد الحقيقة . ﴿هن أظهر لكم﴾ أي : أحل وأئزه عملا يحل .

* * *

٧٤ - باب منه

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [٧٩]

● قال تعالى : ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ﴾ أي : من شهوة [وحاجة] لأن من احتاج إلى شيء فكأنه حصل له فيه نوع حق ، وقيل : لاحق لنا في نكاحهن لأنه لا ينكحهن إلا رجل مؤمن ، ونحن لا تؤمن أبداً ، وقيل : إثم كانوا قد خطبوا بناته من قبل فردم ، وكان من سنتهم أن من خطب فرد لا عمل له المطلوبة أبداً . ﴿ وإنك لتعلم ما نريد ﴾ من إتيان الذكور والرجال ، قاله للسدي .

* * *

٧٥ - باب ما نزل في تعذيب المرأة في الدنيا

﴿ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك^٢ إنهم مصيبتهم ما أصابهم^١ إن موعدهم الصبح^٣ أليس الصبح^٤ بقريب ﴾ [٨١]

● قال تعالى : ﴿ فأسر بأهلك يقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ﴾ فلا تسربها لكونها كافرة ﴿ إنه مصيبتهم ما أصابهم ﴾ من المصائب وهو رميهم بالحجارة ^(٢) . ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ لعل جعل الصبح ميقاتاً لهلاكهم لكون النفوس فيه أسكن ، والناس فيه مجتمعون لم يتفرقوا إلى أعمالهم .

—>>>><<<<—

(١) البصر المحيط : ٢٤٦ .

(٢) ضمير ابن كثير : ٤٠٤ .

مَا زَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ يُوسُفَ

٧٦ - باب ما نزل في الأمر للمرأة يا كرام الملوك المشتري

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَتْهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرَأَتَهُ أَكْثَرِي مَثْوًى . . . ﴾ [٢١]

● قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ هو العزيز الذي كان على خزائن مصر ، وكان وزيراً لملك مصر ، وهو الريان بن الوليد بن المالقة ، وقيل : إن الملك هو فرعون موسى . قال ابن عباس : كان اسم المشتري قطيع ، وقيل : إطفير بن روجب ، وكانت امرأته راعيل بنت رعايل (١) ، واسم الذي يباعه للعزيز مالك بن زهر ، قيل اشتراه بشعرين ديناراً ﴿ لَامْرَأَتِهِ ﴾ اسمها زليخا ، بفتح الزاي وكسر اللام كما في القاموس ، أو بضم الزاي وفتح اللام كما قال الشهاب . ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾ أى : منزله الذي يشوى (٢) فيه ؛ بالطعام الطيب واللباس الحسن ، يعنى : أحسن تمهده .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « أفرس الناس ثلاثة : للعزيز حين يهرس في يوسف فقال لامراته : أكرمي مثواه ، وللرأة التي أتت موسى فقالت لآبيها : يا أبت استأجره ، وأبو بكر حين استخلف عمر (٣) . »

* * *

٧٧ - باب ما نزل في مراودة المرأة الرجل على الفاحشة

وغلق الأبواب

﴿ وَزَوَّدَتْهُ آلَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّيهِ . . . ﴾ [٢٣ - ٢٤]

(٢) يشوى : أى يقيم

(١) تفسير ابن كثير ٧ : ٤٧٣

(٣) تفسير ابن كثير ٧ : ٤٧٣ .

● قال تعالى : ﴿ وراودته ﴾ أى : راودت زليخا يوسف حين بلغ مبلغ الرجال ،
 قاله ابن زيد ، والراودة : الإرادة والطلب برفق ولين . ﴿ التى هو فى بيتها ﴾ أى :
 امرأة العزيز ﴿ وغلفت الأبواب ﴾ أى : أطبقها . ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى : هلم
 وتعال ، أى : أقبل .

﴿ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ﴾ فكيف أخونه فى أهله ﴿ إنه لا يفلح
 الظالمون ﴾ ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ أى : لفعل ما هم به ،
 وأطال المفسرون فى تعيين البرهان الذى رآه بلادليل يدل عليه من السنة للظهرة ،
 واختلفت أقوالهم فى ذلك اختلافاً كثيراً ، والحاصل أنه رأى شيئاً حال بينه وبين
 ما هم به ، والله أعلم .

٧٨ - باب ما نزل فى كيد النساء

﴿ وَاسْتَبَقَا الْكَلْبَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْقَيْسِ سَيْدَهَا
 لَذَا الْكَلْبِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ
 أَوْ يُعَذَّبَ أَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا
 إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ
 كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى
 قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ
 أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ .
 * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ
 شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ

إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِفًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ
 أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ قُلُومًا رَّيْنَهُنَّ أَكْبَرُ مِنْهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
 مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
 فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أمُرُهُ
 لَيَسْجُنَ وَلْيَسْكُنَ مِنَ الصَّنِيعِينَ . قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
 يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ

الْجَنَّةِلَيْنَ ﴿ ٢٥-٣٣ ﴾

• قال تعالى : ﴿ واستبقا إليَّ ﴾ أى : تسابقا إليَّ ، وهذا كلام متصل بقوله :
 ﴿ ولقد هممت به وهم بها ﴾ الآية وما بينهما اعتراض ، ووجه تسابقهما : أن يوسف أراد
 الفرار والخروج من الباب ، وامرأة العزيز أرادت أن تسبقه إليه لتتمتع عن الفتح
 والخروج . قال السيوطى : يادر إليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فأمسكت ثوبه .
 • ﴿ وقدت ﴾ (١) أى : جذبت ﴿ قيصه من دبر ﴾ من وراءه فانشق إلى
 أسفله .

• ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ أى : وجدا العزيز هنا لك . ﴿ قالت ما جزاء
 من أراد بأهلك سوءاً ﴾ من الزنا ونحوه ، قالت هذه القالة طلباً للحيلة ولستر على
 نفسها ، فتمسكت ما كان منها إلى يوسف ﴿ إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ هو الضرب
 بالسياط ، والظاهر أنه ما يصدق عليه المذاب الأليم من ضرب أو غيره ، وفى الإجماع
 زيادة تهويل .

﴿ قال هى راودتنى عن نفسى ﴾ يعنى : طلبت منى الفحشاء فأبيت ورفرت .

• ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ أى : من قرابتها ، قيل : كان ابن عم لها ، وقيل :
 ابن خال لها ، وقيل : طفل فى المهد تكلم وهو الصحيح للحديث الوارد فى ذلك (٢) .

(١) اللد : القطع وأكثر ما يستعمل فيها كان طولاً ، والقط : القطع وأكثر ما يستعمل
 فيها كان عرضاً

(٢) تفسير ابن كثير ٢ : ٤٧٥

﴿ إن كان قيمه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن كان قيمه قد من دبر فسكذبت وهو من الصادقين ﴾ في دعواه عليها . والله ما أبلغ هاتين الآيتين معنى وأصحهما لفظاً .

● ﴿ فلما رأى ﴾ العزيز ﴿ قيمه ﴾ أى : قيص يوسف ﴿ قد من دبر ﴾ كأنه لم يكن رأى ذلك بعد ، أو لم يتدبره . فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال وعرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام . ﴿ قال إنه من كيدكن ﴾ ومسكركن وحيلكن بامسحر النساء ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ وصف كيدهن - أى : جنس النساء - بالعظيم ، لأنه منهن أعظم من كيد جميع البشر في إتمام مرادهن ، لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب ، فإنه ألطف وأعلق بالقلب ، وأشد تأثيراً في النفس .

وعن بعض العلماء : إنى أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان ، فإنه تعالى يقول : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ ^(١) ، وقال للنساء : ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة ، وهن يولجن به الرجال . وقال الحفناوى : هذا فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة لا أنه عظيم على الإطلاق ، إذ الرجال أعظم منهن في الحيل والمكايدة في غير ما يتعلق بالشهوة .

ثم خاطب العزيز يوسف عليه السلام بقوله : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ ، واكنمه ولا تتحدث به حتى لا يفشو ويشيع بين الناس ﴿ واستغفري ﴾ يا زليخا ﴿ لذنبك ﴾ الذى وقع منك ﴿ إنك كنت من الخاطئين ﴾ أى : من جنسهم برى يوسف بالخطيئة .

● ﴿ وقال نوسة ﴾ جماعة من النساء ﴿ فى المدينة ﴾ هى مصر ، وقيل مدينة الشمس : امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴿ وهو يمتنع منها ﴾ قد شفقها حباً ﴿ أى : غلبها حبه ، وقيل دخل حبه فى شفافها ، وهو غلاف القلب ، وهو جلدته عليه ، وقيل : هو وسط القلب . وقال ابن عباس : قتلها حب يوسف ^(٢) .

قال السيد غلام على آزاد البلجرامى فى « سبعة المرجان فى آثار هندوستان » لا استبعاد فى إظهار المشق من جانب المرأة ، أما ترى فى القرآن الكريم غرام امرأة العزيز سيوسف عليه السلام ، والآهات يذكرن المشق فى تنزلاتهم من جانب المرأة

(١) النساء : ٧٦ (٢) تفسير ابن كثير ٤ : ٤٧٦ .

بالنسبة إلى الرجل خلاف العرب ، وسببه أن المرأة في دينهم لاتنسكح إلا زوجاً واحداً ، فحظ عيشتها منوط بحياة الزوج ، وإذا مات تحرق نفسها معه . والعشق بين الرجل والمرأة وضع الإلهي ، فتارة يكون من الطرفين ، وتارة يكون من أحدهما ، وإذا لوحظ الوضع الإلهي ، فالمرأة معشوقة عاشقة ، والرجل عاشق معشوق ، وأهل الهند وافقوا العرب في التنزل بالنساء ، بخلاف الفرس وغيرهم فإن تمزجهم بالبرد فقط ، ولا ذكر للمرأة في أغزاهم ، وللمرأة المحبة إنهم لظالمون حيث يضمنون الشيء في غير موضعه ، كما قال سبحانه وتعالى في قوم لوط عليه السلام : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (١) ، والمولودون من العرب في التنزل بالبرد مقلدون لهم ، والأصل في العرب التنزل بالنساء ، ومعناه : الوصف لهن . وأما الأهند فللا يعرفون التنزل بالبرد قطعاً . انتهى حاصله .

قلت : الأصل في العشق هو للرجل يعشق المرأة ، تدل على ذلك قصة آدم في عشقه حواء عليهما السلام ، وظهور العشق من جانب المرأة للرجل قصة ملة الكفر كما مر ، ويؤيده شعبة أهل الهند فلاحجة فيه لجواز العشق على المسلمين ، وأما عشق الرد فقد سماه الله تعالى فاحشة في قصة لوط ، فالقلدون لهم في ذلك من أهل الفرس وغيرهم خاطئون مخبطون ، فإن هذا كما لا يحل في أى صورة ، ولا يستطاب عند أحدهم العقلاء ، والحافظ ابن القيم والشيخ محمد حياة اللبني قدس سرهما كلام يقين في الرد على عشق الرد والنسوان في « إغاثة اللفهان » و « الداء والدواء » وغيرهما وعقد السيد آزاد رحمه الله تعالى الفصل الرابع من كتابه المذكور في بيان أقسام المعشوقات وأنواع المشاق ، وأورد لكل قسم منهما أشعاراً عجيبية وأبياتاً غريبة باعتبار الجهات المتنوعة والحيثيات المتلونة ، إن رآها السالى تذوب طبيعته الجامدة ، أو الماذن تشتمل ناره الجامدة ، وليس هذا الكتاب محل ذكر مثل هذه الأبواب . وفي ذلك الباب كتاب « نشوة السكران من صباه تذكارات التنزل » وهو أجل ما جمع في هذا الباب ، ولانفك أن كل حجة من كل أحد لكل أحد يخالف الإسلام البحت والإيمان الصرف والإحسان المحض ، إلا ما أرشد إليه خالق البشر ومعطى القوى والتقدير ورسوله المبلغ إلى الأمة كل معروف ومنكر . وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٢) . فهذه المحبة وشدها تنفى عن كل عشق وغرام وتكفى عن

جميع أنواع الوله والهيام . اللهم اجعل حبك أحب إلينا من كل شيء سواك ؛ ولا تمنع
 لـحـب أحد ولا لمشفه فينا موقماً ؛ واجعلنا من الذين قال فيهم نبيك صلى الله عليه
 وسلم « تَمَيَّدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » (١) .

(شعر)

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(غيره)

وكيف ترى ليلي بين ترى بها سواها وما طهرتها بالدامع
 وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خروق المسامع
 أجلك ياليلي عن العين إنما أدرك بقلب خاضع لك خاضع

(غيره)

إذا كان هذا السمع يجرى صباية على غير ليلي فهو دمع مضيع

(غيره بالفارسية)

دل آدمى كه داری دل دور بند دگر چشم از همه فرو ریتند
 وهل يجوز في الإسلام أن يشق أحد خلقاً من خلق الله أو شيئاً من كائناته
 سبحانه ؟ ولا يجب الله الذي خلق هذه المشوقات الغانية المكدرة المشوبة بالآلام ،
 المحفوفة بالأسقام ، وترك خالقها ذا الجلال المطلق والجلال الكامل وتتمام الإكرام ،
 أو رسوله الجاني إلينا بهذا الإيمان والاحمان والإسلام . وفيه در إبراهيم الخليل
 عليه السلام في قوله : ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٢) ، وكيف يأتي من العاقل أن يختار
 الفاني على الباقي ، ويرضى بالندى من الفاني ؟ وهل هذا إلا كما حكى سبحانه وتعالى
 في هذا المقام عن النسوة للذكورات : ﴿إنا نراها في ضلال﴾ عن طريق الرشده
 والصواب ﴿مبين﴾ واضح لا يتبس على من نظره فيه حيث تركت ما يجب على أمثالها
 من العفاف والمتر .

● ﴿فلما سمعت امرأة العزيز ﴿يتكرهن﴾ أي : بنيتهن إياها﴾ أرسلت إليهن
 تدعوهن إليها لتقيم عذرها عندهن ، ولينظرن إلى يوسف حتى يقمن فيا وقعت فيه ،
 قيل : دعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فهن هؤلاء اللاتي عيرنها ﴿وأعتدت

(١) الترفيب والترعيب كتاب الصلاة : ١ : ٢١٨ وفيه « اعبده الله »

(٢) الأنعام : ٢٦

لمن متكأ ﴿أى : هيات لمن مجالس يسكن عليها من ثمارق ومسانيد﴾ وأنت كل واحدة منهم سكيناً ﴿لية لمن ما يحتاج إلى التقطيع من الأظعمة ، قيل : وكان من عادتهم أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين ، وكانت تلك السكاكين خناجر .

﴿وقالت اخرج عليهن﴾ أى : فى تلك الحالة التى هن عليها من الاتكاء والأكل .

● ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ أى : أعظمته ، وقيل : هبته ، وقيل : دهش من شدة جماله ، وقيل : أمدن ، وقيل : حزن ، والأول أولى .

قال الرازى : وعندى أنهم إنما أكبرنه ؟ لأنهم رأين عليه نور النبوة وسواء الرسالة ، وشاهدن فيه مهابة ملكية ، وهى عدم الالتفات إلى المظوم والتكوج وعدم الاعتداد بهن ، فتعجبن من تلك الحالة ، فلا جرم أنهم أكبرنه وعظمته واحترمه . ﴿وقطن أيديهن﴾ أى : جرحنها حتى سال الدم ، وقيل : المراد بالأيدي هنا أناملهن ، وقيل أكاسهن^(١) .

وعن منه عن أبيه قال : مات من اللسوة تسع عشرة امرأة كدأ ﴿وقطن حاش لله ما هذا بشراً﴾ إنما تعجبن عنه البشرية لأنه برز فى صورة قد لبست من الجلال البديع ما لم يعهد لأحد من البشر ، ولا أبصر للبصرون ما يقاربه فى جميع اللسمة البشرية ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ على الله ، لأنه قد تقرر فى الطباع وركز فى النفوس أنهم على شكل فوق شكل البشر فى التوات الصفات ، وأن لا شيء أحسن من الملك ، وأنهم فائقون فى كل شيء ، كما تقرر أن الشياطين على العكس من ذلك ؛ إذ لا شيء أقيح منهم ، وللقصود من هذا إثبات الحسن الفائق الباهر للفرط ليوسف عليه السلام . ﴿قالت فذلكن الذى لفتن فيه﴾ قالت لمن هذا لما رأت افتتاحن يوسف ، إظهاراً لمذد نفسها ، ومعنى ﴿فيه﴾ : فى حبه ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستمع﴾ أى : استغف واستمعى ، وامتنع مما أريده ، طالباً لصفة نفسه عن ذلك .

(شعر بالفارسية)

كرمن آلوده دلمن چه عجب همه عالم كواه عصمت اوست
إنما صرحت بذلك ، لأنها علمت أنه لا ملامة عليها من حيث ذلك ﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ قالته كاشفة لجلباب الحياء هاتكة لستر العفاف .

(١) البحر المحيط : ٥ : ٣٠٣ .

(شعر بالفارسية)

هر كجا سلطان عشق آمد تماند قوت بازوی تقوی راعل
● ﴿قال﴾ يوسف عليه السلام : ﴿رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾ أي : أمل وأطويعهن ، من صبا يصبو إذا مال واشتاق ، ومنه قول الشاعر :

إلى هند صبا قلبي وهند حبها يصي

● ﴿وأكن من الجاهلين﴾ أي : ممن يجهل ما يحرم ارتكابه وقدم عليه ، أو ممن يعمل عمل الجاهل ، أو ممن يستحق صفة اللثم بالجهل ، وفيه : أن من ارتكب ذنباً إنما ارتكبه عن جهالة .

* * *

٧٩ - باب ما نزل في تبين الحق بعد خفاؤه

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتَوَفَّى بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ
عَلِيمٌ . قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتَن يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الظَّنُّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا
رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٥٠ - ٥٢]

● قال تعالى : ﴿وقال الملك اتتوفى به﴾ أي : بيوسف ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن علیم . قال ما خطبكم إذا راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾ فلما علمت زليخا أن هذه اللواتي اتتواها هي بسببها كشفت النطاء وصرحت بما هو الواقع .
● ﴿قالت امرأة العزيز العزيز الآن حصص الحق﴾ أي : تبين وظهر بعد خفاؤه ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فيما قاله من تنزيه نفسه ونسبة المراودة إليها .
● ﴿ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الفاسقين﴾ والغصة بتمامها في كتب التفاسير .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ

فِي سُورَةِ الرَّعْدِ

٨٠ - باب ما نزل في علم الله بحمل الأنثى وتقصه وزيادته

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ ﴾ [٨]

• قال تعالى في سورة الرعد : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ أى : فى بطنها من علقه أو مضنة ، أو ذكر أو أنثى ، أو صبيح أو قبيح ، أو سعيد أو شقى ، أو طويل أو قصير ، أو تام أو ناقص .

• ﴿ وما تغيص الأرحام وما تزداد ﴾ التغيص : التقص ، وعليه أكثر المفسرين ، وقيل : المراد نقص خلقه الحمل وزيادته ؛ كنقص أصبح أو زيادتها ، وقيل : نقص مدة الحمل عن تسعة أشهر أو زيادتها ، وقيل : إذا حاضت المرأة فى حال حملها كان ذلك نقصاً فى ولدها وإذا لم تحض يزداد الولد وينمو ، وقيل : نقص السهم وزيادته ، وقيل : نقصان النذاه زيادة فى مدة الحمل ، وقيل : التغيص : السقط ، والزيادة : التام ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر . ومدة الحمل أكثرها عند قوم ستان ، وقيل : أربع سنين ، وقيل : خمس سنين ، وأقلها ستة أشهر ، وقد يولد لهذه للذة ويميض .

والآية الشريفة مسوقة لبيان إحاطته سبحانه بالعلم ، وعلمه بالتيب الذى هذه الأمور منه ، والله أعلم .

٨١ - باب ما نزل فى الأزواج الصالحات من بشارة الجنة

﴿ جَنَّاتٌ عُدْنُ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ۖ ﴾ [٢٣]

• قال تعالى فى حق الصابرين للقيمين الصلاة ، للثقلين سرّاً وعلانية ، الصالحين السيطه بالحسنه ، وأزواجهم : ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ﴾ اللاتي متن فى عصمتهم ، وذرياتهم ، وذكر الصلاح دليل على أنه

لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك ، ولا ينفع مجرد كونه منهم بدون صلاح .

٨٢ - باب ما نزل في كون الأزواج للرسول عليهم الصلاة والسلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۝ ٣٨ ﴾

[٣٨] .

● قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ أى : لهم أزواج من النساء ولم ذرية تولدوا منهم ومن أزواجهم ، وفى هذا رد على من كان يتكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجه بالنساء ، أى : إن هذا شأن رسول الله المرسلين قبل هذا الرسول ، فما بالك تنسكرون عليه ما كانوا عليه ، فإنه قد كان لسلطان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته ، وكان لآبيه داود مائة امرأة ، وكانوا ينسكبون ويأكلون ويشربون ، فكيف يحمل هذا قادحاً فى نبوته صلى الله عليه وسلم ؟ !

وعن الحسن عن سمرة قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل . أخرجه ابن ماجه والطبرانى وابن النضر ، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه .

وعن سعد بن هشام قال : دخلت على عائشة وقلت : إني أريد أن أتبتل ، قالت : لا تفعل ، أما سمعت الله يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا ۝ ٣٨ ﴾ الآية . أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه .

وقد ورد من النهى عن التبتل والترغيب فى النكاح ما هو معروف (١) . وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أولاد : أربع إناث ، وثلاثة ذكور ، وكانوا فى الولادة على هذا الترتيب : القاسم فزَيْنَبُ فرقية ففاطمة فأم كلثوم فسيد الله - ويلقب بالطيب والطاهر - فإبراهيم ، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ، وماتوا جميعاً فى حياته . صلى الله عليه وسلم ، إلا فاطمة فلما عاشت بعده ستة أشهر .

(١) انظر صحيح البخارى ٧ : ٥ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨ - ٥١٩ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

٨٣ - باب ما نزل في دعاء الأبوين

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤١]

● قال تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ في مشروعية الدعاء للأبوين ولغيرهم من أهل الإيمان، وأحد الأبوين هو المرأة، وأن الدعاء لها من خصال الأنبياء وهدىهم فغيرهم أولى بذلك، وفي الحديث: «أولاد صالح يدعو له» رواه مسلم بطوله عن أبي هريرة رضي الله عنه (١).



(١) الترغيب والترهيب ١ : ٧٨ .

مَا ذَكَرْنَا لِلنِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْحَجِّ

٨٤ - باب ما نزل في امرأة لوط عليه السلام

﴿إِلَّا آءَآلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا
إِنَّهَا لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٩ - ٦٠﴾

• قال تعالى في سورة الحجر في قصة لوط عليه السلام : ﴿ قَالُوا إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ ﴾
أى : آل لوط ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ أى : الباقين في
الغذاب مع الكفرة ، وقد تقدم مثله فيما سبق (١) .
وفيه أنه قد تكون امرأة النبي كافرة وبعلمها رسول من الله ، وفي هذا عبرة لمن
اعتبر ، وتذكرة لمن تذكر .

* * *

٨٥ - باب ما نزل في تزويج البنات

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ . لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي
سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧١ - ٧٢﴾

• قال تعالى : ﴿ قَالَ ﴾ أى : لوط عليه السلام : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ فتزوجهن
حلالاً إن أسلمن ، ولا ترتكبنوا الحرام ، وتقدم تفسير هذا في هود (٢) .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ما عزمتم عليه من فعل الفاحشة بضيقي وما أكرم به .
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ هذا قسم منه جل جلاله بمدة حياة محمد

(١) انظر ص : ١١٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص : ١١٢ من هذا الكتاب .

صلى الله عليه وآله وسلم باتفاق أهل التفسير وإجماعهم تشريعاً له ، ولم يقسم بحياة
أحد غيره ، لأنه أكرم البرية عنده .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« أَمْرُكَ » الآية . أخرجه ابن مردويه كذا في « الدر المنثور » (١) للسيوطي .
رحمه الله .



(١) الدر المنثور للسيوطي ٤ : ١٠٣ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ النِّكَاحِ

٨٦ - باب ما نزل في جمل البنات لله تعالى

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [٥٧]

• قال تعالى في سورة النحل : ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ وقد كانت خزاعة وكنانة يقول : اللاتكة بنات الله . ﴿ سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ نزه نفسه عما نسب إليه هؤلاء ، ولهم يجعلون لانفسهم ما يشتهونه من البنين .

٨٧ - باب ما نزل في اسوداد الوجه من ولادة الانثى

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٥٨ - ٥٩]

• قال تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ﴾ أى أخبر بولادة بنت له ﴿ ظل وجهه مسوداً ﴾ أى صار متغيراً من النهم والحزن والنيظ والسكرافة ﴿ وهو كظيم ﴾ أى : متحليء من النهم غيظاً وحققاً .

﴿ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ﴾ وسوءها : من حيث كونها يخاف عليها الرثاء ، ومن حيث كونها لا تكتب ، وغير ذلك .

﴿ أيمسكه على هون ﴾ أى : هوان ، أو بلاء ومشقة ، أو سوء . ﴿ أم يدسه في التراب ﴾ أى : يخفيه فيه بالوؤاد كما كانت تفعله العرب .

﴿ ألا ساء ما يحكمون ﴾ حيث أضافوا البنات التي يكرهونها إلى الله سبحانه ،

وأضافوا البنين المحبوبين عندهم إلى أنفسهم ، قال السدى : بس ما حكوا بقول شيء لا يرضونه لأنفسهم ، فكيف يرضونه لله تعالى ١٩ .

* * *

٨٨ — باب ما نزل في امتنان الله على عباده بأن جعل أزواجهم

من أنفسهم وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ۖ ﴾ [٧٢]

• قال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ قال المفسرون : يعنى النساء ، فإن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام ، وللعنن : خلق لكم من جوارحكم أزواجاً لتستأنسوا بها ، لأن الجنس يأنس إلى جنسه ويستوحش من غير جنسه ، وبسبب هذه الأنسة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب النسل .

• ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ جمع حفيد ، والمراد : أولاد الأولاد ، قال ابن عباس : الحفيد ولد الابن ذكر أو أنثى وولد البنت كذلك . وتخصيصه بالذكر ، وتخصيص ولد الأنثى بالبط عرف طارىء على أصل اللغة . وقيل : الحفدة : الأختان ، قاله ابن مسعود وغيره ، وقيل : الأصهار ، وقال الأصمعي : الحنن من كان من قبل المرأة كابنها وأخوها وما أشبهها والأصهار منها جميعاً ، وقيل : هم أولاد امرأة الرجل من غيره ، وقيل : أولاد الرجل الذين يخدمونه ، وقيل : البنات الخدامات لآلهن . وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك ، ورجح كثير من العلماء أنهم أولاد الأولاد (١) ؛ لأن الله سبحانه أمتن على عباده بأن جعل لهم من الأزواج بنين وحفدة ، فالحفدة في الظاهر عطف على البنين ، والله أعلم .

* * *

(١) لسان العرب : الحفيد والحفدة : الأعوان والحفدة واحدهم : حانده ، وحفدة الرجل : بناته ، وقيل : أولاد أولاده ، وقيل : الأصهار والحفيد ولد الولد بالجمع خفاده . . .

٨٩ - باب ما نزل في الإخراج من بطون الأمهات

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ([٧٨])

• قال تعالى : ﴿ واللّه أخرجه من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ عطف على قوله : ﴿ واللّه جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ منتظم معه في سلك أدلة التوحيد .
أى : أخرجه من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء من منافسكم

٩٠ - باب ما نزل في طيب حياة الأنثى العاملة عملاً صالحاً

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ([٩٧])

• قال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ ، وقد وقع الخلاف في الحياة الطيبة بماذا تكون ؛ فقيل (١) : بالرزق الحلال هنا ؛ والجزاء الحسن هناك ، وقيل : بالقناعة ، وقيل : بالكسب الطيب والعمل الصالح ، وقيل : هي حياة الجنة ، وقيل : السعادة ، وقيل : المعرفة بالله ، وقيل : حلاوة الطاعة ، وقيل : العيش في الطاعة ، وقيل : رزق يوم يوم ، وقيل : إنما هي تحصل في القبر ؛ لأن المؤمن يستريح بالموت من هذه الدنيا وتمها ، وقيل : هي أن ينزع عن العبد تدبير نفسه ويرد تدبيره إلى الحق ، وقيل : هي الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق . واللفظ أوسع من ذلك ولا مانع من إرادة الكل ، وأكثر المفسرين على أن الحياة الطيبة هي في الدنيا لا في الآخرة ؛ لأن حياة الآخرة ذكرت بقوله : ﴿ ولنجزينهم أجراً أحسن ما كانوا يعملون ﴾ وعلى كل حال في الآية بشارته للذكر والأنثى إذا كانا مؤمنين .

—>>>><<<<—

(١) تفسير ابن كثير ٢ : ٨٠ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ

٩١ - باب ما نزل في الإحسان إلى الوالدين ونهى الولد

عن زجر الوالد

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِأَن تَوَلَّدَ بَنٌ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلِغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [٢٣ - ٢٤]

● قال تعالى في سورة بني إسرائيل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ أي :
أمر أمرأ جزماً وحكماً قطعاً وحنأ مبرماً ، وفيه وجوب عبادة الله وللمنع من عبادة
غيره ، وهذا هو الحق . ثم أرفده بالأمر ببر الوالدين وأحدهما آف ، فقال :
﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ أي : وقضى بأن تحسنوا ، أو أحسنوا إليهما وبروهما ، قيل :
وجه ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه أنهما السبب الظاهر في وجود
التولد منهما ، وفي جعل الإحسان إلى الأبوين قرينة لتوحيد الله وعبادته من الإعلان
بتأكد حقهما والمناية بشأنهما ما لا يخفى ، وهكذا جعل سبحانه في آية أخرى شكرهما
مقترباً بشكره فقال : « أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ » ^(١).

● ﴿ إِمَّا يَبْلِغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ ، معنى عندك : أن يكونا في
كنفك وكفالتك .

● ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ ﴾ أي : في جالتي الاجتماع والافتراق ، وعن الحسين بن
علي رضي الله عنهما مرفوعاً : « ولو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من « آف »
سخره » ، وقال مجاهد : لا تقل لهما آفٌ لما يميظ عنهما من الأذى ، أي : الخلاء ،
والبول ، كما كانا يقولان حين كانا يميظان عنك الخلاء والبول ، وفي « آفٍ » أربعمون
الشفة ^(٢) ، قاله السمين . وهو اسم فعل ينبئ عن التضرع والاستئصال لها .

(٢) البحر المحيط ٦ : ٢٣

(١) سورة لقمان : ١٤

● ﴿ولا تنهرهما﴾ أى : لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يمجيك ، واللهى والنهر والنهم أخوات بمعنى : الزجر والتلظة ، قال الزجاج : معناه لا تسكاهما ضجراً صاعجاً في وجوههما . (١)

● ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ لطيفاً ليناً جميلًا سهلًا : أحسن ما يمكن التعبير عنه . من لطف القول وكرامته ، مع حسن الأدب والحياء والاحتشام ، قال محمد بن زبير : يعنى إذا دعواك فقل : لبيكاً وسديكاً . وقيل : هو أن يقول : يا أماء يا ابتاء ، ولا يدعوها بأسمائهما ولا يكنيها (٢) .

● ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ قال سعيد بن جبير : أى : اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد اللفظ التليظ ﴿من الرحمة﴾ أى : من أجل فرط الشفقة والمطف . عليهما ، لسكبرهما وافتقارهما لمن كان أقر خلق الله إليهما بالأمس .

● ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أى : وادع الله أنهما ولو خمس مرات في اليوم والليلة أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة ، وأراد به إذا كانا مسلمين ﴿كما ربياني صغيراً﴾ . أى : رحمة مثل تربيتيها لى .

ولقد بالغ سبحانه بالوالدين بمبالغة تقشعر منها جلود أهل التقوى ، وتقف عندها شعورهم ، حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته ، ثم شفعه بالإحسان إليهما ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخس في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ، ومع أحوال لا يكاد يصاب الإنسان معها ، وأن يذل ويخضع لهما ، ثم ختم الأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما ، فهذه خمسة أشياء كلف الإنسان بها في حق الوالدين .

وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، وهى معروفة في كتب الحديث .

(١) إمراب القرآن ومعانيه خ رقم ٢٤٨ تفسير لوحة رقم : ٦٤

(٢) البحر المحيط ٦ : ٢٧

٩٢ - باب ما نزل في النهي عن الزنا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٣٢]

• قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّه كان فاحشة ﴾ أى : قبيحاً بالنا فى القبح مجاوزاً للحد شرعاً وعقلاً ﴿ وساء سبيلاً ﴾ أى : بئس طريقاً طريقه ، وذلك أنه يؤدى إلى النار ، ولا خلاف فى كونه من كبار الذنوب ، وقد ورد فى تقييده والتنفيذ عنه من الأدلة ما هو معلوم ، وهو يشتمل على أنواع من المفسد منها : المصية ، وإيجاب الحد على نفسه ، ومنها اختلاط الأنساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ، ولا يقوم أحد بتربيته ، وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع النسل ، وهو خرابه العالم . وعن السدى فى الآية قال : يوم تزل هذه هذه لم تكن حدود ، فجاءت بعد ذلك الحدود فى سورة النور ، وللمتة حكمها حكم الزنا (١).



(١) انظر ص ٧٤ من هذا الكتاب

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْكَهْفِ

٩٣ - باب ما نزل في إهلاك الفاسق لرعاية حالة الوالدة

المؤمنة والوالد المؤمن

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [٨٠]

● قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ ولم يكن هو كذلك ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ أى: يرحق الغلام أبويه ، قال المفسرون معناه : خشينا أن يحملهما جه على أن يتبعاه في دينه وهو الكفر ، أو خشينا أن يرحق الوالدين ﴿طُغْيَانًا﴾ عليهما ﴿وكفراً﴾ لئلا تنتميا ببقوة^(١) ، والله أعلم .

* * *

٩٤ - باب ما نزل في أن الله يحفظ الصالح والصالحة

في أنفسهما وولدهما

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [٨٢]

● قال تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فكان صلاحه مقتضياً لرعاية ولديه وحفظ مالهما وظاهر اللفظ أنه أبوهما حقيقة ، وقيل : هو الذى دفته ، وقيل : هو الأب السابع من عند الدافن له ، وقيل : العاشر ، وكان من الأتقياء . وفيه ما يدل على أن الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بدوا ، وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يصلح صلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده ، وأهل دويرته وأهل دويرات حوله ، فما يزالون في حفظ الله مادام فيهم »^(٢)

(١) البحر المحيط ٦ : ١٥٥ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٩٤

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٤ : ٢٣٥ .

أخرجه ابن مردويه . وعن ابن عباس مثله . قال سعيد بن السيب : إني لأصلي فأذكر
ولدي فأزيد في صلاتي . وقد روى : أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (١) .
وعلى هذا يدل قوله تعالى : « إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَقُولُ الصَّالِحِينَ (٢) » قاله القرطبي .



(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٩٩

(٢) الأعراف : ١٩٦ .

مَا نَزَلَ عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ

٩٥ - باب ما نزل في بشارة زكريا يحيي حال كونه شيخاً

كبيراً وامراته عاقراً

﴿ . . . وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا . . . ﴾ [٨]

● قال تعالى في سورة مريم : ﴿ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ وهي التي لاتلد لكبر سنها .
والتي لاتلد أيضاً لغير كبر ، وهي المرادة هنا ، ويقال للرجل الذي لايلد : عاقراً أيضاً .
وكان اسم امراته أشاع بنت فاقوذ ، وهي أخت حنة وهي أم مريم ، فولد لأشاع
يحيى ولحنة مريم ، وقاله القتيبي . هي أشاع بنت عمران ، فعلى القول الأول يكون
يحيى بن زكريا ابن خالة أم عيسى ، وعلى الثاني يكونان ابني خالة كما ورد في الحديث
الصحيح (١) .

٩٦ - باب ما نزل في بر الوالدين

﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [١٤]

● قال تعالى : ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ أي : لطيفاً بهما ومحسناً إليهما ، لأنه لاعبادة بعد
تعظيم الله أعظم من برهما ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ أي : متكبراً عاصياً ، وهذا
وصف ليحيى عليه السلام بلين الجانب وخضوع الجناح .

(١) الكشف للزغفرى ١ : ٣٠١

٩٧ — باب ما نزل في ولادة عيسى من مريم عليهما السلام

وذكر المخاض

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا
رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهْبُ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ
وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيمٌ هِينٌ
وَلَنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا . فَفَعَلْنَاهُ
فَاَنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ تَسِيًّا مَنِيًّا . فَتَادَنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا
أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا . وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ
فَنُفِثَ عَلَيْكِ طَبْعًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ
مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا . فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ . قَالُوا بِمَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
فَرِيًّا . بَيَّنَّا نَحْنُ هُنَا وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِ صَبِيًّا .
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرَأ

يُولَدَنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا .. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
 أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي
 فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ ١٦ - ٣٤ ﴾

● قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ أي : قصتها وخبرها ونبأها ﴿ إِذْ
 اتَّخَذْتِ ﴾ أي : تتحت وتباعدت ، وقيل : اعتزلت وانقردت ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ من قومها
 ﴿ مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ أي : من جانب الشرق ﴿ فَاتَّخَذَتْ ﴾ أي : ضربت ﴿ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ -
 أي : من دون أهلها ﴿ حِجَابًا ﴾ أي : حاجزاً وستراً يسترها عنهم لئلا يروها حال
 العباد ، أو حال التطهر من الخيض .

● ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ وهو جبريل عليه السلام ليشرها بالسلام ولينبئ
 فيها فتحمل به ﴿ فَمَثَلْ لَهَا ﴾ جبريل عليه السلام ﴿ بَشِيرًا سَوِيًّا ﴾ تاماً مستوياً الخلق .
 لم يفقد من نموت بنى آدم شيئاً ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴾ من
 يتقى الله ويخافه ويمامل بمقتضى التقوى والإيمان .

● ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ الذي استعذت به ﴿ لِأَهْبِ لَكَ غُلَامًا
 زَكِيًّا ﴾ هو الطاهر من الذنوب الذي ينمو على النزاهة والفضة ، قيل :
 المراد بالزكى : النجى

● ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ زوج بشكاح ﴿ وَلَمْ أَكْ بَنِيًّا ﴾ -
 فاجرة . والبني : هي الزانية التي تبني الرجال ، تعنى أن الولد لا يكون إلا من نكاح
 أو سفاح ، ولم يكن هنا واحد منهما .

● ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾ أي : هكذا من خلق غلام منك من غير أب ﴿ قَالَ رَبِّكِ
 هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ يستدلون بها على كمال القدرة على أنواع الخلق .
 فإن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق
 عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى ، قاله الكرخي .
 ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ عظيمة كائنة ﴿ مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ ، حملته فاتخذت به مكاناً مقصياً ﴿ -
 أي : اعتزلت إلى مكان بعيد من أهلها مخافة اللائمة ، قيل : حملت به ستة أشهر -

وقيل : ثمانية أشهر ، وذلك آية أخرى ، لأنه لا يعيش من ولد لهذه المدة ، وقيل : سبعة أشهر ، وقيل تسعة أشهر كحمل النساء ، وقيل : كان الحمل والولادة في ساعة واحدة .

● ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ أى : وجع الولادة ﴿ إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أى : ساقها اليابسة التى لا رأس لها ، كأنها طلبت شيئاً تستند إليه وتعتمد عليه وتعلق به كما تعلق الجائل لشدة وجع الطلق بشيء مما يجده عندها ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نِسْياً بَنَسِياً ﴾ أى : شيئاً حقيراً متروكاً ، تمت الموت استحياء من الناس أو خوفاً من القضيحة .

● ﴿ فَتَادَاهَا ﴾ أى : خاطبها لما سمع قولها ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ والنساذى جبريل ، وقيل : عيسى ﴿ أَلَا تَحْزَنُ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ أى : نهراً صغيراً ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ الْجَنْعَ النَّخْلَةَ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْباً جَنِيّاً ﴾ أى : طرياً طيباً ﴿ فَكَاىَ وَاشْرَبِ ﴾ من ذلك الرطب والماء ﴿ وَفَرَى عَيْناً ﴾ أى : وطبى نفساً ﴿ فَلَمَّا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً . فَأَعَتْ بِهَا قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ عجباً نادراً .

● ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ قيل : هو هارون أخو موسى ، قيل : كانت مريم من ولده ، وقيل : هو رجل صالح في ذلك الوقت ، شبهت به في عفتها وصلاحتها ، وعن المنيرة بن شعبة قال : بشق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ، فقالوا : أرايت ما تقرأون : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وهو قبل عيسى بكذا وكذا سنة ؟ قال : فزجمت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وعبد ابن حديد وابن أبى شعبة وغيرهم^(١) . وهذا التفسير النبوى يشق عن سائر ما روى عن السلف في ذلك .

﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ نَبِيّاً . فَأُشَارَتْ ﴾ أى : مريم ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أى : إلى عيسى : أَنْ كَلِمَهُ .

(١) تفسير الرسول ١ : ١٤٣ ، وفيه : فقال : « إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » أخرجه مسلم والترمذى .

• ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾ فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم ﴿ وقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبرا بوالدي ﴾ اقتصر على البر بها لأنه قد علم في تلك الحال أنه لم يكن له أب ﴿ ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى ابن مريم ﴾ لا مائة وله النصارى من أنه ابن الله وأنه إله ﴿ قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ يشكون ويختلفون .



مَا تَذَكَّرْنَا لِنَسَاءِ
فِي سُورَةِ طه

٩٨ - باب ما نزل في الإيمان بالنار إلى المرأة

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا

إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [١٠ - ٩]

● قال تعالى في سورة طه : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ المراد بالآهل هنا : امرأته ، وهي بنت شبيب^(١) ، واسمها صفورا ، وقيل : صفوريا ، وقيل : صفوره ، واسم أختها ليا ، وقيل : شرفا ، وقيل : عيدا ، واختلف في التي تزوجها موسى ؛ هل هي الصنرى أو الكبرى ؟ ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا . لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أى : هاديا يهدينى إلى الطريق ويدلنى عليها ، وكان أخطأها لظلمة الليل .

٩٩ - باب ما نزل في إرجاع الولد إلى الوالدة

﴿إِذَا أُوحِنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى : أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي النَّابُوتِ

فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ . . . إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ

فَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ . فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّبَ إِلَيْهَا

وَلَا تَحْزَنْ .﴾ [٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠]

● قال تعالى : ﴿إِذَا أُوحِنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ والمراد بالوحي : الإلهام أو المنام ، أو على لسان نبي أو ملك . ولاطى طريق النبوة ، كما لوحي إلى مريم ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي النَّابُوتِ﴾ فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ﴿اليم هنا هو : النيل إلى قوله : إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ وكانت شقيقته ، واسمها مريم^(٢) ﴿فَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾ وذلك أنها خرجت مترفة لحبره ، فوجدت فرعون وأمرأته آسيا يعلبان له مرضعة ، فقالت لها : هذا القول ، وكانت أمة قد أرضعته ثلاثة أشهر ، وقيل : أربعة قبل إلقائه

(١) تسميا بن كثر ٣ : ٣٨٥ (٢) البحر المحيط ٦ : ٢٤٧

في اليم ، فقالا لها : ومن هو ؟ قالت : أمي ، فقالا : هل لما ابن ؟ قالت : نعم لابن أخي
هارون أكبر من موسى بسنة ، وقيل : بأكثر ، فجاءت الأم فقبل نديها ، وكان
لا يقبل ندى مرضمة غيرها ، وهذا هو معنى (١) ﴿ فرجناك إلى أمك كي تقر عينها
ولا تحزن ﴾ حيث قد ، أي : لا يحصل لها ما يكدر ذلك السرور من الحزن بسبب من
الأسباب .

* * *

١٠٠ - باب ما نزل في بدو سواة المرأة

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءٌ تُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ ۝ [١٢١] ﴾

• قال تعالى : ﴿ فَأَكَلَا ﴾ أي : آدم وحواء ﴿ منها ﴾ أي : من الشجرة ﴿ فبدت لهما
سواتهما ﴾ يعني : عريا من الثياب ، التي كانت عليهما ، بسبب تساقط حلال الجنة عنهما
لما أكلتا من الشجرة ، حتى بدت فروجيهما وظهرت عورتيهما ، وسمى كل منهما
سواة ؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ويحزنه .

• ﴿ وطفقا ﴾ أي : أقبلا وأخذوا وجلا ﴿ يخضفان ﴾ يلمصان ﴿ عليهما ﴾ لتمر
سواتهما ﴿ من ورق الجنة ﴾ قيل : من ورق التين بفضه ييمضه ، حتى يصير طويلا
عرضاً يصلح للاستتار به .

(١) البحر المحيط : ٦ : ٢٤٢ .

ما ذكر عن النساء
في سورة الأنبياء

١٠١ - باب ما نزل في إصلاح الله الزوجة

﴿ ٠ ٠ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ٣ ٠ ٠ ﴾ [٩٠]

● قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ ﴾ أى : ذكرنا عليه السلام ﴿ زَوْجَهُ ﴾ قال أكثر المفسرين : إنها كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً ، وقيل : كانت سيئة الخلق ، ولأمانع من إرادة الأمرين جميعاً ، قال ابن عباس : كان في لسان امرأة ذكرنا طول فأصلحه الله . وروى نحو ذلك عن جماعة من التابعين (١) .

١٠٢ - باب ما نزل في نفخ الروح في المرأة

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٩١]

● قال تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ هي مريم عليها السلام ، فلما أحصنت الفرج من الحلال والحرام ولم يمسها شر ، وقيل : المراد بالفرج جيب القميص ، أى : إنها طاهرة الأنواب . والاولى أولى .

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ يريد : روح عيسى ، وقيل : هو جبريل أمرناه فنفخ في جيب درعها فحملت عيسى ﴿ وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ لأنها ولده من غير رجل .

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ١٩٣

مَا تَزَكَّرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْحَجِّ

١٠٣ - باب ما نزل في ذهول المرضعة من رضيعها ووضع الحامل

حملها من زلزلة الساعة

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [٢]

• قال تعالى في سورة الحج : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أى : ترون زلزلة الساعة ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ أى : تنفل كل ذات إرضاع عن رضيعها ، وقيل : تشتغل عنه ، وقيل : تلس ، وقيل : تلهو ، وقيل : تساو ، وللمأني متقاربة . وهذا يدل على أن هذه الزلزلة فى الدنيا ، إذ ليس بعد القيامة حمل ولا إرضاع .

﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أى : تلقى جنينها بنير تمام من شدة الهول ﴿وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد﴾ فبسبب هذه الشدة والهول العظيم تطيش عقولهم وتضطرب أفهامهم ، فيصيرون كالسكرى ، بجامع سلب كل التمييز وصحة الإدراك .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ

١٠٤ - باب ما نزل في حفظ الأزواج لفروجهم إلا على الزوجات

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا نُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْفُجَاءَ فَإِنَّ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [٧-٥]

• قال تعالى في سورة المؤمنین : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا نُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْفُجَاءَ فَإِنَّ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ . أي : يأمون على كل مباشرة إلا على ما أحل لهم فإنهم غير ملومين عليه ، وللمراد « بالأزواج » : الحرائر « وبما مَلَكَوا » : الإماء والسراري والجواري ، والآية في الرجال خاصة ؛ لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها .

• ﴿ فَمَنْ ابْتَدَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أي : المجاوزون إلى ما لا يحل لهم . وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة (١) ، واستدل بها بعض أهل العلم على تحريم الاستنماء ؛ لأنه من الوراء لما ذكر ، فهو حرام عند الجمهور ، وخالفهم غيرهم لجونه .

* * *

١٠٥ - باب ما نزل في جمل أم عيسى آية للناس ، وهي مريم

عليها السلام

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ

قَبَارٍ وَنَعِيمٍ ﴾ [٥٠]

• قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ أي : علامة تدل على عظم قدرتها وديع صنعها ، أي : ولادته من غير أب وخلق من غير نطفة .

(١) انظر ص ٧٤ من هذا الكتاب

• ﴿ وآويناها ﴾ أى : استكنّاها وأنزلناها وأوصلناها ، وجعلناها مأوىً ،
﴿ إلى ربوة ﴾ هى المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات ،
وقيل : هو أعلى مكان من الأرض ، فيزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلاً ،
قيل : هى أرض دمشق ، وقيل : بيت المقدس ، وقيل : فلسطين ، وعن مرة البهذى
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الربوة» : «الرملة» أخرج الطبرانى
وابن أبى حاتم وابن جرير وغيرهم^(١) . وقيل : مصر . فهربت به إلى تلك الربوة ،
ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

﴿ ذات قرار ﴾ مستقر يستقر عليه ما كنوه ، وقيل : ذات خصب ، وقيل :
ذات أنهار ﴿ ومعين ﴾ وهو الماء الجارى فى الميون .



(١) تفسير ابن كثير : ٣ : ٢٤٦ مع اختلاف فى الرواية

مَا تَذَكَّرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ النِّسَاءِ

١٠٦ — باب ما نزل في أن حد الزانية جلد مائة إذا لم تحسن

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]

● قال تعالى في سورة النور : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ الزنا : هو وطء الرجل المرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح ، وقيل : هو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً «والزانية» : هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منها ، كما تنهى عنه الصينة ، لا للسكره ، وكذلك الزاني .

وتقديم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل ، لكون الداعية فيها أوفر . ولولا تمحيصها منه لم يقع ، قاله أبو السعود . وقيل : وجه التقديم أن الزنا في ذلك الزمان كان في النساء أكثر ، حتى كان لمن رايات تنصب على أبوابهن ليعرفن من أراد الفاحشة منهن .

● ﴿فاجلدوا﴾ الجلد : الضرب الشديد ، والخطاب للأئمة ومن قام مقامهم ، وقيل للمسلمين أجمعين ، لأن إقامة الحدود واجبة عليهم جميعاً ، والإمام ينوب عنهم إذ لا يمكنهم الاجتماع على إقامة الحدود . ﴿كل واحد منهما مائة جلدة﴾ هو حد الزاني الحر البالغ البكر ، وكذلك الزانية ، وثبت بالسنّة زيادة على هذا الجلد وهو تنزيه عام (١) ، وبه قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : التنزيه إلى راي الإمام ، والحديث يرد . وقال مالك : يجلد الرجل ويضرب وتجلد المرأة ولا تقرب . وأما المملوك والمملوكة فجلد كل واحد منهما خمسون جلدة لقوله تعالى : «فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَمَّا يَمُنُّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ» (٢) .

هذا نص في الإمام والحق بهن الميّد لمدم الفارق . وأما من كان محصناً من الأحرار فمطليه الرجم بالسنّة الصحيحة المتواترة ، وإجماع أهل العلم ، وبالقرآن المنسوخ لفظه الباقي حكاه وهو : «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» (٣) وزاد

(١) البخاري : ٨ : ٢١٢ .

(٢) النساء : ٧٥ . وانظر ص ٧٥ - ٧٦ من هذا الكتاب

(٣) القرطبي ج ٢ : الضعيف ص ١٦٥٩

-جماعة من أهل العلم مع الرجم جلد مائة ، وهو الحق . وقال النسقي : التعريب منسوخ
بِالْآيَةِ وليس بصحيح ، فقد أثبتته السنة الصحيحة ، نعم هذه الآية ناسخة لآية
طهيس وآية الأذى اللتين في سورة النساء .

• ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ ، أى : رقة ورحمة ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ أى : فى
طاعته وحكمه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وكفى بذلك أسوة برسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال : « لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (١).

• ﴿ وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ندباً ، قيل : أقلها ثلاثة ؛ وقيل :
أربعة ، وقيل : عشرة . ولا يجب على الإمام حضور الرجم ولا الشهود ، لأنه صلى الله
عليه وسلم أمر برجم ماعز والنعامدية (٢) ولم يحضر رجمهما ، وخض المؤمنين بالحضور ،
لأن ذلك أفصح ، والفاسق بين صلحاء قومه أخجل .

١٠٧ - باب ما نزل فى نكاح المشركة وغيرها

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ
أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣]

• قال تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ
مُشْرِكٌ ﴾ يعنى : أن الثالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح ، والزانية
لا يرغب فيها الصلحاء ، فإن المشاكلة علة الإلهة .

واختلف أهل العلم فى معنى الآية على أقوال سبعة أرجحها ما ذكرنا بلفظ النائب ،
والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا ، وسبب النزول (٣)
يشهد له .

وقد اختلف (٤) فى جواز تزوج الرجل بامرأة قد زنى بها ، فقال الشافعى وأبو حنيفة

(١) تيسير الوصول : ٣٠٧ : ١ ، واظهر صحيح البخارى ٨ : ١٩٩

(٢) تيسير الوصول : ١ : ٣٠٢

(٣) أسباب النزول : ١٧٩ - ١٨٠ ، تيسير الوصول : ١ : ١٤٥ - ١٤٦ أخرجه

أصحاب السنن . (٤) القرطبي ج ٥ . الشعب ص ٤٥٦٩

يحوذ ذلك ، وروى عن ابن عباس أنه لا يجوز ، وقال ابن مسعود . إذا زنى الرجل
بامراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان أبدا ؛ وبه قال مالك .
(وحرم ذلك) أى : الزنا أو نكاح الزواني (على المؤمنين) قيل : مسكروه
نقط ، وعبر بالتحريم عن كراهة التنزيه ، مبالغة فى الزجر .

* * *

١٠٨ - باب ما نزل فى رمى المحصنات وحده الرامى

(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ
ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ - إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [٥ - ٤]

● قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات) أى : النساء المفيات بالزنا ،
وكذا المحسنين ، وإنما خصن بالله كره لأن قنظهن أشنع والماء فيهن أعظم ، ويلحق
الرجال بالنساء فى هذا الحكم بإخلاف بين علماء هذه الأمة ، وقيل : أراد بالمحصنات :
المعزجات ، وتمم الآية الرجال والنساء ، والأول أولى . وذهب الجمهور الى أنه لاحد
على من قذف كافرا ، أو كافرة ، وقيل : يجب عليه الحد . والبعد يجلد أربعين جلدة
. وقيل : ثمانين ، والأول أولى . وشرائط الإحصان خمسة : الإسلام ، والعقل ،
والبالوغ ، والحرية ، والنفقة من الزنا .

● (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون علمين بوقوع الزنا منهم برؤيتهم ،
وظاهر الآية أن يكون الشهود مجتمعين ومتفرقين ، وإذا لم يكمل الشهود أربعة كانوا
قذفة يصدون حد القذف . قال الحسن والشعبي : ولا حد على الشهود ولا على المشهود
عليه ، وبه قال أحمد ونعمان^(١) ، ويرد ذلك ما وقع فى خلافة عمر رضى الله عنه من
جلده لثلاثة الذين شهدوا على النيرة بالزنا ، ولم يخالف فى ذلك أحد من الصحابة .
● (فاجلدوهم) أى : لكل واحد منهم (ثمانين جلدة) ولا تقبلوا لهم شهادة (وأولئك
لأنهم قد صاروا بالقذف غير عدول بل فسقة) أبدا (ماداموا فى الحياة) وأولئك
هم الفاسقون (لإتيانهم كبيرة ، وفيه دليل على أن القذف من الكبائر) .

(١) القرطبي : ج ١ • الصب : ٤٥٦٩

• ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أى: بعد إقرارهم لذنوب القذف وأصلحوا أعمالهم وأقوالهم بالتوبة والالتجاء للحد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ينظر ذنوبهم ويرحمهم ، قال الجمهور^(١) : إذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه الفسق . وقال أبو حنيفة : يرتفع بالتوبة وصف الفسق ولا تقبل شهادته أصلاً . والحق هو الأول .

* * *

١٠٩ — باب ما نزل في الملاعة بين الزوج والزوجة

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٩-٦]

• قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ جمع «زوج» بمعنى الزوجة ، لم يقيد هنا بالمحصنات إشارة إلى أن اللعان يشرع في قذف المحصنة وغيرها ، فهو في قذف المحصنة يسقط الحد عن الزوج ، وفي قذف غيرها يسقط التمزير ، كأن كانت ذمية أو أمة أو صبيحة تحتل الوطء ، بخلاف قذف الصبيحة التي لا تحتلها ، وبخلاف قذف الكبيرة التي ثبت زناها ببينة أو إقرار ، فإن الواجب في قذفها التمزير ، لكنه لا يلاعن لنفسه ، كما في كتب الفروع ، وقد وقع قذف الزوجة بالزنا للجماعة من الصحابة ، كهلal بن أمية ، وعويمr العجلاني ، وعاصم بن عدي^(٢) .

• ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ يشهدون بما رموهن به من الزنا ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ فشهادة أحدهم أى : للشهادة التي تزيل عنه حد القذف ، أو فالواجب شهادة أحدهم ، أو تسليم أن يشهد أحدهم ﴿أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ فيما رماها به من الزنا

(١) القرطبي : ج ٥ . القصب ص ٤٥٧١

(٢) البخاري ٧ : ٤٤

المشهد به ﴿ و ﴾ الشهادة ﴿ الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ فيا رماها به من الزنا .

• ﴿ ويدراً ﴾ أى : يدفع ﴿ عنها ﴾ أى : عن المرأة ﴿ المذاب ﴾ الديوى ، وهو الحد ، والمعنى : أنه يدفع عن المرأة الحد ﴿ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه ﴾ أى : الزوج ﴿ لمن الكاذبين ﴾ فيا رماى به من الزنا (و) تشهد الشهادة ﴿ الخامسة أن غضب الله عليهما إن كان ﴾ أى : الزوج ﴿ من الصادقين ﴾ فيا رماها به من الزنا ، وتخصيص الغضب بالمرأة للتليظ عليها لكونها أصل الفجور ومادته ، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة ومع استكثارهن منه لا يكون له في قلوبهن كبير موقع ؛ بخلاف الغضب .

وعن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « البينة وإلا حد في ظهرك » ، فقال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً أبنتك البينة ؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة وإلا حد في ظهرك » ، فقال هلال : والذي بك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى بلغ ﴿ إن كان من الصادقين ﴾ فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما ، فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الله يعلم أن أحدكما لكاذب ، فهل منكما تائب ؟ » ثم قامت المرأة فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها^(١) وقالوا : إنها موجبة ، فتلسكأت ، أى : تكلمت حتى ظننا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفصح قومي سائر اليوم ، ففضت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبصروها فإن جاءت به أكمل العيتين ، سابع الإيتين ، خدج الساقين ، فهو لشريك بن سحاء » فجاءت به كذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا ماضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن » أخرجه البخارى والترمذى وابن ماجه^(٢) .

(١) وقفوها : بالتشديد أو بالتخفيف ، أى : أشاروا عليها بأن ترجع وأمرها بالوقوف عن تمام اللعن ؛ فلا يجب عليها اللعن إن كانت كاذبة .
(٢) تيسر الوصول ١ : ١٤٦ و خدج الساقين أى : عظيمهما . وانظر البخارى ٧ : ٦٤ - ٧٢ .

وأخرج هذه القصة أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مطولة . وأخرجها البخاري ومسلم وغيرهما ولم يسموا الرجل ولا المرأة ، وفي آخر القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « اذهب فلا سبيل لك عليها » ، فقال يارسول الله مالي ، قال : « لا مال لك ؛ إن كنت صدقت عليها فهو بما استحلت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها فذاك أبعد لك منها » .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال : سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله أيقبل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمائل ، فقال عويمر : والله لأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سأله ، فأناه فوجده قد أنزل عليه ، فدعا بهما فلاع بينهما ، قال عويمر : إن اضلقت بها يارسول الله ، لقد كذبت عليها ، ففارقها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة للتلاعنين^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبصروها فإن جاءت به سمح^(٢) ، أدعج العينين^(٣) ، عظيم الإليتين . فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره^(٤) ، فلا أراه إلا كاذباً » . فجاءت به مثل النعت المذكور .

وفي الباب أحاديث كثيرة يأتي بعضها في عمله ، وأخرج عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب وعطى وابن مسعود قالوا : لا يجتمع للتلاعنان أبداً^(٥) .

(١) البخاري : ٧ : ٥٥

(٢) الأسحم : الأسود .

(٣) دحج العينين : شدة سواد سواد العين مع شدة يان يان العين ، وقيل : شدة سواد حلقة العين مع اتساع العين .

(٤) الوحره : دوية تشبه الوزغ تستقرها العرب .

(٥) العرطي ج ٥ : الشعب ص : ٤٥٨٦

١١٠ - باب ما نزل في الجائنين بالإفك

في حق النساء ورميهن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١١ - ١٢ ، ٢٣] .

● قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾ هو أسوأ الكذب والحسد واقبحه .
« فالإفك » هو الحديث الملقوب لكونه مصروفاً عن الحق ، وقيل : هو البهتان ، وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك عن عائشة أم المؤمنين ، وإنما وصفه الله بأنه إفك ؛ لأن المروء من حالها رضى الله عنها خلاف ذلك ﴿ عصبة منك ﴾ وهى الجماعة من العشرة الى الأربعين ، والمراد بهم هنا : إبعاد الله بن أبى رأس . المنافقين ، وزيد بن رفاعه ، وحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحنيفة بن جحش ، ومن ساعدتهم .

وقد أخرج الشيخان وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة الطويل (١) فى سبب نزول هذه الآيات بألفاظ متعددة وطرق مختلفة ، حاصله : أنها خرجت من هودجها تنلس عقداً لها من جزع (٢) انقطع فرحلوا وهم يظنون أنها فى هودجها ، فرجعت وقد ارتحل الجيش والمودج معهم ، فأقامت فى ذلك المكان ورمىها صفوان بن المطلب ، متأخراً عن الجيش ، فأنازع راحلته وحملها عليها ، فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا ، فبرأها الله بما قالوا ، هذا حاصل القصة مع طولها وكثيب أطرافها .
● ﴿ لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من

(١) أسباب النزول : ١٨٢ ، تيسير الوصول : ١ : ١٤٢

(٢) الجزع : الخرز الجائى

الإنهم بسبب تكلمه بالإفك (والذى تولى) أى: تحمل (كبره) أى: معظمه (منهم)
فبدأ بالخوض فيه وأشاعه ، وهو ابن أبى (له عذاب عظيم) الى قوله :

● (إن الذين يرمون المحصنات) أى : العائفات بالزنا (لنافات) (اللاتى غفلن
عن الفلحة بحيث لا يخطر ببالهن ولا يظعن لها ، وقيل : هن السليات الصدور ،
التقيات القلوب ، اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر ؛ لأنهن لم يجربن الأمور فلا يظعن
لما تقطن له الخبرات ، وكذلك البله من الرجال الذين غلبت عليهم سلامة الصدور ،
وحسن الظن بالناس ؛ لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها ، وأقبلوا
على آخرتهم فشفلوا نفوسهم بها (للمؤمنات) بالله ورسوله .

● (لنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) والآية نص على كون الرافضة
ملمونين فى الدنيا والآخرة ؛ لأنهم يرمون من هى أفضل المحصنات النافات المؤمنات ،
أقام (١) الله تعالى ، قيل : هذا خاصة فى عائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
دون سائر المؤمنات والمؤمنات ، فمن قذف حداه فهو من أهل هذه الآية ولاتوبة
له ، ومن قذف غيره من فله التوبة ، وقيل : تتم كل قاذف ومقذوف من المحصنات
والمحصنين ، وهو الموافق لما قرره أهل الأصول من أن الاعتبار بمصوم اللفظ
لا بخصوص السبب ، ونزل ثمانى عشرة (٢) آية فى براءة عائشة الصديقة رضى الله عنها
تنتهى بقوله سبحانه : (أولئك مبرأون) .

(١) أقام : أنظم .

(٢) سورة النور من ١١ - ٢٦ وفى تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٨ أنها عشر آيات .

١١١ - باب ما نزل في كون الخبيثين للغيثات

والطيات للطيين

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴾ [٧٦]

• قال تعالى: ﴿الحبيثات﴾ من النساء ﴿للخبيثين﴾ من الرجال، أي: غنصات
بهم، لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم ﴿والخبيثون للخيثات﴾ أي: غنصون بهم
لا يتجاوزونهم، لأن الجانسة من دواعي الانضمام.

• ﴿والطيات للطيين والطيون للطيات﴾ قال أكثر المفسرين معناه^(١):
السكيات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخيثات
من الكبات، والسكيات الطيات من القول للطيين من الناس، والطيون من الناس
للطيات من الكلمات. وعن ابن عباس مثله، وكذا روى عن جماعة من التابعين.
قال النحاس: وهذا أحسن ما قيل. وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث
من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيات إلا الطيب من الرجال والنساء. وهذا ضم
للذين قدفوا الميدة عائشة رضي الله عنها بالخبيث، ومذم للذين برأوها، وقيل: إن
هذه الآية مبنية على قوله: «الزاني لا يشكح إلا زانية»، فالخيثات: الزواني،
والطيات: العفاف، وكذا الخبيثون والطيون.

• ﴿أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة﴾ عظيمة ﴿ورزق كريم﴾ أي: في
الجنة.

(١) القزطري، ج: ٦، الشعب: ٤٦٠٣

١١٢ - باب ما نزل في إبداء النسوة زينتهن وإخفائها

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [٣١]

● قال تعالى : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ خص الإناث بهذا الخطاب على طريق التأكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تنلياً كما في سائر الخطابات القرآنية .

وعن مقاتل قال : بلغنا أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت يزيد كانت في نخل لها بنى حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير مترعات فيسود مافي أرجلهن يعني : الخلاخل ، ويمدو صدورهن وذوائهن ، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ، فأمر الله في ذلك هذه الآية .

وبالجملة لا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل لأن علاقتها به كملأته بها ، وقصدتها منه كقصدته منها ، قال مجاهد : إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر ، وإذا أدبرت جلس على عجبها فزينها لمن ينظر (١) .

﴿ويحفظن فروجهن﴾ أي : يجب عليهن حفظها عما يحرم عليهن ، والمراد ستر الفروج عن أن يراها من لا تحل له رؤيتها ، قال أبو العالية : كل مافي القرآن من حفظ الفرج فهو عبارة عن صوته من الزنا إلا مافي هذا الموضع ، فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه .

(١) القرطبي ج ٦ : الشعب ص : ٤٦١٩

وأخرج البخاري وأهل السنن وغيرهم عن يهز بن حكيم عن أبيه عن جده .
 قال: قلت لرسول الله : عورائنا مانأى منها وما ندر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من
 زوجتك أو ما ملكت يمينك »^(١)، قلت : يائي الله ، إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟
 قال : « إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها » . قلت : إذا كان أحدنا خالياً ؟
 قال : « الله أحق أن يستحي منه من الناس » .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « كتب الله على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لأعالة ،
 فزنا العين : النظر ، وزنا اللسان : النطق ، وزنا الأذن : السماع ، وزنا اليد : البطش ،
 وزنا الرجلين : الخطو ، والنفس تنهق ، واللرج يهتق ذلك أو يكذبه »^(٢) ولفظ
 « ابن آدم » : يعم الرجال والنساء .

وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعاً : « النظرة سهم من سهام إبليس
 مسمومة ، فمن تركها من خوف الله أثابه الله إيماناً يحمي حلاله في قلبه »^(٣) .
 والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

• ﴿ وللايدين زينتهن ﴾ أي : ما يزين به من الحلي وغيرها مثل الخمل والخصاب
 في الرجل والسوار في المصم والقرط في الأذن والقلل في العنق ، فلا يجوز للمرأة
 إظهارها ، ولا يجوز للأجنبي النظر إليها ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ أي : ما جرت به العادة .
 والجبلة على ظهوره . واختلف الناس في ظاهر هذه الزينة ما هو ؟ قيل : هو الثياب ،
 وقيل : الوجه ، وقيل : الوجه والكفان ، وقيل : هو الخاتم والسوار والكحل والخصاب
 في الكف ، وقيل : الجلباب والجار ونحوهما بما في الكف والتقدمين من الحلي ونحوها .
 هذا ظاهر النظم القرآني ، وإن كان المراد مواضعها كان الاستثناء راجعاً إلى ما يثقب
 عليها ستره كالسكين والتقدمين ونحو ذلك .

• وأخرج أبو داود والبيهقي وابن مردويه عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت
 على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : « يا أسماء ، إن

(١) تيسر الوصول ٢ : ١٦٥ مع بعض الاختلاف .

(٢) تيسر الوصول ١ : ١٦٧ وفيه : الميتين ، وقد ذكر فيه الحديث مختصراً

(٣) الترفيب والترهيب : كتاب النكاح ٤ : ١٠٦ باختلاف اللفظ

المرأة إذا بلغت الحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه» (١). وهذا مرسل وأما رخص لها في هذا القدر ، لأن المرأة لا تجدد بدأ من مزاوله الأشياء بيديها ، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح ، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها ، وخاصة الفقيرات منهم ، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد الوجهين ، والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ، ورجح حسماً الباب . قاله المحلى (٢) .

● ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ جمع خمار : وهو ما تنطى به المرأة رأسها ، و « الجيب » موضع القطع من الدرع والقميص . وقيل : للراد بها هنا العنق ، أى : محله . قال المفسرون : إن نساء الجاهلية كن يسدن خمرهن من خلفهن ، وكانت جيوبهن من قدام واسعة فتتكشف مخورهن وقلائدهن ، فأمرن أن يضربن مقامنهن على الجيوب ليست بذلك ما كان يبدو منها .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت (٣) : « رحم الله نساء المهاجرات الأولات لما أنزل الله : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ فشقن أكف مروطين فاخترن به » . أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم . وأخرج الحاكم وصححه وابن جرير وغيرهما عنها بلفظ : « أخذ النساء أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاخترن بها » .

● ﴿ ولا يبدن زينتهن ﴾ أى : مواضع الزينة الباطنة ، وهى ما عدا الوجه والكتفين ، والصدر والساق والرأس ونحوها ﴿ إلا لموتنهن ﴾ أى : أزواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بموتنهن أو إبنائهن أو إبنائهم أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن ﴾ المختصات بهن من جهة الاشتراك فى الإيمان الملازمات لهن بالخدمة والصحبة ، فجوز للنساء أن يبدن زينتهن الباطنة لهؤلاء ، لكثرة الخلطة الضرورية بينهم وبينهن ، وعدم خشية الفتنة من قبلهم ، لما فى الطبع من الثمرة عن نماسة القرباب ، وقد روى عن الحسن والحسين عليهما السلام أنهما كانا لا ينظران إلى أمهات المؤمنين ، ذهاباً منهما إلى أن إبناء البعولة لم يذكروا فى الآية التى فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهى قوله : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِنَّ ﴾ (٤) .

(١) الترضيب والترهيب : كتاب الباس والزينة ٤ : ١٦٤

(٢) تفسير الجلالين ٧ : ٨٣

(٣) تفسير ابن كثير ٣ : ٢٨٤

(٤) الأحزاب : ٥٥ ، وانظر القرطبي ج ٦ : الشعب ص ٦٢٤

والمراد بأبناء بعلتهن ذكور أولاد الأزواج ، ويدخل في قوله ﴿أو أبنائهن﴾ أولاد الأولاد وإن سفوا ، وكذلك آباء البعولة وآباء الآباء وآباء الأمهات وإن علوا ، وكذلك أبناء البعولة وإن سفوا ، وكذلك أبناء الإخوة والأخوات .

وذهب الجمهور إلى أن المم والحال كسائر المحارم في جواز النظر إلى ما يجوز لهم ، وقال الشعبي وعكرمة : ليس المم والحال من المحارم ^(١) ، قال السكري : وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يستترن منهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهم ، وللعنف : أن سائر القربايات تشترك مع الأب والابن في الحرمة إلا ابني المم والحال ، وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب .

وليس في الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب ويخرج من هذه الآية للشرطة نساء الكفلاء من أهل القمة وغيرهم ، فلا يحل لمن أن يبدن زينتهن لمن ؟ لأنهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال ، وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هن السلمات لا تبديها ليهودية ولا نصرانية ، وهو الشعر والقرط والوشاح وما يحرم أن يراه إلا محرم . وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فإنه بلغني أن نساء من نساء المؤمنين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك ، فإنه من قبيحك عن ذلك ؛ فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها ^(٢)

• ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ فيجوز لهم نظرهن ، إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج ، وظاهر الآية يشمل المبيد والإماء من غير فرق بين أن يكونوا مسلمين أو كافرين ، وبه قال جماعة من أهل العلم ، وكان الشعبي يكره أن ينظر للمملوك إلى شعر مولاه ، وجوزده غيره .

وأخرج البيهقي وأبو داود وغيرها عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة ببيد قد وجه لها ، وعليها ثوب إذا تمع به رأسها لم يبلغ رجلها ، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما علق ، قال : « إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلارك » ^(٣) . وهو ظاهر القرآن .

(١) تيسير أين كثير ٣ : ٢٨٤ (٢) القرطبي ج : ٦ الشعب ص : ٤٦٥ .

(٣) تيسير الوصول ٢ : ٢٧٩ وفيه : « ليس عليك .. » .

وأخرج عبد الرزاق وأحمد عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه (١) » .

قال سلمان الجبل عن شيخه : فيجوز لمن أن يكشف عن لمع ما عدا ما بين السرة والركبة ، ويجوز للمبيد أيضاً أن ينظروا له ، وأن يكشفوا لمن من أبدانهم ، ما عدا ما بين السرة والركبة ، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين .

● ﴿ أو التائبين غير أولى الإربة من الرجال ﴾ أى : الحاجة ، والمراد هؤلاء : الحنفى الذين لا حاجة لهم فى النساء ، وقيل : البله ، وقيل : المنين ، وقيل : الحصى ، وقيل : الخنث ، وقيل : الشيخ الكبير ، وقيل : المحبوب ، ولا وجه لهذا التخصيص ؛ بل المحبوب الذى بقى أنثى ، والحصى الذى بقى ذكره ، والمنين الذى لا يقدر على إتيان النساء ، والخنث المشبه بالنساء ، والشيخ الهرم كالفعل ، كذا أطلق الأكثرون .

والمراد بالآية ظاهرها ، وهم من يتبع أهل البيت فى فضول الطعام ، ولا حاجة له فى النساء ، ولا يحصل منه ذلك فى حال من الأحوال ، فيدخل فى هؤلاء من هو بهذه الصفة ، ويخرج من عداه .

وعن عائشة قالت : كان يحنث يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يدعونهم من غير أولى الإربة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو ينمت امرأة قال : إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعرف ما هنا ؟ لا يدخلن عليكن (٢) » فحجبه .

● ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أى : لم يسلفوا حد الشهوة للجماع ، وقيل لم يرفدوا المودة من غيرها من الصفر ، وقيل : لم يملنوا أو أن القدرة على الوطء . والمودة هى ما يريد الإنسان ستره من بدنه ، وغلب على السواطين ، واختلف العلماء فى وجوب ستر ما عدا الوجه والكفين من الأطفال : فقيل : لا يانم لأنه لا تكليف عليهم ؛ وهو الصحيح . وكذا اختلف فى عورة الشيخ الكبير الساقط الشهوة ، والأولى بقاء الحرمة كما كانت . وأما حد العورة فأجمع

(١) تيسير الوصول ٣ : ١٥ برواية مختلفة .

(٢) تيسير الوصول ٢ : ٢٧٩ .

المسلمون على أن السواطين عورة من الرجل والمرأة ، وأن المرأة كلها عورة إلا وجهها ويديها على خلاف في ذلك ، وقال الأكثرون : إن عورة الرجل من سترته إلى ركبته .

● ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ فإن ذلك مما يورث الرجال ميلا إليهن ، ويومئ أن لمن ميلا إلى الرجال ، وهذا سد لباب المحرمات ، وتعليم للأحوط ؛ وإلا فصوت النساء ليس بسورة عند الشافعي فضلاً عن صوت خلخالهن ، وقال الزجاج : سماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها . وقال ابن عباس : هو أن تفرع الخلخال بالآخر عند الرجال ، فنهين عن ذلك لأنه من عمل الشيطان ، وسماع صوت الزينة كإظهارها . وقال القرطبي : من فعل ذلك منهن غرضاً بجليهن فهو مكروه ، ومن فعل تبرجاً وتمرضاً للرجال فهو حرام مذموم ، وكذلك من ضرب بمنه الأرض من الرجال إن فعل ذلك عجباً حرم ، فإن العجب كبيرة ، وإن فعل ذلك تبرجاً لم يحرم (١) . انتهى .

١١٣ - باب ما نزل في إنكاح الأيامي

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُفْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . ﴾ [٣٢]

● قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ ﴾ « الأيام » هي التي لازوج لها ، ومن ليس له زوجة ، فيشمل الرجل والمرأة غير المتزوجين ، والخطاب للأولياء والسادة . وقيل : للأزواج ، والأول أرجح . وفيه دليل على أن المرأة لا تنكح نفسها ، وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها ، فنكاحها باطل » ثلاثاً أخرجه أبو داود والترمذي . وعندها عن أبي موسى يرفعه : « لا نكاح إلا بولي » (٢) .

(١) القرطبي ج : ٦ الشعب ص : ٤٦٣٠

(٢) تيسير الوصول ٣ : ٣٤٥ .

واختلف (١) في هذا النكاح ؛ فقال الشافعي : مباح ، وقال مالك وأبو حنيفة : مستحب ، وقال غيرهم : واجب ، على تفصيل لهم في ذلك ، والحق أنه سنة من السنن المؤكدة لأحاديث وردت في ترغيب النكاح ، قال ابن عباس : وغيبهم فيه ووعدهم في ذلك النفي . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أطيعوا الله فيها أمركم من النكاح ينتجز لكم ما وعدكم من النفي . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ما رأيت كرجل لم يلتبس النفي في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعد ، فقال : ﴿ إن يكونوا فقراء ﴾ وعن ابن مسعود نحوه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكحوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال » (٢) . أخرجه البزار والدارقطني ، وأخرجه أبو داود في مراسيله عن عروة مرفوعاً . وللراد بالأيامي هنا : الأحرار والحرار ، وأما الماليك فقد بين ذلك بقوله :

● ﴿ والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾ « والصلاح » هو الإيمان والقيام بحقوق النكاح ، أو ألا تكون صغيرة لا تحتاج إلى النكاح ، ولم يذكر الصلاح في الأحرار ، لأن الثالب فيهم الصلاح بخلاف الماليك ، وفيه دليل على أن المملوك لا يزوج نفسه ، وإنما يزوجه ويتولى تزويجه مالكة وسيدة ، ولا يجوز للسيد أن يكره عبده وأمهته على النكاح ، وقال مالك : يجوز . والأول مذهب الجمهور (٣) .

● ﴿ إن يكونوا فقراء ﴾ ينهم الله من فضله ﴿ أى : لاتغنموا من تزويج الأحرار بسبب فقد الرجل أو المرأة أو أحدهما مالا ، فإنهم إن يكونوا فقراء ينهم الله سبحانه وتفضل عليهم بذلك ، فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورأى ، ومثله قوله تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ حَيْلَةَ فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » (٤) . ﴿ والله واسع عليم ﴾ .

● وبالجملة ففي الآية دلالة على جواز النكاح الثاني للآيم رجلاً كان أو امرأة ، بله . إيجاب له ، لأن الحقيقة في الأمر الوجوب ، ولا صارف له هنا .

(١) القرطبي : ج ٦ الشعب س : ٤٦٣٩

(٢) الدر المنثور للسيوطي : ٤٥٥

(٣) القرطبي : ج ٦ : الشعب س ٤٦٣٢

(٤) التوبة : ٢٨

١١٤ - باب ما نزل في النهي عن الإكراه

للفتيات على البناء

﴿ وَلَا تَكْرَهُوا قِتَابَتِكُمْ عَلَى الْبِنَاءِ إِنْ أَرَدْنَ مُحْصَنَاتٍ لِيَتَنَفَّوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٣]

• قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْرَهُوا قِتَابَتِكُمْ عَلَى الْبِنَاءِ ﴾ أى : إماءكم على الزنا ﴿ إِنْ أَرَدْنَ مُحْصَنَاتٍ ﴾ أى : تنفلاً وتزوجاً ، وعن (١) جابر بن عبد الله قال : كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له : اخذي فابئنا شيئا . وكانت كارهة ، فأنزل الله هذه الآية . أخرجه مسلم وأبو داود وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة ، وغيرهم .

وعن ابن عباس قال : كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا فيأخذون أجورهن ، فنزلت هذه الآية . وقد ورد النهي عن مهر البنى ، وكسب الحجام ، وحلوان الكاهن . وفي سبب نزول هذه الآية روايات (٢).

• ﴿ لِيَتَنَفَّوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو ما تكتسبه الأمة بفرجها ﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ معناه : أن عقوبة الإكراه راجعة إلى المكروهين لا إلى المكروهات ، وقيل : إن الله غفور رحيم لهم ، إما مطلقاً أو بشرط التوبة .

(١) الفرطى ج ٦ الشعب ص ٤٦٤٦

(٢) أسباب النزول ١٨٧ ؛ وانظر شعير ابن كثير ٣ : ١٨٨

١١٥ - باب ما نزل في الاستئذان للدخول على النساء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ
وَحِينَ تَضُمُّونَ فِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ
عَوَدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ . ٥٨ ﴾

• قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ للعبيد والإماء .

عن مقاتل بن حبان قال : بلغنا أن رجلاً من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد صنما للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً ، فقالت أسماء : يا رسول الله ، ما أبيع هذا إنه يدخل على المرأة وزوجها وما في ثوب واحد - غلامهما - بغير إذن ، فأنزل الله في ذلك هذه الآية ، ينهى بها العبيد : والإماء (١) .

وعن السدي قال . كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبهم أن يواقموا نساءهم في هذه الساعات ليستمعوا ثم يخرجوا إلى الصلاة ، فأمروا المملوكين والغلمان ألا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن .

• ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ﴾ أي : الصبيان والمراد الأحرار من الرجال والنساء ، وانفقوا على أن الاحتلام باوًخ ، واختلفوا فيها إذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم ، فقال أبو حنيفة : لا يكون بالنأ حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ويستكملها ، والجارية سبع عشرة سنة . وقال الشافعي وأحمد في التلام والجارية : بخمس عشرة سنة يصير مكلفاً وتجري عليه الأحكام وإن لم يحتلم .

• ﴿ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ أي : ثلاثة أوقات في اليوم والليلة ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضُمُّونَ فِيَابَكُمْ ﴾ في النهار ﴿ مِنْ ﴾ شدة حر ﴿ الظُّهْرِ ﴾ وذلك عند انتصاف

(١) أسباب النزول ١٨٩ . وانظر القرطبي ج ٦ الشعب ص ٤٦٩٤ .

النهار ، ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ وذلك لأنه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والخلو بالاهل والانتعاف بثياب النوم . ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ أى : أوقات يحتل فيها السر . وقيل : ثلاث استئذانات ، والأول أرجح ، لحديث عبد الله بن سويد قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المورات الثلاث ، فقال : « إذا أنا وضعت ثيابي بعد الظهيرة لم يلج على أحد من الخدم من الذين لم يلبسوا الحلم ، ولا أحد لم يلج الحلم من الأحرار إلا بإذن ، وإذا وضعت ثيابي بعد صلاة العشاء ومن قبل صلاة الصبح » (١) . أخرجه ابن مردويه .

وعن ابن عباس قال إنه لم يؤمن بها أكثر الناس ، يعنى آية الإذن ، وإنى لأمر جارئى هذه - جارية قصيرة قائمة على رأسه - أن تستأذن على . وعنه قال : ترك الناس ثلاث آيات لم يعملوا بهن : هذه الآية ، والآية التى فى سورة النساء « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ » (٢) الآية . والآية التى فى الحجرات « إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ » (٣) وعنه أن رجلاً سأله عن الاستئذان فى الثلاث المورات ، فقال : « إن الله سميع عليم » (٤) ، وكان الناس لهم ستور على أبوابهم ولأحجاب فى بيوتهم ، فربما جأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمة فى حجره ، وهو على أهله ، فأمرهم أن يستأذنوا فى تلك المورات التى سماها الله ، ثم جاء الله بعد الستور وبسط عليهم الرزق فأنخذوا الستور والحجبال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذى أمروا به .

• وعن ابن عمر فى الآية قال : هى الكور دون الإناث ، ولأوجه لهذا الشخص ، وعن السلفى قال : هى فى اللبساء خاصة والرجال يستأذنون على كل حال فى الليل والنهار .

• ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ﴾ أى : بمسك كل واحدة من هذه المورات الثلاث ﴿ طوافون عليكم ﴾ أى : يطوفون ، وهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا فى غير هذه الأوقات بشئ إذن .

(١) الفهر المنثور للسيوطى : ٥٥ : ٥
(٢) النساء : ٥٨ : ٥
(٣) الحجرات : ١٣ : ١
(٤) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٠٣

١١٦ - باب ما نزل في القواعد من النساء

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۖ ﴾ [٦٠]

● قال تعالى : ﴿ والقواعد من النساء ﴾ أى : العجائز اللاتي قد من عن الحيض ، أو عن الاستمتاع ، أو عن الولد من الكبر ، فلا يلدن ولا يمرضن ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحا ﴾ أى : لا يطمعن فيه لكبرهن ، وقيل : هن اللواتي إذا رآهن الرجال استغذروهن ، فأما من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية .

● ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ التى تكون على ظاهر البدن كالجلباب والرداء الذى فوق الثياب ، والقناع الذى فوق الحمار ، ونحوها ، لا الثياب التى على العورة الخاصة والحمار ، وإنما جاز لهن ذلك لانصراف الانفس عنهن إذ لا رغبة للرجال فيهن ؛ فأباح الله سبحانه لهن ما لم يحرمه لغيرهن .

● ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ أى : غير مظهرات الزينة التى أمرن بإخفائها فى قوله : ﴿ ولا يبدین زينتهن ﴾ لينظر إليهن الرجال ، أو زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال و « التبرج » : التكشف والظهور للميون ، والتكلف فى اظهار ما يخفى ؛ وإظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال .

● ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ أى : وأن يتركن وضع الثياب ويطلبن العفة عنه ، كان ذلك خيرا فى حفظهن وأقرب للتقوى .

١١٧ - باب ما نزل في الأكل من بيوت النساء

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكُمْ مِمَّا أَفْتَحْتُمْ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَشْتَاتًا ۝ ﴾ [٦١]

● قال تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ التي فيها متاعكم وأهلكم ؛ يدخل بيوت الأولاد ، كذا قال المفسرون ^(١) ، لكون بيت ابن الرجل بيته ، فلذا لم يذكر سبحانه بيوت الأولاد وذكر بيوت الآباء وبيوت الأمهات ومن بعدهم ، أو المعنى : من بيوت أزواجكم ، لأن بيت المرأة كبيت الزوج ، ولأن الزوجين صادا كنفس واحدة .

﴿ أو بيوت آباءكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت خالاتكم ﴾ .

قال بعض العلماء ^(٢) : جواز الأكل من بيوت هؤلاء بالإذن منهم ، لأن الإذن ثابت دلالة ، وقال آخرون : لا يشترط الإذن ، قيل : وهذا إذا كان الطعام مبدولاً ، فإن كان محرراً دونهم لم يجز لهم أكله ، قاله الخطيب . وهؤلاء يكفي فيهم أدنى غريزة ، بل ينبغي أن يشترط فيهم ألا يعلم عدم الرضا ، بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد فيهم من صريح الإذن أو قرينة قوية ، هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض لذلك .

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ص ٤٧٠٦ .

(٢) القرطبي ج ٦ الشعب ص ٤٧٠٧ .

● ﴿أَوْ مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أى : البيوت التى يملكون التصرف فيها بإذن أربابها ، وذلك كالوكلاء والخزائن ، وقيل : للراد بيوت المالك ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ وإن لم يكن بينكم وبينه قرابة ، فإن الصديق فى النالِبِ يسمح لصديقه بذلك وتطيب به نفسه .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أى : مجتمعين أو متفرقين .



مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ

١١٨ - باب ما نزل في النسب والصهر

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ ﴾ [٥٤]

● قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ ﴾ ، قيل : « النسب » : هو الذى لا يخل نكحه ، و « الصهر » : ما يخل نكحه ، وقيل : الصهر : قرابة للنكاح ، قرابة الزوجة هم : الأختان ، وقرابة الزوج : هم الإسماء ، والأصهار تصمها . وفى القاموس : « الصهر » بالكسر : القرابة والحنن ، وقال الخليل : « الصهر » أهل بيت المرأة . وقال الأزهري : « الصهر » يشمل على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم كالأبوين والإخوة وأولادهم والأعمام والأخوال والحالات ، فهؤلاء أصهار زوج المرأة ومن قبل الزوج من ذوى قرابته المحارم ، فهم أصهار المرأة أيضاً . وقال ابن السكيت : كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمهم : الإسماء ، ومن كان من قبل المرأة : الأختان ، ويجمع الصنفين : الأصهار . وقال القرطبي : « النسب » و « الصهر » معنيان يمان كل قرى تكون بين آدميين ^(١) . وقال الواحدى : قال المفسرون : للنسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : « وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ » ^(٢) ومن هنا إلى قوله : « وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ » تحريم بالصهر ، وهو الخلطة التى تشبه القرابة ، وهو النسب المحرم بالنكاح ، وقد حرم الله سبعة أصناف من النسب ، وسبعة من جهة الصهر أى : السبب ، واشتملت الآية المذكورة على ستة منها ، والسابعة قوله : « وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » ^(٣) . وقد جعل ابن عطية والزجاج وغيرهما الرضاع من جملة النسب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم « ويعرم من الرضاع ما يعرم من النسب » ^(٤) .

أراد سبحانه تقسيم البشر قسمين ذوى النسب ، أى ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ، وذوات صهر أى : إنثاءاً يصاهرهن كقوله تعالى : « فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى » ^(٥) .

* * *

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ص : ٤٧٥ .

(٢) النساء : ٢٣ (٣) النساء : ٢٢ وانظر ص ٧٠ - ٧٢ من هذا الكتاب .

(٤) تيسير الوصول ٣ ، ٣٤٨ باختلاف فى الرواية (٥) الفياضة : ٣٩

١١٩ - باب ما نزل في الدعاء للأزواج والفرية

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [٧٤]

● قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ . قال ابن عباس : يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة ، فإنه ليس شيء أثر لمعين للمؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل ، فيطمع أن يحلوا معه في الجنة ، فيتم سروره ، وتقر عينه بذلك . ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ أى : قدوة يقتدى بنا في الخير وإقامة مراسم الدين بإفلاحة العلم والتوفيق . للعمل الصالح ، وفي آخر هذه الآية وعد الجنة لهؤلاء الداعين . اللهم ارزقنا إياها .



ما ذكر عن النساء
في سورة الشعراء

١٢٠ - باب ما نزل في إباحة الزوجات للزوج

﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْمَعْلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ .

مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [١٦٥ - ١٦٦]

● قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ أَتَأْتُونَ ﴾ أى : أتشكحون ﴿ الذكركران ﴾ جمع الذكر ضد الأنثى ، وهم بنو آدم ، أو كل حيوان ﴿ من المعلمين ﴾ أى : من الناس وقد كانوا يفعلون ذلك بالترباء .

● ﴿ وتذرون ﴾ أى : تتركون ﴿ ماخلق ﴾ أى : أصلح وأحل وأباح ﴿ لكم . ربكم ﴾ لأجل استمتاعكم به ﴿ من أزواجكم ﴾ المراد بهن : جلس الإناث ، وقال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء ، وعن عكرمة نحوه ، وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات . قال اللسي : من أجازته فقد أخطأ خطأ عظيماً .

● ﴿ بل إنكم قوم عادون ﴾ أى : مجاوزون للمحد في جميع للماصى ، ومن جعلتها هذه المصية التي تركبوها من الذكركران .



مَا نَزَّلْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ

١٢١ - باب ما نزل في الدعاء للوالدة

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ [١٩]

• قال تعالى في سورة النمل : ﴿ قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ معنى « أوزعني » : ألهمني . السعاء منه بأن يوزعه الله شكر نعمته على والديه ؛ كما أوزعه شكر نعمته عليه ؛ لأن الإتيان عليهما إتياناً عليه ، وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه ، قال أهل الكتاب : وأمه هي زوجة (أوريا) بونن « فوتلا » التي امتحن الله بها داود ، قاله القرطبي (١) ، والله أعلم بصحته .

١٢٢ - باب ما نزل في كون المرأة ملكة لملكها

﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
فَقَصَبَهُمْ مِنَ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٢٣ - ٢٤]

• قال تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ هي (٢) بلقيس بنت شراحيل ، وقيل : بنت ذى سرخ ، وجدها المدهد تملك أهل سبأ ، وكان أبوها ملك أرض اليمن ، ولم يكن له ولد غيرها فنقلت على الملك ، وكانت هي وقومها مجوساً يبدون الشمس ، وقال ابن عباس : هي بنت ذى شيرة ، وكانت شعراء ، قيل : كانت من نسل يعرب ابن قحطان ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحد أبوي بلقيس كان جنياً » (٣) أخرجه ابن عساکر وابن مردويه وأبو الشيخ وابن جرير .

(١) القرطبي ج ٦ مشب ٤٨٩٣ (٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٠

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٥ : ١٠٥

• ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ من الأشياء التي تحتاج إليها للولوك من الآلة والعدة وكانت تخدمها النساء ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ أي : سرير كبير ضخم ، قيل : كان مسبوكة من الذهب والفضة ، طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً ، مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد .

قال ابن عطية : واللائم من الآية أنها لمائة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وسرير ، وكانت كافرة من قوم كفار . وعن ابن عباس قال : سرير كريم من ذهب ، وقوائمه من جوهر ولؤلؤ ، حسن الصنعة ، غالي الثمن ، عليه سبعة أليات ، على كل بيت باب مطلق .^(١)

• ﴿ وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ أي : يسبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه ، قيل : كانوا عجوساً ، وقيل : زنادقة .

• ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ التي يملونها ، وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر ﴿ فصدعهم عن السيل ﴾ أي : الطريق الواضح ، وهو الإيمان بالله وتوحيده ﴿ فهم لا يهتدون ﴾ إلى ذلك . إلى آخر الآية .

وفي الآية ورد الشرك بالله في العبادة ، وقد وقعت في هذا الباب على كتاب سماه مؤلفه « الدين الخالص » جمع فيه كل مله من شرك أو بدعة ضالة ، وكل ماورد في ذلك من الآيات .

١٢٣ - باب ما نزل في إجابة المرأة الرجل على كتابته إليها

﴿ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِلَى الْفِي ۝

إِلَى كَتَبْتُ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ۝

قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً

أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَس

شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ

الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا

أَذَلَّةً ۝ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ

فَنَظِرَةٌ ۝ يَمْ يَرِجُّ الْمُرْسَلُونَ ۝ ﴿ [٢٩ - ٣٥]

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَ شُكِ قَالَتْ

كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْدْنَا أَلِمْ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۝ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ

كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۝ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ

بُحَّةً ۝ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۝ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ

قَوَارِيرَ ۝ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ۝ ﴿

[٤٢ - ٤٤]

● قال تعالى : ﴿ قالت ﴾ أى : بلفظ ﴿ ياها الملاء إني ألقى إلى كتاب كريم ﴾ ،
« الملاء » : الأشراف ، و « الكريم » : للمعظم ، أو المختوم ، فإن كرامة الكتاب
ختمه ، كما روى ذلك مرفوعاً^(١) . قال ابن المقفع : من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه
فقد استخف به .^(٢)

﴿ إنه من ﴾ عبد الله ﴿ سليمان ﴾ بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ﴿ وإنه بسم الله
الرحمن الرحيم ﴾ أى مفتتح بالقسمية . أخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران ،
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب : « باسمك اللهم » حتى نزلت هذه الآية ، فكان
يكتب بالبسملة وبمدها : « السلام على من اتبع الهدى »^(٣) .

﴿ ألا تملا ﴾ لاتكبروا ﴿ على ﴾ كما تفعله جبابرة الملوك ﴿ وأتوني مسلمين ﴾
أى : طامعين منقادين للدين ، مؤمنين بما جئت به ، قيل : لم يزد سليمان على ما نص الله
في كتابه ، وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جملاً لا يطيئون ولا يكترون ، قيل : طبعه
سليمان بالسك ، أى : جعل عليه قطعة منه كالشمع ، ثم ختمه بختمه .

● ﴿ قالت ياها الملاء أتوني في أمري ما كنت فاطمة أمراً حتى تشهدون ﴾ أى :
تشيروا على^٤ .

● ﴿ قالوا نحن أولو قوة ﴾ في الصد والمدة ﴿ وأولو بأس شديد ﴾ عند الحرب
واللقاء ﴿ والأمر إليك ﴾ أى : إلى رأيك ونظرك ﴿ فانظري ﴾ أى : تأملی ﴿ ماذا
تأمرين ﴾ إيانا به فنحن سامعون لأمرك مطيعون له ، فلما سمعت تفويضهم الأمر
إليها لم ترض بالحرب ، بل مالت للصالح ، وبينت النيب في رغبتها فيه .

● ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية ﴾ من القرى ﴿ أسدوها ﴾ أى : خربوا
مبانيها وغيروا منانيها^(٥) ، وأتلفوا أموالها ، وفرقوا شمل أهلها إذا أخذوها عنوة
وفهراً ، قاله ابن عباس^(٥) ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أى : أهانوا أشرافها وحطوا
مراتبهم ، فصاروا عند ذلك أذلة ، وإنما يفعلون ذلك ؛ لأجل أن يتم للملك وتستحكم
لهم الوطأة وتقرر لهم في قلوبهم الهابة ، والقصود من قولها هذا تحذير قومها من

(١) القرطبي ج ٦ : الشعب ٤٩٠٩

(٢) الفراء الثور للسيروطي ١٠٧ : ٥

(٣) هي المنازل التي كان بها أهلها ، وغنيت بأهلها ، واحداً من .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٢

مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ﴿ وكذلك يعملون ﴾ أرادت أن هذه عاداتهم المستمرة التي لا تتغير؛ لأنها كانت في بيت الملك القديم ، فسمت نحو ذلك ورأت .

● ﴿ وإني مرسله إليهم ﴾ أي : إني أجرب هذا الرجل بإرسال رسل إليهم ﴿ بهدية ﴾ مشتقة على نقائس الأموال ؛ فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك وكفيئنا أمره ، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك ؛ لأن غاية مطلبه ومتتهى إربه هو الدعاء إلى الدين ، فلا ينجحنا منه إلا إجابته ومتابته ، والتدين بدينه وسلك طريقته ، ولهذا قالت : ﴿ فناظرة بهم يرجع المرسلون ﴾ بالهدية من قبول أو ورد ، فعاملة بما يقتضيه ذلك ، وذلك أن بلقيس كانت امرأة ليبية عاقلة قد ساست الأمور وجربتها ، وقد طول للمفسرون (١) في ذكر هذه الهدية فلا فائدة في التطويل بذكرها هنا . ثم ذكر سبحانه قصة رد الهدية وطلب عرشها وإتيانه في طرفه عين ، وتكبره لها ، إلى قوله :

● ﴿ فلما جاءت ﴾ أي : بلقيس إلى سليمان ﴿ قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴾ أجابت أحسن جواب ، إذ لم تقل : هو هو ، ولا ليس به ، وذلك من رجاحة عقلها .

﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ وصددها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح ﴿ أي : القصر ، أو الصحن ؛ أو كل بناء مرتفع ﴾ فلما رأت أنه حسبته لجة ﴿ أي : معظم الماء ، وقيل : البحر ﴾ وكشفت عن ساقها ﴿ لتخوض الماء خوفاً عليها أن تبطل ، فإذا هي أحسن النساء سافاً سليمة مما قالت الجن فيها ، غير أنها كانت كثيرة الشعر ؛ فلما فعلت ذلك وبلت إلى هذا الحد (قال) لها سليمان عليه السلام بعد أن صرف بصره عنها : ﴿ إنه صرح مجرد من عوارير ﴾ أي : مسقف بسطح .

● ﴿ قالت رب إني ظلمت نفسي ﴾ أي : بما كنت عليه من عبادة غيرك ﴿ وأسأمت مع سليمان ﴾ متابعة له ، داخلة في دينه وهو الإسلام ﴿ فله رب العالمين ﴾ .

أخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل أن سليمان تزوجها بعد ذلك . قال أبو بكر بن أبي شيبة : ما أحسنه من حديث . قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول : بل هو منكرو جداً ، ولعله من أوهام عطاء ابن السائب على ابن عباس ، والله أعلم .

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩١٢ وما بعدها .

والأقرب في مثل هذه السياقات : أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما يوجد فيه
مضمهم ، كروايات كعب ووهب ساعهما الله فبا تطلا إلى هذه الآنة من أخبار
بنى إسرائيل ، من الأوابد والنرائب والمجائب ، مما كان ومما لم يكن ، ومما
حرف ويدل ونسخ^(١) . انتهى .

وقيل : انتهى أمرها إلى قولها : أسلمت ، ولا علم لأحد وراء ذلك ؛ لأنه لم
يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح . وروى أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة
سنة ، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وانقضى ملك بلقيس بانقضاء ملك سليمان ،
فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه .

* * *

١٢٤ — باب ما نزل في إهلاك امرأة لوط عليه السلام

﴿ أَتَيْنَكُم لَنُنَافِثَنَّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَلِنُبَيِّنَ لَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ فَاتَّبَعْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ ﴾
[٥٥-٥٧]

● قال تعالى : ﴿ أَتَيْنَكُم لَنُنَافِثَنَّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَلِنُبَيِّنَ لَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ ﴾
النافث من محل للنسل ﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ التحريم ، أو المقوية على هذه المصيبة .
إلى قوله : ﴿ فَاتَّبَعْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ ﴾ في المذاب ، وقد
تقدم تفسير مثل هذه الآية (٢) .

—•••••—

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣٦٦ ، « الأوابد » : هنا بمعنى النرائب .
(٢) انظر ص : ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٢ من هذا الكتاب .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْقَصَصِ

١٧٥ - باب ما نزل في الإلهام إلى المرأة

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَمَاذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ
فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
[٧]

● قال تعالى في سورة القصص : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ أي : الهمها الذي
صنعت ، وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبيه ، وكان اسمها « يوحانذ » وقيل :
« لوحا » بنت هاند بن لاوى بن يعقوب . نقله القرطبي^(١) عن الثعلبي « أن أرضعته »
قيل : أرضعته ثمانية أشهر ، وقيل : أربعة ، وقيل : ثلاثة ، وكانت ترضع وهو
لا يبكي ولا يتحرك في حجرها ، وكان الوحى بإرضاعه قبل ولادته ، وقيل : يهدئها .
● ﴿فَمَاذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ من فرعون بأن يبلغ خبره إليه فيذبحه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾
هو بحر النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ عليه الترقى أو الضيقة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ
إِلَيْكَ﴾ عن قريب على وجه تكون به نجاته وتأمين عليه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
الذين ترسلهم إلى العباد

* * *

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩٦٦

١٢٦ - باب ما نزل في تبني المرأة ابن غيرها ولداً

وإرضاع الأم ولدها

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ٢ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣ وَقَالَتِ لِأَخْتِهِ قِصِّيه قَبِصْرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٤ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ٥ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ٦ وَلَنَعْلَمَنَّ أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٩-١٢]

● قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ وهي (١) « آسية » بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، وبنات الأنبياء، وقيل : كانت من بني إسرائيل، وقيل : كانت عممة موسى ؛ حكاه السهيلي . ﴿ فِرْعَوْنَ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها على خطأ في التقاطعه وأن هلاكهم على يده .

● ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ من كل شيء إلا من أمر موسى ، كأنها لم تهتم بشيء سواه ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أي : تظهر ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ للصديقين بوعد الله ﴿ وَقَالَتِ لِأَخْتِهِ ﴾ واسمها (٢) « مريم » وقال الضحاك : إن اسمها كلثمة ، وقال السهيلي : كلثوم « قِصِّيه » أي : تبني أثره وإعراف خبره ، وانظري أين وقع وإلى من صار .

● ﴿ قَبِصْرَتْ بِهِ ﴾ أي : أبصرته « عن جنب » أي : عن جانب ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها أخته ؛ أخرج الطبراني وابن عساكر عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « أما شعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران ، وكلثوم أخت

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٣٨١ (٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩٧٢

موسى ، وامرأة فرعون — أى : فى الجنة — قالت : هنيئاً لك يارسون الله (١) .
أخرجه ابن عساكر عن ابن رواد مرفوعاً بأطول من هذا وفى آخره أنها قالت :
بالرفاء واللين .

● ﴿ وحرمتنا عليه للراضع من قبل ﴾ أى : من قبل أن ترده إلى أمه ، أو من
قبل قصها لأثره ﴿ فقالت ﴾ أخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوم عليه ﴿ هل
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ﴾ وهى امرأة قتل ولدها وأحب شيء إليها أن
تجد ولداً ترضعه ﴿ وهم له ناصون ﴾ أى : مشفقون عليه لا يقصرون فى إرضاعه
وتربيته ﴿ فردناه إلى أمه كي ترضعها ﴾ يولدها ﴿ ولا تحزن ﴾ على فراقه ﴿ ولتعلم
أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يفطن ﴾ .

* * *

١٢٧ — باب ما نزل فى سقى المرأة ماشيتها

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى
يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ . فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَعْمَى
عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْنَؤُا سَعِيرٌ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتُ فَقَوًى لِأَمِينٍ ﴾
[٢٣ - ٢٦]

● قال تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدین ﴾ أى : وصل موسى إليه وهو الماء الذى .

(١) الدر المنثور للسيوطى ٥ : ١٢١ ، واطل القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩٧٢

يستقون منه ، والمراد بالماء هنا : بئر فيها . ﴿ وجد عليه أمة من الناس ﴾ أى : جماعة كثيرة ﴿ يسقون ﴾ مواشيهم ﴿ ووجد من دونهم ﴾ أى : فى موضع أسفل منهم ، أو سبد منهم ﴿ امرأتين تزدودان ﴾ أى ^(١) : تحبسان أغنامهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخفوا بينهما وبين الماء ، وقيل : تسكان الفئ من أن تختلط بأغنام الناس ؛ وقيل : تمنان أغنامهما عن أن تند وتذهب ، والأول أولى ، لقوله : ﴿ قال ﴾ موسى للراأتين ﴿ ما خطبكما ﴾ أى : ما شأنكما لتسقيان غنمكما مع الناس ﴿ قالتا لا نسقى ﴾ حتى يصدر الرعاء ﴿ عن الماء وينصرفوا منه ، حذرأمن غلاتهم ، وأعجزأ عن السقى معهم ، و«الرعاء» : جمع راع على غير قياس ﴾ وأبو ناسخ كبير ﴾ على السن لا يقدر أن يسقى ماشيته من السكر ، فذلك احتجنا إلى الورد ونحن امرأتان ضيفتان مستورتان ، لا نتقدر على مزاحمة الرجال ، وعلى أن نسقى الفئ لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك ، قيل ^(٢) : كان أبوهما شبيب عليه السلام ، وقيل : هو يثرون ابن أخى شبيب ، وقيل : رجل من آمن بشبيب ، والأول أولى . وإنما رضى شبيب لابنيه بسقى الماشية ؛ لأن هذا الأمر فى نفسه ليس بمحظور ، والدين لا يأباه ، وأما الرودة فعادات الناس فى ذلك متباينة ، وأحوال العرب فيها خلاف العجم ، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة ، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة الضرورة . فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما .

- ﴿ فسقى لهما ﴾ أى : لأجلهما رغبة فى المعروف وإغائة للملأوف ، قال المحلى : من بئر أخرى بقربها بأن رفع حجراً عنها لا يرفسه إلا عشرة أنفس ^(٣) انتهى .
- ﴿ ثم تولى إلى الظل ﴾ جلس فيه من شدة الحر وهو جائع ﴿ فقال رب انى لما أنزلت إلى من خير ﴾ أى : أى خير كان ﴿ فقير ﴾ أى : محتسج إلى ذلك ، قال ابن عباس ^(٤) : لقد قال هذا وهو أكرم خلقه إليه ، ولقد انتقر إلى شق ثمرة ، ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع . وعنه قال : ما سأل إلا الطعام ، وعنه قال : سأل فلاناً من الخبز يشدها عليه من الجوع .
- ﴿ فجاءته إحداهما ﴾ وهى الكبرى واسمها صفوراء ، وقيل : صفراء ، وقيل :

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩٨٤ .

(٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٤٩٨٦ ، وانظر البحر المحيط ٦ : ١١٤ .

(٣) تفسير الجلالين ٢ : ١٢٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ : ٣٨٢ - ٣٨٤ .

هي الصغرى وهي : لَيْثًا ^(١) ، وقيل : صفراء . ﴿ تشى على استحياء ﴾ حالى المشى .
والجاء وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها ؛ لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها
ولم تعلم أيجيبها أم لا ، فأنته مستحبة : قال عمر بن الخطاب ^(٢) : جاءت مستترية بكم
درعها على وجهها من الحياء ، والاستحياء بالمد : الحشمة والانقباض والأنزواء .
﴿ قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ﴾ فأجابها ؛ منكراً في نفسه
أخذ الأجرة ؛ وقيل : أجاب لوجه الله ، أو للترك برؤية الشيخ .

● ﴿ لما جاءه وقص عليه القصص ﴾ يعنى قتله القبطى وغيره إلى وصوله إلى
ماء مدين ﴿ قال ﴾ شعيب : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ أى : فرعون
وأصحابه ؛ لأن فرعون لاسلطان له على مدين .

وفيه دليل على جواز العمل بمنزلة الواحد ولو عبداً أو أئمة ، وعلى المشى مع
الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع .

﴿ قالت إحداهما ﴾ وهي لاقى جأته ﴿ يا أيت استأجره ﴾ ليرعى الغنم ﴿ إن خير
من استأجرت القوى الأمين ﴾ لكونه جامعاً بين خصال القوة والأمانة . قال ابن
مسعود ^(٣) : أئرس الناس ثلاث : بنت شعيب ، وصاحب يوسف في قوله : « عسى أن
يتنمنا » وأبو بكر في أمر عمر كما تقدم .

* * *

١٢٨ — باب ما نزل في كون مهر المرأة

استئجاراً إلى مدة معلومة

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هُنَيْنٍ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثَمَنِي صَحِيحٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [٢٨ - ٢٧]

● قال تعالى : ﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ وفيه مشروعية
عرض ولي للمرأة لها على الرجل ، وهذه سنة ثابتة في الإسلام ، وثبت عرض عمر

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٢٨٥ . (٢) القرطبي ج ٦ النعب ٢٩٨٦

(٣) تفسير ابن كثير ٣ : ٢٨٥ ، وانظر ص ١١٥ من هذا الكتاب .

ابنته على أبي بكر وعثمان ، وغير ذلك مما وقع في أيام الصحابة وأيام النبوة ؛ وكذلك ما وقع من عرض المرأة نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قيل : إن شعيباً زوجة السكبري ، وقال الأكترون : الصغرى ، وقوله : « هاتين » يدل على أنه كان له غيرهما ^(٢) . وقال البقاعي : إنه كان له سبع بنات ، وهذه مواعدة منه ، ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقداً لقال أنكحتك : ﴿ على أن تأجرني ثمانى حجيج ﴾ جمع : حجة وهي السنة ، أى ترى غنمى في تلك المدة ، والزواج على رعى النتم جائز ، لأنه من باب القيام بأمر الزوجية ﴿ فإن أتممت عشرأ فبن عندك ﴾ أى : تفصلاً منك وتبرعاً لا إلزاماً منى لك وليس بواجب عليك ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ يأتلك إتمام المثرة الأعوام ، ولا بالناقصة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ في حسن الصحبة ، ولطف المعاملة ، ولين الجانب ، والوفاء بالمهد .. ، وقيل : أراد الصلاح على العموم ، وقيد ذلك بالشئنة تفويضاً للأمر إلى توفيق الله ومومته ولتبرك به .

● ﴿ قال ذلك بينى وبينك أيا الأجاين قضيت فلا عدوان على ﴾ والله على ما نقول وكيل ﴿ أى : شاهد وحفيظ ، فلا سبيل لأحدنا إلى الخروج عن شئء من ذلك . أخرج الطبرانى وغيره عن عتبة السلى قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة « طسم » ^(٣) حتى إذا بلغ قصة موسى قال : « إن موسى آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرأ على عفة فرجه وطعام بطنه ، فلما وفى الأجل » ، قيل : يا رسول الله أى الأجاين قضى موسى ؟ قال : « أبرهما وأوفاهما » ^(٤) فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تمأل أباهما أن يطيها من غنمه ما يمشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه . . » الحديث : بطوله وفيه مسألة التمشق ؛ ضعفه الأئمة . قال أبو السمود : وليس ما حكى عنهما فى الآية تمام ماجرى بينهما من الكلام فى إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما ، بل هو بيان لما عزموا عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالاً ، من غير تعرض لبيان واجب المقدين فى تلك الثمرة تفصيلاً ، والله أعلم .



(١) تفسير الوصول ٣ : ٣٤٠ وانظر صحيح البخارى ٧ : ١٧

(٢) البحر المحيط ٦ : ١١٥

(٣) أى سورة القصص للبدوة بهذه الأحرف (طسم) ، وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٣٨٥

(٤) تفسير الوصول ١ : ١٥٣

مَا ذَكَرْنَا لِنِسَاءٍ
فِي سُورَةِ الْعَنكِبِ

١٢٩ - باب ما نزل في النهى عن طاعة الوالدين
فيما فيه شرك بالله تعالى

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾ [٨]

● قال تعالى في سورة النكبات : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أى : إيصاء
حسناً ، أو أمراً ذا حسن ، والآيتان التوسية للإنسان بوالديه ، بالبر لهما ، والعطف
عليهما ، والإحسان إليهما بكل ما يمكنه من وجوه الإحسان ، فيشمل ذلك : إعطاء المال
والخدمة ، ولين القول ، وعدم المخالفة ، وغير ذلك .

● ﴿وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ في الإشراك ، وعبر
بنفى العلم عن نفى الإله .



مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الرُّومِ

١٣٠ - باب ما نزل في مودة الزوجة ورحمتها

على الزوج وبالمكس

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ۝ [٢١]

• قال تعالى في سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ أى : من جلسكم فى البشرية والإنسانية ﴿ أزواجا ﴾ قيل : المراد حواء ، فإنه خلقها من ضلع آدم ، والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال وترايب النساء . ﴿ لتسكنوا ﴾ أى : تألفوا وتمايوا ﴿ إليها ﴾ أى : إلى الأزواج ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ أى : ودادا وتراحما بسبب عصمة النكاح ، يعطف به بعضكم على بعض من غير أن يكون بينكم من قبل ذلك معرفة ، فضلا عن مودة ورحمة . قال عجاهد^(١) : للودة : الجماع ، والرحمة : الولد ، وقيل : للودة : حب الرجل امرأته ، والرحمة : رحمته إياها من أن يسيبها بسوء . وقيل غير ذلك .

(١) الفريابي ج ٦ الطب ٥٠٩٩

مَا نَزَّلْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْفَمَانِ

١٣١ - باب ما نزل في مصاحبة الأمهات بالمعروف

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ . وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [١٤ - ١٥]

● قال تعالى في سورة لقان : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن ﴾ أى : ضعفاً على ضعف ، فلما لا يزال يتضاعف ضعفها ، وقيل : شدة بعد شدة وخلقاً بعد خلق ، وقيل : الحمل : وهن ، والطلق : وهن ، والوضع : وهن ، والرضاعة : وهن .

● ﴿ وفصلاه في عامين ﴾ الاتصال : النظام عن الرضاع . وفيه دليل على أن مدة الرضاع حولان .

● ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ قال (١) سفيان بن عيينة : من صلى الصلوات الخمس ؛ فقد شكر الله ، ومن دعا لوالديه في أديار الصلوات الخمس ؛ فقد شكر الوالدين . ﴿ إلى المصير ﴾ لا إلى غيرى .

● ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ في ذلك ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وجملة هذا الباب : أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ، ولا ترك فريضة ، وإنما تنزح طاعتهما في المباحات .

● ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ يرهما إن كانا على دين يقرآن عليه . وقيل : « المروءة » : هو البر والصفة والشرعة الجميلة والخلق الجميل والحلم والاحتياط ، وما تقتضيه مكارم الأخلاق ومعالى الشيم .

—•••••—

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٥١٤٧

ما ذكر عن النساء
في سورة الاحزاب

١٣٢ - باب ما نزل في أن النساء المظاهرات لسن كالأهات

في التحريم الأبدى

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَطْلِيهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ ﴾ [٤]

• قال تعالى في سورة الاحزاب : ﴿ وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ « الظاهر » : أصله أن يقول الرجل لامرأته أنت طلي كظهر أمي . أي : ما جعلهن كأمهاتكم في التحريم ، ولكنه منكر من القول وزور ، وإنما يجب فيه الكفارة بشرطه ، وهو للمود كما ذكر في سورة المجادلة « وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَبْذُونَ إِلَيْهَا قُلُوبَهُنَّ » (١) أي : فيه ، بأن يخالفوه بإسالك المظاهر منها ؛ فمما يمكن أن يفارقها فيه ولا يفارقها (٢) ؛ لأن مقصود المظاهر وصن المرأة بالتحريم . وإسالكها يخالفه . فله الكرخى .

١٣٣ - باب ما نزل في كون أزواج النبي أمهات المؤمنين

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ ﴾ [٦]

• قال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فإذا دعاهم لشيء ودعاهم أنفسهم إلى غيره ؛ وجب عليهم أن يقدموا مآدعهم إليه ويؤخروا مآدعهم أنفسهم إليه ، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم ، ويقدموا طاعته على ما يحل إليه . أنفسهم وتطلبه خواطرم ، والآية من أدلة رد التقليد بفحوى الخطاب ؛ كما صرح بذلك بعض أولى الألباب . ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ أي : مثلهن في الحكم بالتحريم ، ومزلات منزلاتهن في استحقاق التظيم ، فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة منهن ، كما لا يحل أن يتزوج بأمة ، فهذه الأمومة عتصة بتحريم النكاح لمن تحرماً مؤبداً . وبالتظيم لجنابهن ، لا في جواز النظر إليهن والحلوة بهن فإنه حرام في حقهن ، كما في سائر الأجانب . قال القرطبي (٣) : الذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيماً

(٢) تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢١

(١) المجادلة : ٣

(٣) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٠٥

الحقن . وفي مصحف أبي : « وهو أب لهم ^(١) » . وعن أم سلمة قالت : أنا أم الرجال منكم والنساء . ومن فبا وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ؛ ولهذا لم يتمد التحريم إلى بنتهن .

* * *

١٣٤ - باب ما نزل في تخيير النساء وأنه ليس بطلاق

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِنْ كُنْتِ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَةَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢٨ - ٢٩]

• قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ قال الواحدى : قال المفسرون : إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألهن شيئاً من عرض الدنيا ، وطلبن منه الزيادة في الثقة ، وأذيته بغيره بغيره على بعض ، فألى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن شهراً ، وأنزل الله آية التخيير هذه ^(٢) ، وكن يومئذ تسماً .

• ﴿ إِنْ كُنْتِ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أى : ستمها ونضارتها ورفاهيتها وكثرة الأموال والتتم فيها ﴿ فتعالين ﴾ أى : أقبلن إلى إرادتك واختياركن لأحد الأمرين ﴿ أمتعنكن ﴾ أى : أعطيكن للتمة ﴿ وأسرحكن ﴾ أى : أطلقكن ﴿ سراحاً جميلاً ﴾ وهو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة .

• ﴿ وَإِنْ كُنْتِ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَةَ الْآخِرَةَ ﴾ أى : الجنة ونعيمها ﴿ فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ لا يمكن وصفه ولا يقدر قدره ، وذلك جيب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن .

وختلف أهل العلم في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه على قولين : الأول أنه خيرهن بإذن الله في البقاء على الزوجية ، أو الطلاق ؛ فاخترن البقاء .

(١) القرطبي ج ٦ الصب ٢٠٠ : في مصحف أبي بن كعب « وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم »
(٢) البخارى ٧ : ٢٨ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨١ .

والثاني : أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيلزمهن ، وبين الآخرة فيمسكنهن ، ولم يخيرهن في الطلاق^(١) . والراجح الأول .

والراجح أن التخيير لا يكون طلاقاً لحديث عائشة في الصحيحين في ذلك . ودعوى أنه كناية من كنيات الطلاق ؛ مدفوعة بأن المخير لم يرد للفرقة بمجرد التخيير ، بل أراد تفويض المرأة فإن اختارت البقاء بقيت ، وإن اختارت للفرقة صارت مطلقة ، والحق أنه رجعة واحدة لا براءة^(٢) ، وفي سبب النزول^(٣) روايات في الصحيحين وغيرهما تأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

١٣٥ — باب ما نزل في تضعيف عذاب أهل البيت النبوي

على فرض وقوع المعصية منهم

﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا

الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۝ ٣٠ ﴾

• قال تعالى : ﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ ﴾ أى : معصية ﴿ مُبَيَّنَةٍ ﴾ : ظاهرة القبح ، واضحة الفحش ، وقد عصمهن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن ، فهو كقوله تعالى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ بِحَبْطِ عَمَلِكَ ۝ ٤ ﴾ ، وقيل : للراد بالفاحشة : النشوز وسوء الخلق ، وقيل : الزنا ، وقيل : سائر المعاصي ، وقيل : عقوق الزوج وفساد عشرته .

• ﴿ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أى : مثل عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة ، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن ، ولأن ما يقع من سائر النساء كان منهن أفتح ، فزيادة قبح المعصية تدفع زيادة الفضل . وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا كان القم للماصي العالم أشد

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٧٥٢ (٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٧٥٣

(٣) أسباب النزول : ٢٠٤ (٤) الزمر : ٦٥

من المعاصي الجاهل ، لأن المعصية من المالم أقبح ، ولنا فضل (١) أحد الأحرار على العبيد ، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات . وقال قوم : لو قدر الله الزنا من واحدة - وقد أعادهن الله من ذلك - لكنت محمد حدين ؛ لمظم قدرها ، فعفى للضعفين : منى الثلثين والمرتين . وقال مقاتل (٢) : هذا التضعيف في المذاب إنما هو في الآخرة كما أن إنشاء الأجر مرتين فيها . وهذا حسن ؛ لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتين بفاحشة توجب حداً قال ابن عباس (٣) : « ما بنت امرأة نبي قط ، وإنما خانت في الإيمان والطاعة » ، والله أعلم .

١٣٦ - باب ما نزل في تضييف أجرها من

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفِّرْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [٣١]

● قال تعالى : ﴿ ومن يقنت ﴾ أى : يطع ﴿ منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتيها أجراً مرتين ﴾ أى : أنه يكون لمن من الأجر على الطاعة ضمناً ما يستحقه غيرها من النساء إذا فعلن تلك الطاعة ﴿ وأعتدنا لها رزقاً كريماً ﴾ جليل التقدير . قال المفسرون : (٤) هو نعيم الجنة .

(١) فضل : أى : زاد .

(٢ ، ٣) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٠٨

(٤) تفسير ابن كثير ٢ : ٤٨٢

١٣٧ - باب ما نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

وأمرهن بالعلم والعمل

﴿ يَنْبِئُكَ الْنَّبِيُّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَ فَلَاحْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَفَرَنْ فِي
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَآذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [٣٢ - ٣٤]

● قال تعالى : ﴿ يَنْبِئُكَ الْنَّبِيُّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ بل أنتن أكرم علي ،
وثوابكن أعظم لدي ﴿ إِنْ أَتَيْتَ ﴾ بين سبحانه أن هذه الفضيلة لمن إنما تكون
للازمتين للتقوى ، لا مجرد اتصال بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كن والله الحمد
علي غاية من التقوى الظاهرة والباطنة ، والإيمان الخالص ، والشئ علي طريقة الرسول
صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته .

● ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أي : لا تلتن القول عند مخاطبة الناس كما تفعله الريات
من النساء ، ولا ترققن الكلام ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ أي : فجور وشهوة ،
أو : لك وريية ، أو نفاق . والمعنى : لا تلتن قولاً يحد للنفاق والفاجر به سبيلاً إلى
الطمع فيكن . والراة مندوبة إلى النظظة في القتال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع
فيهن ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ أي : حسناً مع كونه خشناً بعيداً من الريية علي سنن
الشروع . لا ينكر منه سامعه شيئاً ، ببيان من غير خضوع .

● ﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي : الزمها ، قال محمد بن سيرين : نبشت أنه قيل
لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : لا تمجبن ولا تمتمرين كما تفعل أخواتك ؟
قالت : قد حججت واعتمرت ، وأمرني الله أن أفر في بيتي ، فوالله لا أخرج من

يبنى حتى أموت ، قال : فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت يميناتها^(١) .

● ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ «التبرج» : أن تبدى المرأة من زينتها وعحاسنها ما يجب ستره مما تستدعى به شهوة الرجل ، وقد^(٢) اختلف في المراد بالجاهلية الأولى ؛ قيل : ما بين آدم ونوح . أو زمن داود وسليمان ، وقيل : ما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وقيل : ما بين نوح وإبراهيم ، وقيل : ما بين موسى وعيسى ، أو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ما قبل الإسلام . والجاهلية الأخرى ، قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان ، أو الأولى جاهلية الكفر ، والأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام ، وقد بين حكمها في قوله تعالى : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ »^(٣) ، وقيل : تذكر الأولى وإن لم تكن لها أخرى . وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يقع إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليها فينفرد خليها بما فوق الإزار إلى أعلى ، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل ، وربما سأل أحدهما صاحبه البذل .

قال ابن عطية : والذي يظهر لي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقتها وأدركتها ، فأمرن بالنقل عن سيرتهن فيها ، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة ؛ لأنهم كانوا لا غير عندهم ، فكان أمر النساء دون حجبته ، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه ، وليس للمنى أن ثم جاهلية أخرى ؛ كذا قال ، وهو قول حسن . ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أوفيل ، أى : لا نحدثن بأفئساكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل .

وعن عائشة قالت : الجاهلية الأولى على عهد إبراهيم عليه السلام ، كانت المرأة تلبس اللهبع من اللؤلؤ فتنتى وسط الطريق لمرض نفسها على الرجال . وكانت عائشة رضى الله عنها إذا قرأت هذه الآية تبكى حتى يبذل خاها ؛ رواه مسروق .

● ﴿واقن الصلاة﴾ الواجبة ﴿وأتين الزكاة﴾ للفرصة ﴿وأطمن الله ورسوله﴾ غيا أمر وهى ، وخص الصلاة والزكاة ؛ لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية ، ثم عمم فأمرهن بالطاعة لله ورسوله في كل ما هو مشروع ، لأن من واطب عليهما جراته إلى ما وراءهما .

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٦٢ - ٥٢٦٣

(٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٦١ - ٥٢٦٢

(٣) التور : ٣١ وانظر ص ١٨٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

● ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ أي : الإثم والذنب للذين
للأعراض، الحاصلين بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه ؛ فيدخل في ذلك كل
ما ليس فيه رضا الله تعالى قيل: الرجس: الشك ، وقيل: سوء ، وقيل: عمل الشيطان ،
والعموم أولى ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ ﴾ من الأرجاس والأدناس ﴿ طَهِّيرَهُمْ ﴾ ، وفي
استمارة الرجس للمصيبة ؛ والترشيح لما بالطهیر تنقيها عنها بليغ ، وزجر لفاعلهما
شديد .

وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت في هذه الآية (١) ؛ فقال قوم من
السلف : هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، والراد « بالبيت » : بيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته ، لقوله تعالى: ﴿ وَادْخُلْ مَابَيْنَ يَدَيْتِكَ ﴾ ؛
ولأن السياق فيهن من قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ طَهِّيرَهُنَّ ﴾ .

وقال قوم : هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، ومن حججهم :
الخطاب في الآية بما يصلح للذكور والإناث وهو قوله : « عنكم » و « ليطهركم »
ولو كان للنساء خاصة لقال: عنكن وليطهركن ، وأجيب بأن التذكير باعتبار لفظ
الأهل كما قال سبحانه : « أَتَمَجِّبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
هَٰؤُلَاءِ أَهْلُ الْبَيْتِ » (٢)

ويدل على القول الأول ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق
عكرمة عن ابن عباس في الآية قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ،
وقال عكرمة : من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى
هذا عنه بطرق .

وفي الباب روايات أخرى تدل على القول الثاني مذكورة في تفسير فتح البيان في
مقاصد القرآن .

وتوسعت طائفة ثالثة بين الطائفتين فصحت هذه الآية شاملة للزوجات ،
ولعل وفاطمة والحسن والحسين .

والحاصل أن من جمل الآية خاصة بأحد الفريقين أحمل بعض ما يجب إعماله

(١) أسباب النزول : ٢٠٣ ، انظر تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٣ - ٤٨٦

(٢) هود : ٧٣

واهمل ما لا يجوز إهماله . وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي^(١) وابن كثير وغيرهما .

وقال جماعة : هم بنو هاشم . فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت : بيت النسب .

● ﴿واذكروا ما ينلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة﴾ : أى : اذكروا موضع النعمة إذ صيركن الله في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة الطاهرة ، واذكروا وتفكرون فيها لتتضمن بمواعظ الله ، واذكرونها للناس ليتعلموا بها ويهتدوا بهداها ، أو اذكرونها بالتلاوة لما لتحفظنها ، ولا تتركوا الاستكثار من التلاوة .

قال القرطبي^(٢) : قال أهل التأويل - يعنى المفسرين - آيات الله : هى القرآن ، والحكمة : السنة . وقال قتادة فى الآية : القرآن والسنة للطهارة . وكذا يراد بها فى ألفاظ الحديث الشريف ، كحديث : «كلمة الحكمة ضالة المؤمن أخذها حيث وجدها» أو كما قال . وتأويلها بنبر هذا تأويل لم يدل عليه دليل لا من القرآن ولا من السنة .

● ﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ : يجمع خلقه فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

* * *

١٣٨ - باب ما نزل فى أجر الصالحات

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [٣٥]

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٦٤ - ٥٢٦٦

(٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٦٥

● قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ولتفرق بين الإسلام والإيمان ؛ هو ماورد في حديث جبريل عليه السلام المشهور^(١) ، وهو نص في عمل النزاع . ﴿وَالْقَائِتِينَ وَالْقَائِنَاتِ﴾ «الْقنوت» : الطاعة والعبادة ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ هما من يتكلم بالصدق ويتجنب الكذب ، ويقب بما عوهد عليه ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ : هما من يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف ﴿وَالْحَاشِمِينَ وَالْحَاشِمَاتِ﴾ : أى : التواضعين لله الخائفين منه ، الحاضمين في عبادتهم لله ﴿وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ﴾ : هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه ، وقيل : ذلك أعم من صدقة الفرض والتفل . ﴿وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ﴾ : قيل : ذلك غنص بالفرض ، وقيل : هو أعم . ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ : فروجهن عن الحرام ، بالتمف والتزهر والاعتصار على الحلال . ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ : هما من يذكر الله في جميع أحواله ، وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله بالقلب واللسان . وفي جمع الأذكار المأثورة كتب جماعة من أهل العلم بالحديث ، من آق بما فيها من الأذكار والدعوات ، فهو داخل تحت هذه الآية بلا شك ولارية ومن أحسنها : كتاب «الحصن الحصين وعدته وجته» و «سلاح المؤمن وفروجه» ، و «عمل اليوم والليلة» لابن السنى ، و «تزل الأبرار» وهو أحسن من كل ما جمع في هذا الباب ، وقد وقعت على ذلك كله والله الحمد .

● ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لتنوبهم التي أذنوا بها ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم التي فعلوها من الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والمغاف والذكر ، ووصف الأجر بالمعظم للدلالة على أنه يبالغ للغاية ، ولا شيء أعظم من أجر ؛ هو الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يتقطع ولا ينقذ ، اللهم اغفر ذنوبنا وعظيم أجورنا .

وقد أخرج أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه ، عن أم سلمة قالت : قلن يا رسول الله ، فلما لنا لا نذكر في القرآن كما تذكر الرجال ؟ ظم يرعى منه ذات يوم إلا نداءه على المنبر وهو يقول : إن الله يقول : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ

(١) تفسير الوصول : ١ : ١٠ وما بعدها

والسلطات . . . الآية . وأخرج عبد بن حميد والترمذي وحسنه والطبراني عن أم
 حمارة الأنصارية ، أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ما أرى كل شيء إلا
 للرجال ، وما أرى للنساء يذكرن بشيء ، فنزلت هذه الآية ^(١) . وعن ابن عباس ^(٢)
 قال : قالت النساء : يا رسول الله ، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فنزلت
 هذه الآية . أخرجه الطبراني وابن جرير وابن مردويه بإسناد قال السيوطي : حسن .
 وبالله التوفيق وهو المستعان .

* * *

١٣٩ — باب ما نزل في عدم خيرتهن بعد قضاء الله ورسوله

صلى الله عليه وسلم

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
 يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 مُّبِينًا ﴾ [٣٦]

• قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون
 لهم الخيرة من أمرهم ﴾ قال القرطبي ^(٣) : لفظ ما كان وما ينبغي ونحوهما معناه الحظر
 والنعى من الشيء ، والإخبار بأنه لا يحل شرعاً أن يكون ، وقد يكون لما يمتنع عقلاً
 كقوله « ما كان لكم أن تغلبوا أشجرها » ^(٤) ، ومعنى الآية : أنه لا يحل لمن
 يؤمن بالله ورسوله إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يختار من أمر نفسه ما شاء ، بل يجب
 عليه أن يذعن للقضاء ، ويوقف نفسه تحت ما قضى الله ورسوله عليه واختاره له ،
 ويحمل رأيه تبعاً لرأيه . وجمع الضمير في قوله « لهم » و « أمرهم » لأن مؤمناً
 ومؤمنة وقما في سياق النفي فهما يعان كل مؤمن ومؤمنة .

• ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ في أمر من الأمور وشيء من الأشياء ، ومن

(١) تفسير الرسول : ١ : ١٥٥ ، أسباب النزول : ٢٠٤ ، القرطبي ج ٦ الشعب ٢٦٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٤٩٥ (٣) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٦٩ .

(٤) النبل : ٦

ذلك عدم الرضا بما قضى الله به في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته .
 ﴿ فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ . ظاهراً واضحاً لا يخفى ، فإن كان العصيان عصياناً رد
 واستتاع عن القبول كحالة بعض أهل الرأي وأصحاب الفروع ، فهو ضلال كفر ، وإن
 كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب كحالة بعض أهل التوحيد ، فهو
 ضلال خطأ وفسق .

وعن ابن عباس قال (١) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب
 على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، قالت :
 لست بناكحته . قال : « بلى فانكحيه » . قالت يارسول الله ، أوامر نفسي ؟ فيبناهما
 يتعدن أنزل الله هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم . قالت : قد رضيت له
 ناكحاً ؟ قال : « نعم » . قالت : إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 أنكحته نفسي . أخرجه ابن جرير وابن مردويه .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب : « إني أريد أن
 أنزوجك زيد بن حارثة فإني قد رضيت لك » . قالت : يارسول الله ، لكني لا أرشاه
 لنفسي ، وأنا أيم قومي وبنت عمك ، فلم أكن لأفعل ؟ فزلت هذه الآية « وما كان
 للمؤمن » يعني زيدا - « ولا مؤمنة » - يعني زينب - « إذا قضى الله ورسوله أمراً » -
 يعني النكاح في هذا الموضع - أن « يكون لهم الخيرة من أمرهم » خلاف ما أمر الله
 به . قالت : قد أظنك فاصنع ما شئت ، فزوجها زيدا ؛ ودخل عليها . أخرجه
 ابن مردويه .

وعن ابن زيد قال (٢) : زلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت أول
 امرأة هاجرت فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزوجها زيد بن حارثة ،
 فسخطت هي وأخوها وقالوا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجها
 عبيده ، وكان تزوج زيد زينب قبل الهجرة بنحو ثمانين سنين ، وبعد ما طلق زيد
 زينب ، زوجة صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ، وكان زوجها قبلها أم أيمن ، وولدت
 له أسامة ، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين ، وقيل : بخمس . وفي شرح
 المواهب : أن أم أيمن هي بركة الحبشية بنت ثعلبة ، أعتقها عبيد الله أبو النبي

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٩ (٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٦٨ - ٥٢٦٩

صلى الله عليه وسلم ، وقيل : بل أعتقها هو صلى الله عليه وسلم ، وقيل : كانت لأمه صلى الله عليه وسلم أسلمت قديماً ، وهاجرت المجرتين ، وماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر ، وقيل : بسة .

قال أهل العلم : دلت الآية على لزوم اتباع قضاء الكتاب والسنة ، وذم التقليد والراى وعدم خيرة الأمر في مقابلة النص من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وإن كان السبب خاصاً فإن الاعتبار بموم اللفظ لا بخصوص السبب .

١٤٠ - باب ما نزل في نفي الحرج عن أزواج الأديماء

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَآلَهُ أَهَقَّ أَنْ تَحْشَنَهُ فُلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَا زَوْجُنْكَهَا لَيْكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [٣٧]

● قال تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ هو زيد بن حارثة ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه صلى الله عليه وسلم بأن أعتقه من الرق ، وكان من سبي الجاهلية ، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وأعتقه وتبناه . قال جماعة^(١) : إن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزيد وهى في عصمة زيد ، وكانت حريصة على أن يطلقها زيد فيتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن زيدا أخبر بأنه يريد فراقها ، وشكا منها غلظة القول وعصيان الأمر والأذى باللسان والتعظم بالشرف ، قال له : ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ في أمرها ولا تمجّل بطلانها ، وأمسك عليك زوجك ﴾ وتخفي في نفسك ما الله مبديده ﴾ وهو نكاحها

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٧١ •

إن طلبها زيد ، وقيل : حبها ، ولكنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف .
﴿ وتغنى الناس والله أحق أن تغشاه ﴾ في كل حال ، وهذا التقرير أحسن ما قيل في
هذه الآية .

● ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ أى : حلجة ، ساء الله في القرآن حتى صار اسمه
يتلى في الحارث ، ونوه به غاية التنويه ﴿ زوجها ﴾ فدخل عليها بشر إن شاء الله ولا
عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق أمته ، وهذا من
خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع المسلمين ، وكان تزوجه
بزينب سنة خمس من الهجرة ، وقيل : سنة ثلاث ، وهى أول من مات بعده من
زوجاته المطهرات ، ماتت بعده بضع سنين عن ثلاث وخمسين سنة .

وأخرج أحمد والبخارى والترمذى وغيرهم ، عن أنس قال : « جاء زيد بن حارثة
يشكو زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، فنزلت : ﴿ وتغنى في نفسك ما الله
مبديه ﴾ فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أولم على امرأة من نساء ما أولم
عليها ، ذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه . فكانت تفتخر على أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع
سموات ^(١) ، وكانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جدى وجدك واحد
. وليس من نساءك من هى كذلك غيرى ، وقد أنكحنيك الله ، والسفير في ذلك
جبريل ^(٢) . قاله الخازن .

● ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ أى : في التزوج
بأزواج من يعملونه أبناء كما كانت تفعله العرب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
تبني زيد بن حارثة ، وكان يقال له : زيد بن محمد ، حتى نزل قوله سبحانه : « ادْعُوهُمْ
لِأَبَائِهِمْ » ^(٣) ، « إذا قضاوا منهم وطراً ﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه
بنفس العقد عليها ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أى : قضاؤه في أمر زينب أن يتزوجها

(٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٩٢

(١) صحيح البخارى ٩ : ١٥٢

(٣) الأحزاب : ٥٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء ماضياً موجوداً في الخارج لاحتالة .

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب ، قالوا : تزوج حليمة ابنة (١) فأُنزل الله « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » (٢) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير ، فلبث حتى صار رجلاً يقال له : زيد بن محمد ، فأُنزل الله « ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ مَعَهُ اللَّهُ » (٣) أخرجه الترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وغيرهم .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد : « اذهب فاذا كرهنا لى » ، فانطلق ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري ، قلت : يا زينب ، أبشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كرك . قالت : ما أنا بصائمة شيئاً حتى أوامر [ربى] (٤) فقامت إلى مسجدنا ، وقد نزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بشير إذن ، ولقد رأينا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته ، فجعل يتبع حجرات نسائه يسلم عليهن ، ويقبلن . يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ لما أدري هل أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبره غيرى ، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت لأدخل معه فألقى الستر بينى وبينه . وتزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » (٥) الآية .

(١) تيسير الوصول : ١ : ١٥٥ ، أسباب النزول : ٢٠١

(٢) الأحزاب : ٤٠

(٣) الأحزاب : ٥

(٤) تيسير الوصول : ٣ : ٣٣٨ ، والزيادة منه ، القرطبي ج ٦ الشعب ٢٧٤

(٥) الأحزاب : ٥٣

١٤١ - باب ما نزل في أن لاعدة في الطلاق قبل المسيس

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْ تَعَوَّهِنَّ وَسِرَّوَهُنَّ سِرًّا جَمِيلًا﴾ [٤٩]

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى : عقدتم بهن عقد النكاح ﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ أى : تجلعهن ، فكُنَى عن ذلك بلفظ اللس ، ومن آداب القرآن السكينة عن الوطء بلفظ الملازمة والملازمة والقرب والتنفى والإيمان .

وقد استدلل بهذه الآية على أن لا طلاق قبل النكاح ^(١) ، وبه قال الجمهور ، وذهب مالك وأبو حنيفة إلى صحته إذا قال : إذا تزوجت فلانة فهى طالق ، وورده الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا طلاق فيها لأتلك .. » ^(٢) الف رواه أبو داود والترمذى ^(٣) بحناه .
وعن ابن عباس : جعل الله الطلاق بعد النكاح . أخرجه البخارى ^(٤) .

● ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ أى : تحمونها بالأقراء والأشهر ، أجمع العلماء على أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والحلوة فلا عدة ، وذهب أحمد إلى أن الحلوة توجب العدة والصداق .

● ﴿ فَمَنْ تَعَوَّهِنَّ ﴾ أى : أعطوهن ما يستمتعن به ، وقد تقدم الكلام عليها فى سورة البقرة ^(٥) ، ويخص من هذه الآية من توفى عنها زوجها ، فإنه إذا مات بعد التقد عليها وقبل الدخول بها كان الموت كالدخل ، فتمتد أربعة أشهر وعشراً ، قال ابن كثير بالإجماع ^(٦) ، فيكون المخصص هو الإجماع لا الجماع .

● ﴿ وَسِرَّوَهُنَّ سِرًّا جَمِيلًا ﴾ أى : أخرجوهن من غير إضرار ولا منع حق

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٤٩٨

(٢) تفسير الوصوف ٢ : ٢٧٧ مع اختلاف فى الرواية ، انظر تفسير ابن كثير ٣ : ٤٩٨

(٣) صحيح البخارى ٧ : ٥٧ وجعله باباً فقال « باب لا طلاق قبل النكاح »

(٤) انظر ٣٩ - ٤١ من هذا الكتاب .

(٥) تفسير ابن كثير ٣ : ٤٩٨

من منازلكم ، وليس لكم عليهن عدة ، وقيل : هو أن لا يطالبا بما كان قد أعطاهما وعن ابن عباس في الآية : قال : هذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها ، فإذا طلقها واحدة بآنت منه ولا عدة عليها ، فلها أن تتزوج من شأته ، وإن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمى ، متمها على قدر عسره ويسره (١) .

* * *

١٤٢ — باب ما نزل في الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ . ﴾ [٥٠]

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ﴾ أي : مهورهن ، فإن المهور أجور الإبزاع ، قيل : أحل له جميع النساء ماعدا ذوات المحارم إذا آتاها مهرها ، وقيل : أحل له أزواجه ؛ لأنهن قد اخترنه على الدنيا ، وهذا هو الظاهر (٢) .

● ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ أي : السراري اللاتي دخلن في مملكتك بالنسيئة مثل : صفية وجويرة ، فأعتقهما وتزوجهما ، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم ؛ وخرجت الآية عرج النال ، لأنها تحمل له السرية المشتركة والموهوبة ، ونحوهما .

● ﴿ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ ﴾ أي : نساء قریش ﴿ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ﴾ أي : نساء بني زهرة ﴿ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ هذا إشارة إلى ما هو الأفضل ،

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٨٦

(٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٨٨

وللايذان بشرف المهجرة وشرف من هاجر ؛ أى : أحطن لك زائداً على الأزواج
اللاتى آتيت أجورهن على قول الجمهور (١).

أخرج الترمذى وحسنه وابن جرير والطبرانى وغيرهم ، عن أم هانئ بنت أبي
طالب قالت : خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فمذرتى ، فأنزل
الله هذه الآية ، فلم أكن أحل له ، لأنى لم أهاجر معه ، كنت من الطلقاء (٢). وفى
الباب روايات .

وعن ابن عباس قال : حرم الله عليه سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح
أى النساء شاء ، لم يحرم ذلك عليه ، وكان نساؤه يحدن من ذلك وجداً شديداً ؛
ن يشكح أى النساء أحب ؛ فلما نزلت الآية أعجب ذلك نساءه .

● ﴿ وامرأة مؤمنة ﴾ هذا يدل على أن الكافرة لا تحل له ، لجوز لنا نكاح
الحرائر الكنائيات ، وقصير هو صلى الله عليه وسلم على اللؤمات ، وأما كسره بالألمة
الكنائية فالأصح فيه الحل ، لأنه صلى الله عليه وسلم استمتع بأمته وبجانية قبل أن
يُسلم ، كذاني اللواهب ، وكانت يهودية فمن سبي قريظة ؛ وعما خص به أيضاً أنه
يحرم عليه نكاح الأمة ولومسلة . ﴿ إن وهبت نفسها للنبي ﴾ أى : ملكتك بضمها ،
وأما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك ، ولكن ليس ذلك بواجب
عليك بحيث يلزمك قبول ذلك ، بل مقيد بإرادتك ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إن أراد
النبي أن يستنكحها ﴾ قيل (٣) : إنه لم يكن عنده منهن شيء ، وقال قتادة : كانت عنده
ميمونة بنت الحارث ، وقيل : هى زينب بنت خزيمة الأنصارية أم المساكين ، وقيل :
أم شعريك بنت جابر الأسدية ، وقيل : هى أم حكيم السلمية .

وعن عروة عن عائشة قالت : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن
للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة رضى الله عنها : أما تستحي المرأة أن تهب
نفسها للرجال ؟ فلما نزلت ﴿ ترجى من نساء منهن وتؤوى إليك من نساء ﴾ قلت :
يا رسول الله ، ما أرى ربك إلا يسارع فى هوالك (٤). أخرجه الحنفية إلا الترمذى ..

(١) الترمذى : ٦ الشعب ٢٨٩ .

(٢) تفسير الرسول ١ : ١٥٦ وفيه « الضليق : الأسير الذى خلى سبيله .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠٠ .

(٤) تفسير الرسول ١ : ١٥٦ ، أسباب النزول ٢٠٥ .

وعن أنس قال جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هل لك في حاجة؟ فقالت: ابنة أنس: ما كان أفل حياها، فقال: هي خير منك، رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت نفسها عليه. أخرجه البخاري وابن مردويه، وفي الباب روايات (١).

وكان (٢) من خصائصه صلى الله عليه وسلم: أن النكاح ينمق في حقه بالهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، والزيادة على أربع، ووجوب تخيير النساء؛ وعليه جماعة، واختلفوا في انعقاده في حق الأمة، فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينمق إلا بلفظ النكاح. والتزويج، وقال أهل الكوفة: ينمق بلفظ التملك والهبة.

● ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ والحق أن ذلك خاص به صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ﴿قد علنا ما فرضا عليهم في أزواجهم﴾ قال ابن عمر في الآية: فرض الله عليهم: أنه لا نكاح إلا بولي وشاهدين، ومثله عن ابن عباس: وزاد: ومهر.

﴿وما ملكت أيمانهم﴾ ممن يجوز سيده وحربه، وأن تستبرأ قبل الوطء.

١٤٣ — باب ما تزل في في التصرف

في النساء بالإرجاء والإيواء

﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ . .﴾ [٥١]

قال تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ أي: تؤخر ﴿وتؤي إليك من تشاء﴾ أي: تضم إليك، وللمنفق: أن الله تعالى وسع عليه في جعل الخيار إليه في نسائه، فيؤخر من شاء منهن، ويؤخر نوبتها ويتركها ولا يأتمها من غير طلاق، ويضم إليه من شاء منهن ويضاجعها ويبيت عندها.

(١) تفسير ابن كثير ٣: ٤٩٩ (٢) تفسير ابن كثير ٣: ٥٠٠.

وقد^(١) كان القسم واجباً عليه حتى نزلت هذه الآية ، فارتفع الوجوب وصار الخيار إليه ، وكان بمن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ، ومن أدجى : سودة ، وجويرة ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وصفية ، فكان يسوى بين من آوى في القسم ، وكان يقسم لمن أرجاه ماشاء . وهذا قول الجمهور وعليه دلت الأدلة الثابتة في الصحيح وغيره .

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت^(٢) : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها ؟ فلما أنزل الله : « ترجى من تشاء .. » الآية قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هوائه . وفي الباب روايات .

• ﴿ ومن ابتغيت من عزلت ﴾ « الابتغاء : الطلب ، و « العزل : الإزالة ، أى : إن أردت أن تؤوى إليك امرأة من قد عزلتهن من القسمة ﴾ فلاجتاح عليك ﴿ في ذلك ﴾ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ﴿ أى : ذلك التخيير والتفويض أقرب إلى رضاهن . ﴾ ولا يحزن ﴿ بتأثيرك ﴾^(٣) بعضهن دون بعض ﴿ ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ أى : من تقرب وإرجاء وعزل وإيواء ، وكان يقسم بينهن حتى توفي صلى الله عليه وسلم ولم يستعمل شيئاً مما أيسر له ضبطاً لنفسه وأخذاً بالافضل ، غير سودة فلها وهبت ليلتها لمائشة^(٤) .

﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ من كل ما ضمرونه من أمور النساء والليل إلى بعضهن .

(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٩٧

(٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠١

(٣) أثر تأييد ، أى : ترك أثرًا ، أثر إيتار ، أى فضل ، لا أقرب أن يكون بإيتار

بعضهن دون بعض .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠٢

١٤٤ - باب ما نزل في النهي عن تبديل الأزواج

للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ ﴾ [٥٢.]

● قال تعالى: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ أي : بعد هؤلاء التسع اللواتي اخترتك واجتمعن في عصمتك^(١) ، وهن من توفي عنهن ، واختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية على أقوال ذكرت في فتح البيان.

● ﴿ ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ غيرهن من الكتانيات ، لأنه لا تكون أم للمؤمنين يهودية ولا نصرانية . ﴿ ولوأعجبك حسنهن ﴾ أي : حسن غيرهن وجالهن ممن أردت أن تجعلها بدلاً من إحداهن ، وهذا التبديل من جملة ما نسخ الله في حق رسوله على القول الراجح ، ونسخه إما بالسنة أو بقوله : « إنا أحلنا لك أزواجك » . وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف .

قال ابن عباس^(٢) : لما استشهد جعفر ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختطف امرأته أسماء بنت عميس ، فنهى عن ذلك .

﴿ إلا ما ملكت يمينك ﴾ أي : تحمل لك الإمام ، وقد ملك النبي صلى الله عليه وسلم بدهن مارية القبطية ، أهداها له المقوقس ملك القبط ، وهم أهل مصر ، وولدت له إبراهيم في ذى الحجة سنة ثمان ومات في حياة أبيه وله سبعون يوماً ، وقيل : سنة وعشرة أشهر . وفي تحليل الأمة الكافرة له صلى الله عليه وسلم قولان واسكل وجهة .

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ، ويدل عليه ما روى عن جابر مرفوعاً « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليقبل » أخرجه أبو داود^(٣) .

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠١ (٢) القرطبي ج ٦ الشعب ٢٠٣

(٣) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٣٠٤ : انظر تفسير الوصول ٣ : ٣٤٢ وفيه « ... ينظر منها إلى ... »

وعن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها فإن في عين الأنصار شيئاً ^(١) » ، قال الحميدى : يعنى الصغر . وعن النخعي بن شعبة قال : خطبت امرأة فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « هل نظرت إليها ؟ قلت : لا ، قال : « فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤذى بينكما » أخرجه الترمذى وقال : حسن ^(٢) .

١٤٥ — باب ما نزل في حجاب النساء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [٥٣]

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ هذا نهى عام لكل مؤمن عن أن يدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذن منه .

وسبب النزول ما وقع من بعض الصحابة في وليمة ذئب ، وعن ^(٣) أنس قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر . فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأُتزل الله آية الحجاب . أخرجه الشيخان . وفي الباب روايات ، وفيها سبب للنزول ^(٤) ، وكان الحجاب في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة وقيل : سنة ثلاث .

● ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أى : لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا في حال كونكم مأذوناً لكم ، إلى قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ . فبعد هذه الآية لم يكن لاحد أن ينظر إلى

(١) ، (٢) تفسير الوصل ٣ : ٣٤٢ مع اختلاف في الرواية ، و « أخرى » : أجبر ، و « يؤذى بينكما » : تدوم المشقة بينكما ، وانظر القرطبي ج ٦ الشعب ٣٠٣ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠٢ .
(٤) أسباب النزول : ٢٥٥ .

امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنبقة او غير متنبقة .
 • ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَالُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ ﴾ وفي هذا أدب لكل مؤمن ، وتحذيره
 من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له ؛ وللكلة من دون الحجاب لمن تحرم
 عليه ، فإن مجانبة ذلك أحسن بحاله ، وأحسن لنفسه ، وأتم لصحته .

• ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بشيء من الأشياء كالنساء ما كان .
 ﴿ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا ﴾ أى : بعد وفاته أو فراقه ؛ لأنهن
 أمهات ، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات .

قال ابن عباس (١) : نزلت هذه الآية في رجل هم بأن يتزوج بعض نساء النبي صلى
 الله عليه وسلم بعد موته . قال سفيان : وذكروا أنها عائشة . وفي الباب روايات (٢).
 ﴿ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أى : ذنباً عظيماً ويخطأ هاتلاً شديداً .

١٤٦ - باب ما نزل في رفع حجابهن عن ذوى القربى

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
 إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَقِينَ
 اللَّهَ ۚ ۝ ﴾ [٥٥]

• قال تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
 إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ أى : فهؤلاء لا يجب على نساء رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، ولا على غيرهن من النساء الاحتجاب منهن في رؤية وكلام ، ولم يذكر الله
 والحال ؛ لأنهما يجران مجرى الوالدين .

• ﴿ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ أى : النساء المؤمنات ؛ لأن الكافرات غير مأمونات على
 المهورات ، والنساء كلهن عورة ، فيجب على أدواج النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٥٥ - ٥٠٦

(٢) أسباب النزول : ٢٠٦

الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر السلطات ما عدا ما يندرج عند الهيئة ، فلا يجب على السلطات حجبها وستره عن الكافرات ، ولهذا قيل : هو خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز للكتابات الدخول عليهن ، وقيل : عام في السلطات والكتابات .

• ﴿ ولا مالمسكت أيمانهن ﴾ من المبدأ والإمام أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ، وقيل الإمام خاصة ؛ ومن لم يبلغ من المبدأ^(١) ، والخلاف في ذلك معروف .

• ﴿ واتقين الله ﴾ في كل الأمور التي من جملتها الحجاب ، قال ابن عباس : تزلت هذه في نساء النبي خاصة . يعني وجوب الاحتجاب عليهن ، لأعلى سائر نساء الأمة ، فإن الحجاب في حقهن مستحب لا واجب ولا فرض .

١٤٧ - باب ما نزل في إيذاء المؤمنات بالبهتان

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [٥٨]

• قال تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ﴾ بوجه من وجوه الأذى من قول أو فعل ﴿ بشيء ما اكتبوا ﴾ قيل : يقومون فيهم ويرمونهم بشيء جرم ، فإن الأذية بما كتبوا مما يوجب حداً أو تعزيراً ، ونحوها ، فذلك حقاً ثبتته الشريعة ، وأمر أمرنا الله به وندبنا إليه ، وهكذا إذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الابتداء بشتم مؤمن أو مؤمنة أو ضرب ، فإن القصاص من التفاعل ليس من الأذية المحرمة على أى وجه كان ، ما لم يجاوز ما شرعه الله .

﴿ فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ أى : ظاهراً واضحاً لا شك في كونه من البهتان والإثم ، قيل :^(٢) تزلت في شأن عائشة ، وقيل : تزلت في الزناة كانوا يمشون في طرق المدينة يقيمون النساء وهن كارهات .

(١) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠٦ .

(٢) أسباب النزول : ٧٠٧ - ٧٠٨ ، وانظر القرطبي ج ٦ الشعب ٥٢٢٢ .

١٤٨ - باب منازل في ثياب الحرائر والإماء وتقيهن بها

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ﴾ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذَنَنَّ ﴿ ٥٩ ﴾

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ﴾ جمع جلباب ، وهو ثوب أكبر من الحمار ، وهو اللداء التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والحمار . قال الجوهري : الجلباب : الملحفة^(١) . وقال الشهاب : إنَّه واسع يلتحف به : وقيل : القناع ، وقيل : هو كل ثوب يستر جميع بدن المرأة من كساء وغيره ؛ كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية ، أنها قالت : يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ فقال : « لتلبسها أختها من جلبابها »^(٢).

قال الواحدى : قال المفسرون : يظنين وجوههن ورؤوسهن إلا عيناً واحدة ، فيعلم أنهن حرائر ، فلا يترى لمن يأذى . وبه قال ابن عباس . وقال الحسن : تدهطن نصف وجهها . وقال قتادة : تلويه فوق الحيين وتشدده ثم تمطفه على الأنف ، وإن ظهرت عينها لسكنة يستر الصدر ومعظم الوجه . وقال المبرد : يرخينها عليهن وينظنين بها وجوههن وأعطانهن .

● ﴿ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَّ ﴾ فيتميزن عن الإمام ويظهر للناس أنهن حرائر .
● ﴿ فَلَا يُؤْذَنَنَّ ﴾ من جهة أهل الرية بالتمرض لهن ؛ مراقبة لهن ولأهلهن .
واستنبط بعض أهل العلم من هذه الآية أن ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سمة الأكمام والعمامة ولبس الطليحان حسن ؛ وإن لم يفعله السلف ، لأن فيه تمييزاً لهم وبذلك يعرفون فيلتفت إلى فتاواهم وأقوالهم .
قال السبكي : ومنه يعلم أن تمييز الأشراف بعلامة أمر مشروع أيضاً . انتهى .

(١) الملحفة : ما يلبس فوق سائر الملابس لينظفها .

(٢) صحيح البخارى ١ : ٩٩ وفيه « .. صاحبها .. »

(٣) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٣٢٥ ..

وأقول : ما أورد هذا الاستقياط وأبعده ، وما أقل نفعه وجدواه ، لاسيما بعد ماورد في السنة المطهرة من النهي عن الإسراف في اللباس وإطالته ، وقد منع من ذلك سلف الأمة وأئمتها ، فأين هذا من ذلك ؟ وإنما هو بدعة قبيحة وشيعة مردودة على صاحبها ، أحدثها عليها سوء ومشايخ الدنيا . ومن هنا قال على القسارى في معرض القم لأهل مكة : لهم عمائم كالإبراج وكأهم كالأخراج . وما ذكره من أن زى العلماء والإشراف في هذا الزمان سنة رده ابن الحاج في «المدخل» بأنه مخالف لزيهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون ، فإن قيل : إنهم به يعرفون ، قيل : إنهم لو بقوا على الزى الأول لرفقوا به أيضاً لخالفته لما عليه غيرهم الآن ، وأطال في إنكار ماقالوه واختاروه في الزى .

وفي سبب نزول هذه الآية روايات^(١) فيها ذكر خروج سودة وغيرها للحاجة بالليل وإبذاء المنافقين لهم .

* * *

١٤٩ — باب ما نزل في تعذيب المنافقات والتوبة على المؤمنات

﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝ ٧٣ ﴾

• قال تعالى : ﴿ ليُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝ ٧٣ ﴾ وفيه توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه .

وهذه الآية بعد ذكر ﴿ إننا عرضنا الأمانة ﴾ إلى قوله : ﴿ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ قال ابن قتبية^(٢) : أى عرضنا ذلك ليظهر تفارق المنافق وشرك الشرك ، فيذهبها الله ، ويظهر إيمان المؤمن فيعود عليه بالنفرة والرحمة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة ، فدل على أن المؤمن الباصى خارج عن العذاب . اللهم اغفر لنا وتب علينا .

* * *

(١) أسباب النزول : ٢٠٨ ، اظهر تفسير ابن كثير ٣ : ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ٣٣٨ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ فَاطِمَةَ

١٥٠ - باب ما نزل في جعل الله الإنسان

أزواجاً من جنسه

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [١١]

● قال تعالى في سورة فاطر: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾
أزواجاً ﴿فأذكر زوج الأنثى وبالعكس ، أوجعلكم أصنافاً ذكراناً وإناثاً .

● ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ أي : لا يكون حمل ولا وضع إلا
والله عالم به ، فلا يخرج شيء عن علمه وتديره ، والآية حجة على من ينفي علمه
سبحانه بالجزئيات ورد عليه .



مَا نَزَّكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ

فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ

١٥١ - باب ما نزل في حشر الزوجات مع الأزواج

﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ۖ ﴾ [٢٢]

• قال تعالى في سورة الصافات : ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ أمر من الله للملائكة بأن يحشروا المشركين .

• ﴿ وأزواجهم ﴾ أى : أمثالهم في الشرك والتابعون لهم في الكفر ، وقال الحسن (١) ومجاهد : المراد بأزواجهم : نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والنظم . وقال عمر بن الخطاب : أمثالهم ؛ أى : يحشروا أصحاب الربا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا إلى غير ذلك . وفي الآية أقوال أحدها ما تقدم من أن المراد بهم : نساؤهم .



(١) القرطبي ج ٦ الشعب ٥٥١٧

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

١٥٢ - باب ما نزل في جمل حواء زوجة لآدم عليهما السلام

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ۖ ﴾ [٦]

• قال تعالى في سورة الزمر : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وهي نفس آدم (ثم جعل منها زوجها) حواء ؛ أى : خلقها من ضلع آدم ، وتقدم تفسير هذه الآية في سورة الأعراف (١).

١٥٣ - باب ما نزل في ظلمات بطون الأمهات

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۖ ﴾ [٦]

• قال تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ قال قتادة (٢) والسدى : نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ، وقال ابن زيد : أى : من بعد خلقكم في ظهر آدم .

• ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ هي ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة (٣) ، وقيل : ظلمة الليل بدل ظلمة البطن . وقيل : ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن المرأة ، وظلمة الرحم . والرحم داخل البدن ، والمشيمة (٤) داخل الرحم .

• ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره ، أو عن طريق الحق بسد البيان .

(١) انظر من ١٠٣ من هذا الكتاب .

(٢) (٣ ، ٢) القرطبي ج ٧ الشعب . ٥٦٨ .

(٤) للمشيمة : محل الولد .

١٥٤ - باب ما نزل في خسران الأهلين

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ ١٥ ﴾ [١٥]

• قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أى : الكاملين في الخسران ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ﴾ بتخليد الأنفس في النار بدمم وصولهم إلى الحور المدة لهم في الجنة لو آمنوا ؛ لأن من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله ، قيل : المراد بأهلهم : أزواجهم وخدمهم ، وقيل : أهلهم في الدنيا^(١) .

﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ الذى بلغ من المظلم إلى غاية ليس فوقها غاية .



(١) البحر المحيط : ٧ : ٥٧٥

مَا نَزَّلْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ غَافِرٍ

١٥٥ - باب ما نزل في الدعاء للزوجات

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٨]

• قال تعالى في سورة المؤمن : ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴾ أيها ﴿ و ﴾ أدخل ﴿ من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ « الصالح » هنا : الإيمان بالله ، والعمل بما شرعه الله ، فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة .

• ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وهذا الدعاء من حملة العرش للمؤمنين والمؤمنات .

١٥٦ - باب ما نزل في دخول الأنثى الجنة إذا عملت صالحاً

﴿ . . . وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٤٠]

• قال تعالى : ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ بما جاءت به رسل الله ﴿ فأولئك ﴾ الذين جموا بين الإيمان والعمل الصالح ﴿ يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أي : بغير تقدير وحسابة ، دلت إشارة النص على أن العمل داخل في مفهوم الإيمان الكامل ، ولا ينفع الصالح منه إلا ما كان معه .



مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ فَصَّلَاتٍ

١٥٧ - باب ما نزل في علم الله سبحانه

بحمل الأنثى ووضعها

(وَمَا نَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا نَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ . . .) [١٧]

● قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ وما نحمل من أنثى ﴾ حملاً في بطنها ﴿ ولا نضع ﴾ ذلك الحمل ﴿ إلا بعلمه ﴾ سبحانه وتعالى شأنه .

وفيه دليل على أن أصحاب الكشف والكهان وأهل التنجيم لا يمكنهم القطع والجزم بشيء مما يقولونه ألبتة ، وإنما غايته ادعاء ظن ضعيف أو وهم خفيف ، وعلم الله هو العلم اليقين المقتطوع به ؛ الذي لا يشركه فيه أحد .



مَا نَزَّلْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الشُّورَى

١٥٨ — باب ما نزل في أن الزوجة من جنس الزوج

﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ ٠٠ ﴾ [١١]

● قال تعالى في سورة الشورى : ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ﴾ أى : يبتكم ، وهى الأصناف الثانية التى ذكرها في سورة الأنعام^(١).

١٥٩ — باب ما نزل في شأن ولادة النسوة ذكورا وإناثا

وجعل من يشاء الله عقيما

﴿ يَهْبِئُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثَا وَيَهْبِئُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَنَثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [٤٩ - ٥٠]

● قال تعالى : ﴿ يهب لمن يشاء إناثا ﴾ لاذكور معهن ، وقال ابن عباس يريد^(٢) :
لوطا وشميا ؛ لانهما لم يكن لهما إلا البنات ، والقوم أولى .

● ﴿ ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ لا إناث معهم ، قيل^(٣) : يريد إبراهيم عليه السلام ؛
لأنه لم يكن له إلا الذكور ، والقوم أولى . وتريف الذكور للدلالة على شرفهم
على الإناث ، وقيل : لدلالة فيها على هذا ، وهى مسوقة لمعنى آخر ، وتقديهن فى
الذكر لكثرتهم بالنسبة إلى الله كور ، وقيل : لتطيب قلوب آبائهن ، وقيل غير ذلك ،
لما لا فائدة فى ذكره^(٤) .

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه
عليه وسلم قال : « من ركة المرأة ابتكراها بالأنثى ؛ لأن الله قال يهب لمن يشاء إناثا »^(٥)

(١) الأنعام : ١٤٣

(٢) (٤ ، ٣ ، ٢) البحر المحيط ٧ : ٥٢٥ ، انظر القرطبي ج ٧ الشعب ٨٦٩ .

(٣) (٥) الدر المنثور للسيوطي ٦ : ١٢ . وفيه : أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر .

● ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أى : يقرن بين النوعين فيهما جميعاً ليمض خلقه ، يريد: محمداً صلى الله عليه وسلم (١) ، فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح : القاسم ، وعبد الله ، وإبراهيم ، ومن البنات أربع : زينب ، ورقية ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، قاله ابن عباس . والمعموم أولى ؛ لأن المعرة به لا بخصوص السبب . قال مجاهد (٢) : للمعنى أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية .

وقال محمد بن الحنفية (٣) : هو أن تلد توأماً غلاماً وجارية . ومعنى الآية أوضح من أن يختلف في مثله .

● ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا يولد له ذكر ولا أنثى ، يريد (٤) يحيى وعيسى عليهما السلام . قال أكثر المفسرين : هذا على وجه التثنية ، وإنما الحكم عام في كل الناس ، لأن المقصود بيان تقاذق قدرة الله تعالى في تكوين الأشياء كيف يشاء ، فلا معنى للتخصيص .

﴿إنه عليم قدير﴾ بليغ العلم عظيم القدرة .



(٢) القرطبي ج ٧ الشعب ٥٨٦٩ .

(٣) (٣ ، ٤) القرطبي ج ٧ الشعب ٥٨٦٨ .

(٤) (٤) البحر المحيط ٧ : ٥٢٥ .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْخُرُوفِ

١٦٠ - باب ما نزل في عجز المرأة عن إقامة الحجّة

﴿وَلَمَّا دَا بُرَّ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوْ مَنْ يَنْشُو فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [١٧ - ١٨]

• قال تعالى في سورة الزخرف : ﴿وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ من كونه سبحانه جمل لنفسه البنات ؛ والملق : إذا بشر أحدهم بأنها ولدت له بنت انتم لذلك وظهر عليه أثره ، وهو معنى قوله : ﴿ظَلَّ﴾ أى : صار ﴿وجهه مسوداً﴾ بسبب حدوث الآتى له ، حيث لم يكن الحادث له ذكراً مكتمها ﴿وهو كظيم﴾ شديد الحزن ، كثير الكرب مملوء منه .

﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ «التشوء» : التزى . و «الحلية» : الزينة ؛ وهى للآتى ، أى : إيجملون لله الآتى الذى تترى فى الزينة لتقصها ؛ إذ لو كملت فى نفسها لما تكملت بالزينة .

﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾ أى : عاجز عن أن يقوم بأمر نفسه ، وإذا خوص لا يقدر على إقامة حجته وتقرير دعواه ودفع ما يجادل به خصمه ، نقصان عقله وضمف رأيه .

وفيه أنه جمل للنشأة فى الزينة من اللمايب ، فعلى الأول أن يحتجب ذلك ، قال قتادة (١) : فلما تكلمت امرأة بمجبتها إلا تكلمت بالحجة عليها .

قال ابن عباس فى الآية : «هو» (٢) النساء ؛ فرق بين زينة وزى الرجال ، ونقصهن من الميراث ، وبالشهادة ، وأمرهن بالقعدة ، وسملهن : الحوافل .

(١) القرطبي ج ٧ الشعب : ٥٨٩٢

(٢) القرطبي ج ٧ الشعب : ٥٨٩١

١٦٩ — باب ما نزل في دخول الأزواج الجنة مع بعولتهم

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَكْتَفًا
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿ [٦٩ - ٧٠]

● قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أى : يقال لهم ذلك .

● ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أى (١) : نساؤكم المؤمنات ، وقيل : قرناؤهم من المؤمنين .
وقيل : نوجاتهم من الحور العين ، ولا مانع من إرادة الجميع ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تكرمون
وتتممون ، أو تفرحون وتسررون ، أو تتهيجون ، والأولى ؛ تفسير ذلك بالفرح
والسرور .

(١) القرطبي ج ٧ الشعب ٥٩٣١ .

ما ذكر عن النساء
في سورة الاحقاف

١٦٢ - باب ما نزل في مدة الرضاع

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [١٥]

● قال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ تقدم تفسيرها في عمدة (١).

● ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ اقتصر على الأم ، لأن حقها أعظم ، ولذلك كان لما ثلثا البر (٢) ، قاله الخطيب . وإنما ذكر حمل الأم ووضعها تأكيداً بوجوب الإحسان إليها ، التي وصى الله به ، أي : إنها حملته ذات كره ، ووضعته ذات كره .

● ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ أي : عدتهما هذه المدة من عند ابتداء حمله إلى أن يفصل من الرضاع ، أي : يقطع عنه .

وقد استدل بهذه الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، لأن مدة الرضاع ستان ، فذكر في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع . وفي الآية إشارة إلى أن حق الأم أكد من حق الأب ؛ لأنها حملته بمشقة ، ووضعته بمشقة ، وأرضته هذه المدة بتعب ونصب ، ولم يشاركها الأب في شيء من ذلك .

وعن ابن عباس أنه كان يقول: (٣) إذا ولدت المرأة لثمة أشهر كفاهها من الرضاع واحد وعشرون شهراً ، وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاهها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً ، وإذا وضعت لستة أشهر فحولان كاملان ، لأن الله يقول : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ قلت : لادليل في الآية على هذا التفصيل في مدة الرضاع ، فلعل الدال عليه التجريب ، ولا حاجة فيه .

(١) انظر ص ١٤٣ - ١٤٤ من هذا الكتاب .

(٢) انظر تفسير الرسول ١ : ٤٤

(٣) القرطبي ج ٧ الشعب ١٣ : ٦٠

١٦٣ - باب ما نزل في إساءة الولد إلى والديه

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِهِ أَفْ لَكُمْ أَنْتُمْ تَدِينَنِي أَن أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَيْتَ
الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيتَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٧]

• قال تعالى : ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ الصحيح (١) أنه ليس المراد من الآية شخص معين ، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة ، وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث ، فأبى وأنكر ، وقيل : نزلت في كل كافر عاق لوالديه .

• ﴿أتعداني أن أخرج﴾ أي : أبعث بعد الموت ، وهذا هو الموعود به ،
﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ ولم يبعث أحد منهم ﴿وهما يستفيتان الله﴾ له
ويطلبان منه التوفيق إلى الإيمان ﴿ويلك آمن﴾ ليس المراد به الدعاء عليه ، بل الحث
له على الإيمان ، أي : اعترف بالبعث وصدق به .

• ﴿إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي : أحاديثهم
وأباطيلهم التي يسطرونها في الكتب من غير أن تكون لها حقيقة . . إلى آخر الآية ،
وفيها الوعيد عليه .

(١) القرطبي ج ٧ القصب ١٧٠٦ .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ مُحْكَمَاتِنَا

١٦٤ - باب ما نزل في استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنات

﴿ . . . وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . ﴾ [١٩]

• قال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ واستغفر لذنبيك ﴾ أن يقع منك ، قيل : للراد به الفترات والفترات عن الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر وغفل عدا ذلك ذنباً واستغفر منه ، وقيل : كان استغفاره شكراً ، ويأباه قوله : « لذنبيك » ، وقيل : الخطاب له ، والمراد : الأمة ، ويأبى هذا قوله : ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ فإن المراد به استغفاره لذنوب أمته ؛ بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم ، وهذا إكرام منه سبحانه لهذه الأمة ، حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم ، وهو الشفع المجاب إن شاء الله تعالى .

وقد وردت أحاديث في استغفاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأمته وترغيبه فيه ، جمعتها كتب السنة من الأذكار والدعوات وغيرها .



مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْفَجْرِ

١٦٥ - باب ما نزل في مكفير سيئات المؤمنين

وتعذيب المنافقات

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا
وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [٦٠-٦١]

- قال تعالى في سورة الفتح : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أى : ينطهها ولا يظهرها ولا يعذبهم بها .
- ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أى : ظفراً بكل مطلوب ، ونجاة من كل غم ، وجلباً لكل نفع ، ودفعاً لكل ضرر .

- ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ فى الدنيا ؛ بإصـال المموم والنموم إليهم بسبب علو كلمة الإسلام ، وظهور المسلمين ، وقهر المخالفين له ، وفى الآخرة : بعذاب جهنم ، والنفاق أشد على المؤمنين من الكفر ؛ فلذلك قدم للمنافقين على المشركين .



ما ذكر عن النساء
في سورة الحجرات

١٦٦ - باب ما نزل في ذم سحرية النساء بينهن

﴿ . وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءِ عَشْرٍ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ . ﴾ [١١]

● قال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ وَلَا ﴾ يسخر ﴿ نساء من نساء عسى أن يكن ﴾ المسخوور بهن ﴿ خيراً منهن ﴾ يعنى من الساحرات بهن ، أفرد النساء بالذكر لأن السحرية منهن أكثر . قال ابن عباس : نزلت (١) في صفة بنت حيي ؛ قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم : يهودية بنت يهودى ، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

* * *

١٦٧ - باب ما نزل في كرامة التقوى في الذكر والأنثى

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ [١٣]

● قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ ها آدم وحواء ، والمقصود : أنهم متساوون لا تفضلهم بنسب واحد ، وكونهم يحصمهم أب واحد وأم واحدة ، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب ، فالكل سواء .

وعن الزهري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى يامضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا : يا رسول الله ، أزوج بناتنا موالينا ؟ فزلت هذه الآية . أخرجه أبو داود في مراسيله وابن مردويه والبيهقي في سننه (٢) .

● ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ أى : ليعرف بعضكم بعضاً ، ويتنسب كل واحد منهم إلى نسه ولا يعترى إلى غيره ، ويصل رحمه ، لا للتفاخر بأنسابهم ، وإن

(١) أسباب النزول : ٢٢٤ ، وانظر القرطبي ج ٧ الصب ٦١٤٦

(٢) تفسير الوصول ٣ : ٣٤٧ باختلاف الرواية ، انظر القرطبي ج ٧ الصب ٦١٦٠

٦١٦١ -

هذا الشعب أفضل من هذا الشعب ، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة ، وهذا
البطن أشرف من هذا البطن ، وإنما الفخر بالتقوى ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ
عند الله أتقاكم ﴾ فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها
وأشرف وأفضل ، فدعوا ما أتم فيه من التفاخر في الأنساب ، فإن ذلك لا يوجب
كرماً ولا يثبت شرفاً ولا يقتضى فضلاً .



مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ

١٦٨ - باب ما نزل في تبشير الملائكة إبراهيم بولد حال كونه

شيخاً كبيراً وامراته عجوز عقيم

﴿ ٠٠ ٠ ﴾ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ قَصَصَتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ . قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴿ ٠٠ ﴾ [٣٠ - ٢٨]

• قال تعالى في سورة البقرة في قصة ضيف إبراهيم عليه السلام :
﴿ وبشروه بغلام ﴾ وهو إسحاق ﴿ عليم ﴾ يكلل علمه إذا بلغ ﴿ فأقبلت امرأته ﴾
أى : سارة عليها السلام ﴿ فى صرة ﴾ أى ^(١) : جاءت صامحة ؛ لأنها لما بشرت بالولد
وجدت حرارة السم ، أى : دم الحيض ، وقيل : « الصرة » : الجماعة ، وقيل : الشدة
من حرب أو غيرها ، وقيل : إنه الرنة والتأوه .

• ﴿ فصكت وجهها ﴾ أى ^(٢) : ضربت يدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك
عادة النساء عند التعجب ، قال مقاتل وغيره : جمت أصابعها فضربت جبينها تعجباً ،
وقال ابن عباس : لطمت .

• ﴿ وقالت عجوز عقم ﴾ استبعدت ذلك لكبر سنها ، ولكونها عقيمًا لانتله
﴿ قالوا ﴾ أى : للملائكة ﴿ كذلك ﴾ أى : كما قلنا لك وأخبرناك ﴿ قال ربك ﴾
فلا تشكى فى ذلك ولا تمنجى منه ، فإن ما أراد الله كائن لا محالة ، وقد ^(٣) كانت إذ ذاك
بنت تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة سنة ، وكان بين التبشير والولادة سنة .



(٢٤١) البحر المحيط ٨ : ١٤٠ ، انظر تفسير ابن كثير ٤ : ٢٣٦
(٣) الترطبي ج ٧ الشعب ٦٢١٧ .

مَا نَزَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ

فِي سُورَةِ النَّحْلِ

١٦٦ - باب ما نزل في أجنة البطون

والنهي عن تركية النفس

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ ۝ ﴾ [٣٢]

● قال تعالى في سورة التجم : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أى :
حين خلقكم منها في ضمن خلق أبيكم وحينما صوركم في الأرحام .

● ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ ﴾ جمع « جنين » وهو الولد مادام في البطن ، سمي بذلك
لأجنانه ، أى : استاره في بطن أمه ، ولذا قال : ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ فلا يسمى
من أخرج عن البطن جنيناً .

● ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أى : لا تمدحوها ولا تشنوا عليها خيراً ، فإن ترك تركية
النفس أبعد من الرياء ، وأقرب إلى الخشوع .



ما ذكر عن النساء
في سورة الحديد

١٧٠ — باب ما نزل في النور الساعى بين يدي المؤمنين والمؤمنات

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [١٢ - ١٣]

• قال تعالى في سورة الحديد : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ أى : نور التوحيد والطاعات ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ وذلك على الصراط يوم القيامة ، وهو دليلهم إلى الجنة ﴿بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لا يقدر قدره حق كأنه لا فوز غيره ولا اعتداد بجماسواه .
• ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أى : للوضع الذى أخذنا منه النور ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أى : اطلبوا هناك ، وقيل : مناه : ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوه بما التمسنا به من الإيمان والأعمال الصالحة ، وقيل : أرادوا به الظلمة تهكأ بهم ، والله أعلم .

* * *

١٧١ — باب ما نزل في الصديقين والصديقات

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [١٨]

قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ قرئ بالثاء وبعدها (١) ، فالأول من الصدقة ، والثانى من الصدق
﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو عبارة عن الإنفاق في سبيل الله مع خلوص نية ، وصحة قصد ، واحتساب أجر ﴿يَضْعَفُ لَهُمْ﴾ أى : ثوابهم ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة .

(١) البحر المحيط ٨ : ٢٢٢

—❦—

— ٣١٧ —

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْحَجِّ إِذْ

١٧٢ - باب ما نزل في الطهارة وكفارتها

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 خَبِيرٌ كَمَا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ . الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
 أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمُّهُنَّمْ إِلَّا النِّسْيُ وَلَدُنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا
 وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ . وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
 فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَهَيَّامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
 فَمَاطَمُ سِتَيْنِ مَكِينًا ﴾ [١ - ٤]

● قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي
 إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ خَبِيرٌ ﴾ قال المفسرون (١) : نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها
 أوس بن الصامت ، وكان به لم (٢) فاشتد به لمة ذات يوم فظاهر منها ، ثم ندس على
 ذلك ، وكان الظاهر طلاقاً في الجاهلية . وقيل : هي خولة بنت حكيم واسمها جميلة ،
 والاول أصح .

روى أن عمر بن الخطاب مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس
 حوله ، فاستوقفته ووعظته ، فقيل له : أتعف لهذه المجوز هذا الموقف ؟ فقال :
 أتدرون من هذه المجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع
 سموات ، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (٣) .

وقد أخرج ابن ماجه والحاكم ومصححه والبيهقي وغيرهم ، عن عائشة قالت : تبارك
 الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويمخى على بعضه وهي
 تشككي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي تقول : يا رسول الله ،
 أكل شيائي ، وثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني ، اللهم

(١) القرطبي ج ٨ الثب ٦٤٤٧ . (٢) اللم : طرف من الجنون يلم بالإنسان .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨ .

إني أشكو إليك ، قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات .

وأخرج أحمد وأبو داود وابن النذر والطبراني والبيهقي من طريق يوسف ابن عبد الله قال: حدثني خولة بنت ثعلبة قالت : في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، فدخل على يوماً فراجته بشيء فغضب ، فقال : أنت على كظهر أمي ، ثم رجع مجلس في نادى قومه ساعة ثم دخل على ، فإذا هو يرادوني عن نفسي ، قلت : كلا والذي نفس خولة بيده ، لا تصل إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فما برحت حتى نزل القرآن ، فتشنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتفشاه ثم سرى عنه فقال لي : « يا خولة^(١) ، قد أنزل الله فيك ، وفي صاحبك ، ثم قرأ على » : « قد سمع » . إلى قوله : « عذاب أليم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مريه فليمتق رقبة » قلت : يا رسول الله ، ما عنده ما يمتق ، قال : « فليصم شهرين متتابعين » قلت : والله إنه لشبيخ كبير ما به من صيام ، قال : « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً^(٢) من تمر » قلت : والله ماذا عنده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأنا سأعيته بـ بريق من تمر » فقلت : وأنا يا رسول الله سأعيته بآخر ، قال : « قد أصبت وأحسنت ، فاذهي وصدق به ، ثم استوصي بأبن عمك خيراً » قالت : ففعلت . وفي الباب أحاديث^(٣) .

● ﴿ الذين يظاهرون ﴾ الظهار : شرعاً ؛ أن يقول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي وأنت مني أو مني أو عندي كظهر أمي ، ولا خلاف في كون هذا ظهاراً ، فإن قال: كظهر أبتى أو أختى ونحوها من ذوات المحرم ، فذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه ظهار ، وقال قوم : بل يختص الظهار بالأم وحدها . والظاهر أنه إذا قصد بذلك — ويقوله أنت على كراس أمي أو يدها أو رجلها ، أو نحو ذلك — للظهار ، كان ظهاراً .

(١) الحر الثور ٢٧٩:٦ ، أسباب النزول ٢٣١ ، وانظر من هذا الكتاب .

(٢) الوسق بالفتح : ستون صاعاً ، والصاح من المسكيل

(٣) الرق : بفتح الهمزة وكسر الراء ، الزنيل ، انظر تفسير الرسول ١ : ١٧٠ مع اختلاف الرواية . وفيه الرق ستون صاعاً ، انظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٩ .

• ﴿ منكم من نسأهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولهنهم ﴾ وللرضعات ماحقات بهن بواسطة الرضاع ، وكذا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زيادة حرمتهن ، وأما الزوجات فأبعد شيء عن الأمومة .

• ﴿ وإنهم ليقولون منكراً من القول ونوراً وإن الله لعفو غفور ﴾ إذ جعل الكفارة عليهم غلصة لهم من هذا للكذب .

• ﴿ والذين يظاهرون من نسأهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ اختلف^(١) في تفسير المود على أقوال : فقيل : هو العزم على الوطء ، وقيل : هو الوطء نفسه ، وقيل : هو تكرير الظهار بلفظه ، وقيل : هو المود إليه بالنقض والرفع والإزالة ، وإلى هذا الاختلاف ذهب أكثر المجتهدين ، وقيل : هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار ، وقيل : أنتم فيرجعون إلى الآلة .

• ﴿ تحرير رقبة من قبل أن يتأسا ﴾ التماس هنا : الجماع ، فلا يجوز له الوطء حتى تكفر . قال ابن عباس : آتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني ظاهرت من امرأتى ثم رأيت بياض خليفاتها في ضوء القمر فوقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم يقل الله من قبل أن يتأسا » قال : قد فعلت يا رسول الله . قال : « أمسك عنها حتى تكفر »^(٢) . وأخرج نحوه أهل السنن والحساكم والبيهقي عنه .

• ثم قال تعالى : ﴿ فمن لم يجد ﴾ الرقبة في ملكه ولا تمكن من قيمتها ﴿ فصيام شهرين متتابعين ﴾ لا يفطر فيها ، فإن أفطر استأنف إن كان لنفسه عذر ، وإن كان لعذر مرض أو سفر فينبى ولا يستأنف^(٣) .

• ﴿ من قبل أن يتأسا ﴾ فلا وطأ ليلاً ونهاراً حمداً ، أو خطأ ، استأنف .

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٤٥٠ - ٦٤٥١ .

(٢) الدر اللثور للسيوطي : ٦ : ١٨٢ .

(٣) « يستأنف : أى : يبدأ الصيام لشهرين كاملين متتابعين من جديد . » وبيى :
أى : يكمل على ما سانه إلى تمام الشهرين .

● ثم من لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مدان وها نصف صاع ،
وبه قال أبو حنيفة ، وقيل : مد واحد ، وبه قال الشافعي ؛ والظاهر من الآية أن
يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة ، أو يدفع إليهم ما يشبعهم ، ولا يلزمه أن يجمعهم
مرة واحدة ؛ بل يجوز له أن يطعم بعض الستين في يوم وبعضهم في يوم آخر (١) .

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم ،
عن سلمة بن صخر الأنصاري قال : (٢) كنت رجلاً قد أوتيت من جماع النساء ما لم
يؤت غيره ، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ، فرقاً من
أن أصيب منها في ليل فأتابع في ذلك ولا أستطيع أن أتزع حتى يدركني الصبح ،
فبينما همى تخدمني ذات ليلة إذا انكشف لي منها شيء فوثبت عليها ، فلما أصبحت
غدوت على قومي فأخبرتهم خبري ، فقلت : انطلقوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروه بأمرى ، فقالوا لا والله لا نفعل ، نخوف أن ينزل فينا القرآن ، أو
يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبق علينا عارها ، ولكن اذهب أنت
فاصنع ما بدا لك . قال فخرجت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري ،
فقال : « أنت بذاك » قلت : أنا بذاك ، قال : « أنت بذاك » قلت : « أنا بذاك » ، قال :
« أنت بذاك » قلت : أنا بذاك ؛ وها أنا ذا فامض في حكم الله ، فإني صابر لذلك ،
قال : « اعتق رقبة » فضربت عنق يدي وقلت : لا وإلدي بشك بالحق ما أصبحت
أملك غيرها ، قال : « فصم شهرين متتابعين » قلت : هل أصابي ما أصابي إلا في
الصيام ، قال : « فأطعم ستين مسكيناً » قلت : واللدي بشك بالحق لقد بقنا ليلتنا هذه
وحشاً ما لنا عشاء ، قال : « اذهب إلي صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك
فأطعم عنك منها سقاً ستين مسكيناً ثم استمن بسأرها عليك وطى عيالك » فرجعت
إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، وجدت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم التمسك والبركة ، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي فدفعوها إليه .

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٤٥٦ - ٦٤٥٧ ، وانظر ثيل المرام ٥١٦ .
(٢) تفسير الوصول ٤ : ٢٨٢ ، الفرق : الحرف ، وحاشا : أى : جاحين .

مَا نَزَلَ عَنْ نِسَاءٍ

فِي سُورَةِ الْمُنْتَحَنَةِ

١٧٣ - باب ما نزل في امتحان المهاجرات المؤمنات وثكابين

﴿يَتَّيِبُنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَهُنَّ مِمَّا انْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُنْكَرُوا بَعْضَ الْكَوْافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ﴾ [١٠]

﴿وَأِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَانْكَحُوا ۚ﴾
الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ۚ﴾ [١١].

● قال تعالى في سورة المتحة : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ﴾ من بين الكفار ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريناً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين ، فلما هاجر إليه النساء أبي الله أن يردهن إلى المشركين ، وأمر بامتحانهن فقال : ﴿ فامتحانوهن ﴾ بالخلف هل هن مسلمات حقيقة أم لا ؟ وفي سبب النزول روايات في الصحيحين وغيرهما (١).

وكانت أم كلثوم (٢) بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عاتق (٣) ، فجاء أهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل . رواه البخاري عن السور بن غزوة .

قيل : « الامتحان » أن تقول بالخلف : ماخرجت إلا بحب الله ورسوله ، ماخرجت لاتماس دنيا ، ومن بض نوج . وقيل : أن تشهد بالكلمة الطيبة ، والأكثر على

(١) أسباب النزول : ٢٤١ - ٢٤٢ (٢) ضمير ابن كثير : ٣٥٠ .

(٣) الشافعية : أول ما نكح ، وقيل هي التي لم تكن من والدها ولم تنزع

دخول النساء في الهدنة ، فتكون الآية غصصة لذلك العهد ، وعلى القول بعدم الدخول
لانسحق ولا تخصيص .

• ﴿ الله أعلم بما آمنن فإن علمتموهن مؤمنات ﴾ بحسب الظاهر بعد الامتناع
﴿ فلا ترجمونهن إلى الكفار ﴾ أى : إلى أزواجهن الكافرين .

• ﴿ لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ فيه دليل على أن المؤمنة لا تحمل لكافر ،
وأن إسلام المرأة يوجب فرقها من زوجها ، لا مجرد هجرتها .

• ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ أى : عليهم من المهور . ﴿ ولا جناح عليكم أن
تنكحوهن ﴾ بعد انقضاء المدة ﴿ إذا آتيتوهن أجورهن ﴾ قال أبو حنيفة : المهر : أجر
البضع ، فلاعدة على المهاجرة ، والأول أولى .

• ﴿ ولا تمسكوا بهن الكوافر ﴾ جمع عصمة ، والمراد هنا : عصمة عقد النكاح ،
« والكوافر » جمع كافرة ؛ وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بها مرتدة ، أى :
لا يمكن بينكم وبينهن عصمة ولا علة زوجية ، وهذا خاص بالكوافر المشتركات دون
الكوافر من أهل الكتاب ، وقيل : عامة .

• ﴿ وأسألوا ما أنفقتم ﴾ أى : اطلبوا مهور نساءكم اللاحقات بالكفار عن تزوجها
﴿ وليسألوا ما أنفقوا ﴾ من مهور نساءهم للمهاجرات عن تزوجها .. إلى قوله تعالى :
﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار ﴾ مما دفعتم إليه من مهور النساء السليات
﴿ فعاقبت ﴾ أى : أصبتموهن فى القتال بسقوبة ، وقيل : غنتم ﴿ فأتوا الذين ذهب
أزواجهن مثل ما أنفقوا ﴾ من مهر المهاجرة التى تزوجها ودفوه إلى الكفار ، ولا
تؤتوهن زوجها الكافر سواء كانت الردة قبل الدخول أو بعده ، قيل : هذه الآية
منسوخة بعد الفتح ، وقيل : غير منسوخة (١) .

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٥٤٩ .

١٧٤ - باب ما نزل في مبايعة النساء وأركانها

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْعًا وَلَا يَتَزَوَّجْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ۚ﴾ [١٢]

● قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ على الإسلام .

أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية إلى قوله : « غفور رحيم » ، فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد بايعتك » كلاماً ، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط من المبايعات ، ما بايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك » (١) .

● ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ هذا كان يوم فتح مكة أتين مبايعة ﴿ولا يسرقن ولا يزنيْنَ ولا يقتلن أولادهن﴾ كما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات ﴿ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن﴾ أى : لا يلحقن بأزواجهن ولداً ليس منهن ؛ قال ابن عباس (٢) : كانت الحرة تولد لها الجارية فتجمل مكانها غلاماً .

● ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ أى : في كل ما هو طاعة لله وإحسان إلى الناس ، وكل ما نهى عنه الشرع . قال القاتلان : عني «بالمرء» : النهي عن النوح ، وتمزيق الثياب ، وجز الشعر ، وشق الجيوب ، وخش الوجوه ، والدعاء بالويل (٣) . ومعنى القرآن أوسع مما قالوا .

أخرج أحمد والترمذي وصححه واللساني وابن ماجه عن أمية بنت رقيقة قالت : ثبتت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعة ، فأخذ عليهما ما في القرآن : «أن لا تشرك بالله شيئاً ..» حتى بلغ : «ولا يعصينك في معروف» فقال : «فما استطعتن

(١) تيمم الوصول ١ : ١٧٢ مع اختلاف في الرواية ، وصحيح البخارى ٧ : ٦٤

(٢) تفسير ابن كثير ٤ : ٣٥٤ بالنبي

(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٣٥٥

وأطلقنا » فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، يا رسول الله ألا تصالحنا ؟ قال :
« إني لا أصالح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة » وفي الباب
أحاديث (١) .

● (فيايهم) أى : ألزم لمن ما وعدتهن به علي ذلك من إعطاء الثواب في نظير
ما ألزمن أنفسهن من الطاعات ، فهي مبايعة لنفوية . قال ابن الجوزى : وجملة من
أحصى من المبايعات إذ ذاك أربعمائة وسبع وخمسون امرأة . ولم يصالح في البيعة
امرأة ، وإنما يايهم بالكلام بهذه الآية .

وهذه هي البيعة الثالثة بالسنة في دين الإسلام ، فمن أنكرها فقد أنكر القرآن ،
والأمر للوجوب عند الطلب منهن ، وهكذا ثبت ذلك في الرجال . وهي على أنواع :
بيعة الجهاد ، وبيعة ترك الحوَال ، وبيعة قبول الإسلام ، وبيعة عدم الفرار من
الزحف ، وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مائة ألف وأربعة وعشرون
نفساً كلهم من المبايعين .

وبيعة الصوفية اليوم إذا وافقت إحدى صور البيعة المأثورة فهي السنة ، وإذا
خالفت فأتين هذا من ذلك .



ما ذكر عن النساء
في سورة البقرة

١٧٥ - باب ما نزل في عداوة الزوجات والأولاد للأزواج

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾ [١٤ - ١٥]

● قال تعالى في سورة التناين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ يُدْخِلُ فِيهِ الذِّكْرَ وَالْإُنْثَىٰ ﴿ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ يعني: أنهم يملكونكم ويشغلونكم عن الخير وعن طاعة الله، أو يخاضعونكم في أمر الدين والدنيا.

● ﴿فاحذروهم﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير. قال مجاهد (١): ما علموهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن يمنعوا لهم الحرام فأعطوهم إياه. ﴿وَإِنْ تَسْلَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن ابن عباس قال (٢) هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتيوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يأتيوا النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين، فهموا بأن يعاقبوهم، فأنزل الله هذه الآية. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

● ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء واختبار، وشغل عن الآخرة، وعنة، يملكونكم على كسب الحرام وتناوله، ومنع حق الله، والوقوع في المظالم، وعصب مال النير، وأكل الباطل، ونحو ذلك؛ فلا تطيعوهم في معصية الله.

(١) القرطبي ج ٨ : الضب ٦٦٢١

(٢) أسباب النزول : ٢٤٥ ، وانظر القرطبي ج ٨ : الضب ٦٦٢٠

وعن بريدة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يختلط ، فأقبل الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويمثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ؛ واحداً من ذا الشق ، وواحداً من ذا الشق ، ثم صعد المنبر فقال : « صدق الله العظيم ؛ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ؛ إني لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويمثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما » (١) . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه ، وابن مردويه وابن أبي شيبة .



(١) الدر المنثور للسيوطي : ٦ : ٢٢٨ ، وفي الأصل «عن أبي بريدة» والصواب : عن بريدة .
واقتر القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٢٢ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقَهُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَنَاحَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۝ ١٠ ﴾ [٢-١]

● قال تعالى في سورة الطلاق : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقَهُمُ النِّسَاءَ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع تعظيماً له ، أو خطاب له ولأمته (١) .

● ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ المراد «بالنساء» : الدخول بين ذوات الأقراء ، وأما غير الدخول بين فلا عدة عليهن بالكلية ، وأما ذوات الأشهر فسبأى ذكرهن في قوله : «وَاللَّائِي يَرْتَمِنَ» والمعنى : مستقبلات لعدتهن ، أو في قُبُل عدتهن ، أو لِقُبُل عدتهن ، أو لزمان عدتهن ، وهو : الطهر (٢) .
وعن ابن مسعود قال (٣) : من أراد أن يطلق للسنة كما أمره الله فليطلقها طاهراً في غير جماع . وعن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعظَّم قال : «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم يخيض ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسا تلك العدة لقى أمر الله أن تطلق لها النساء» (٤) ، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية . أخرجه الشيخان وغيرهما ، وفي الباب أحاديث .

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٢٧

(٢) نيل المرام : ٥٣٤

(٣) انظر القرطبي ج ٨ الشعب : ٦٦٣٠

(٤) أسباب النزول : ٧٤٥ ، تيسير الوصول ٢ : ٣٧٦ ، وانظر القرطبي ج ٨ الشعب : ٦٦٣٠ .

● ﴿ وأحصوا المدة ﴾ أى : اخطووها ؛ واحفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق حتى تَبْم المدة وهى : ثلاثة قروء مستقبليات كوامل لا نقصان فيهن ، والخطاب للأزواج لنفقة النساء ، وقيل : للزوجات ، وقيل : للمسلمين عامة . والاول أولى ؛ لأن الضأر كلها لهم ، ولكن الزوجات داخلات فى هذا الخطاب بالإلحاق بالأزواج ؛ لأن الزوج يحصى المدة ليراجع وينفق ، أو يقطع ويسكن ، أو يخرج ويلحق نفسه ، أو يقطع ؛ وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة^(١) . وقيل : أمر بإحصاء المدة لتفريق الطلاق على الأقراء^(٢) إذا أراد أن يطلق ثلاثاً ، وقيل : للمسلم بقاء زمان الرجعة ، ومراعاة أمر النفقة والسكنى .

● ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ فى تطويل المدة عليهن والإصرار بهن .

● ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ﴾ أى : التى كن فيها عند الطلاق مادمن فى المدة ﴿ ولا تخرجن ﴾ من تلك البيوت مادمن فى المدة إلا لأمر ضرورى ، قال أبو السمود : ولو بإذن من الأزواج ؛ فإن الإذن بالخروج فى حكم الإخراج . وقال الخطيب : لأن فى المدة حقاً لله تعالى فلا يسقط بإراضيهما . وهذا كله عند عدم المذر ، أما إذا كان لمذر ، كسراء من ليس لها على المأفوق نفقة فيجوز لها الخروج نهأراً ، وإذا خرجت من غير عذر فلها مصى ولا تلتقض عدتها .

● ﴿ إلا بأن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ هى : الزنا ، وذلك أن تزنى فتخرج لإقامة الحد عليها ، ثم ترد إلى منزلها ، وقيل : هى البذاء فى اللسان ، والاستطالة بها على من هو ساكن معها فى ذلك البيت . قال ابن عباس : فإذا بذأت عليهم بلسانها فقد حل لهم إخراجها لموء خلقها^(٣) .

● ﴿ وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ خلافاً لما فعله المتعدى ، قال أهل التفسير : أراد « بالأمر » هنا : الرغبة فى الرجعة^(٤) . وللمعنى : التحريض على الطلاق الواحد أو المرتين ، والتهنى عن الثلاث ، فلا يجد إلى المراجعة سبيلاً .

وعن عمار بن دثار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحل

(١) القرطبي ج الشعب : ٦٦٤٣ (٢) البحر المحيط ٨ : ٢٨٢ .

(٣) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٣٥ (٤) تميم ابن كثير ٤ : ٣٧٨

الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق». أخرجه أبو داود مرسل^(١).

وروى الترمذي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق»^(٢) ورواه أبو داود وابن ماجه موصولاً، وصححه الحاكم وغيره، ورواه أبو داود الطيالسي والبيهقي مرسلين عن عارب بن دثار، ورجح أبو حاتم والدارقطني إرساله.

وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهزئ منه المرء» رواه ابن عدى في الكامل بإسناد ضعيف، بل قيل: موضوع. ورواه الخطيب أيضاً مرفوعاً وفي سنده ضعف. وفي الباب أحاديث غالبها ضعيف.

● ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: قاربن انتضاء أجل المدة وشارفن آخرها ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي: راجعوهن بحسن معاشرة، وإتفاق مناسب، ورغبة فيهن، من غير قصد إلى مضارة لمن يطلق آخر ﴿أو فارقهن﴾ أي: أتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن نفوسهن مع إيفائهن بما هو لمن عليكم من الحقوق، وترك للمضارة لمن بالفعل والقول.

● ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ وهذه شهادة على الرجة، وقيل: على الطلاق، وقيل: عليهما؛ قطعاً للتنازع وحسماً لمادة الخصومة. والأمر للندب، وقيل: للوجوب؛ وبه قال الشافعي^(٣).

● ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ بأن يأتوا بما شهدوا به تحريماً إلى الله.

(٢٤١) تيسير الوصول : ٢ : ٣٧٩ .

(٢) القرطبي ج ٨ الشعب ٥٦٣٦ - ٦٦٣٧ ، نيل المرام ٥٢٧ .

﴿وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ . [٤]

● قال تعالى : ﴿واللاتي يسنن من المحيض من نسائك﴾ وهن الكبار اللواتي قد انقطع حيضهن وأيسن منه ﴿إن ارتبتم﴾ أى : شككم وجهلتم كيف عدتهن ؟ وما قدرها ؟ فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿فإذا كانت هذه عدة للرتاب بها ، فقير للرتاب بها أولى بذلك .

● ﴿واللاتي لم يحضن﴾ لسنهرهن وعدم بلوغهن سن الحيض ، أو لانهن لا يحضن أصلاً وإن كن بالغات ؛ فعدتهن ثلاثة أشهر أيضاً .

● ﴿وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ أى : انتهاء عدتهن بوضع الحمل ، وظاهر الآية : أن عدة الحوامل بالوضع ، سواء كن مطلقات ، أو متوفى عنهن . أزواجهن ، وعموماً باق ؛ فهي خصصة لآية «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ»^(١) ، أى : ما لم يكن حوامل .

وعن أبى [بن] كعب فى الآية قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أهى المطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها ؟ قال : «هى المطلقة ثلاثاً والمتوفى عنها»^(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند وأبو يعلى وغيرهما . وفى الصحيحين من حديث أم سلمة « أن سبيعة توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة غطيت فأناكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(٣) . وفى الباب أحاديث .

* * *

(١) البقرة : ٢٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ : ٣٨٢ والزيادة منه ، وفيه «المطلقة .. والمتوفى» .

(٣) صحيح البخارى ٦ : ١٩٤ .

١٧٨ - باب ما نزل في سكنى المطلقات ونفقتهم وإرضاعهن الولد

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَامَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَىٰ لَيْسَ فِيْ ذٰلِكَ جُنَاحٌ عَلَىٰ مَنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [٦ - ٧]

● قال تعالى : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ أى : يجب للنساء المطلقات وغيرهن من المرافقات من السكنى ﴿ من وجدكم ﴾ أى : من ستمكم وملكتمكم . وذهب مالك والثاوى إلى أن المطلقة ثلاثاً سكنى ولا نفقة لها^(١) . وذهب نيمان وأصحابه إلى أن لها النفقة والسكنى^(٢) . وذهب أحمد إلى أنه لا نفقة ولا سكنى^(٣) ، وهذا هو الحق كما قرره في نيل الأوطار^(٤) .

● ﴿ ولا تضاروهن لتضييقا عليهن ﴾ نهام سبحانه عن مضارتهن بالتضييق عليهن في السكنى والنفقة ، وقال أبو النجوى : هو أن يطلقها فإذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها^(٥) .

● ﴿ وإن كن ﴾ أى : المطلقات الرجويات ، أو البائئات ؛ دون المواملات للتوفى عنهن ﴿ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ أى : إلى غاية هي : بوضهن الحمل ، ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ، فأما الحامل المتوفى عنها زوجها ؛ فقيل : ينفق عليها من جميع المال حتى تضع ، وقيل :

(١-٣) القرطبي ج ٨ الشعب : ٦٦٤٦

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٧ : ١٠٨

(٥) القرطبي ج ٨ الشعب : ٦٦٤٧

لا ينفق عليها إلا من نصيبها^(١)، وبه قال الأئمة الثلاثة غير أحمد؛ وهو الحق، للأدلة الواردة في ذلك من السنة للطهارة.

● ﴿فإن أرضن لكم﴾ أولادكم بعد ذلك ﴿فأنوهن أجورهن﴾ أى: أجور إرضاعهن.

● ﴿واتنوهن ينسكن بمعروف﴾ خطاب للأزواج والزوجات أى: بما هو متعارف بين الناس غير منسكركم عندهم ﴿وإن تمارستم﴾ فى حق الولد وأجر الرضاع فأبى الزوج أن يطفى الأم الأجر، وأبى الأم أن ترضعه إلا بما تريد من الأجر ﴿فسترضع له أخرى﴾ أى: يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده، ولا يجب عليه أن يسلم ما يطلبه الزوجة، ولا يجوز له أن يكرهها على الإرضاع بما يريد من الأجر^(٢).

● ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله﴾ من الرزق، ليس عليه غير ذلك، وتقديرها بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره، ولا اعتبار بحالها، فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس، وهو ظاهر هذا النظم القرآنى، فجعل الاعتبار بالزوج فى السر واليسر، ولأن الاعتبار بحالها يؤدى إلى الحسومة؛ لأن الزوج يدعى أنها تطلب فوق كفايتها، وهى تزعم أنها تطلب قدر كفايتها، فقددت قطعاً للخصومة، والتقدير للذكور مسلم فى نفقة الزوجة ونفقة للطلقة، إذا كانت رجعية مطلقاً، أو بائناً حاملاً.

● ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ من الرزق فلا يكلف الفقير أن ينفق ما ليس فى وسعه، بل عليه ما يبلغ إليه طاقته.

● ﴿سيعجل الله بعد عسر يسراً﴾ قال أهل التفسير: وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الآية، ففتح عليهم جزيرة العرب، ثم فارس والروم، حتى صاروا أغنى الناس، وصدق الآية دائماً؛ غير أن فى الصحابة أئمة؛ لأن إيمانهم أقوى من غيرهم.



(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٤٧

(٢) نيل اللام: ٥٤٢

مَا ذَكَرْنَا لِنِسَاءٍ
فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ

١٧٩ - باب ما نزل في تحريم المرأة الحلال

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١]

● قال تعالى في سورة التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي : لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضى الخلق ، بل الاثاق أن أزواجك وسائر الخلق تسمى في رضاك ، وتتفرغ أنت لما يوحى إليك من ربك .

قال أكثر المفسرين : كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة ، فزارت أهلها ، فلما رجعت أصبحت مارية القبطية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تدخل حتى خرجت مارية ، ثم دخلت ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة التيرة والكآبة ، قال لها : « لا تخبري عائشة ذلك علي إلا أفرها أبداً » فأخبرت حفصة عائشة ، وكانتا متصافيتين ، فنضبت عائشة ، ولم تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف ألا يقرب مارية ، فأُنزل الله هذه السورة (١) . وقيل : نزلت في تحريم العسل حين قالت له عائشة وحفصة : إنا نجد منك ريح متاثير (٢) . وقيل : هي سودة شرب عندها من العسل ، وقيل : هي أم سلمة ، وقيل : هي المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . والجمع ممكن بوقوع التقتين : قصة مارية ، وقصة العسل ، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً ، وفي كل واحد منهما أنه أمر الحديث إلى بعض أزواجه .

● ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك . وعن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : إني جعلت امرأتى على حراماً . فقال : كذبت ليست عليك بحرام . ثم تلا : ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ ، وقال : عليك أغلظ الكفارات : عتق رقبة (٣) .

* * *

- (١) أسباب النزول : ٢٤٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣٨٦ - ٣٨٧ .
(٢) وفي رواية « متاثير » ، انظر نيل المرام ص ٥٤٥ ، وانظر صحيح البخاري ٦ : ١٩٤ - ١٩٥ ، وانظر القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٥٦ - ٦٦٥٧ ، وفيه « المتاثير » : بقلة أو صفة متغيرة الرائحة ، فيها حلاوة ، وفي لسان العرب « المتاثير » لغة في « المتاثير » .
(٣) تفسير الواسع ٧ : ٣٧٥ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣٨٧ .

١٨٠ - باب ما نزل في إفشاء بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
سره وإخبار الله تعالى به

﴿وَإِذْ أَمَرُ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ..
إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ..
عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ
مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَكُنَّ لَهُنَّ صِغَاتٌ تُبَيِّنُ عَنْهُنَّ ذِيئَتُهُنَّ فَأَكْرَمَهُنَّ
[٥ - ٣]

● قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَمَرُ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ هي حفصة ، والحديث هو
تحريم مارية أو المصل ، وقيل : هو في إمارة أبي بكر وعمر^(١) ؛ والاولى وأصح .
● ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أي : أخبرت به غيرها علناً منها أن لا حرج في ذلك ، فهو
باجتهاد منها وهي مأجورة فيه ، وذلك لأن الاجتهاد جائز في عصره صلى الله عليه
وسلم على الصحيح كما في « جمع الجوامع » ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ وهو
تحريم مارية أو المصل ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ قال الحسن : ما استقصى كريم قط^(٢) ،
وقال سفيان : ما زال التنافل من فعل السكران ؛ قيل : هو حديث مارية ، وقيل :
هو أن أبا حفصة وأبا بكر يكونان خليفتين بعده ؛ وللفسرين هنا خاط وخطب .
● ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ أي : أخبرها بما أفشت من الحديث ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ
نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ خطاب لمائسة وحفصة^(٣) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ فهو الواجب

(١) القرطبي ج ٨ الثعب ٦٦٦٥ - ٦٦٦٦ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٢٨٦ - ٢٨٧

(٢) القرطبي ج ٨ : ٦٦٦٦

(٣) البخاري ٦ : ١٩٧ وانظر أسباب النزول ٢٤٨ .

﴿ فقد صفت قلوبكم ﴾ أى : زانغت وأثمت ﴿ وإن تظاهروا عليه ﴾ أى : تظاهدا وتماونا عليه بما يسوءه من الإفراط فى الفرية وإنشاء سره ، وقيل : كان التظاهر بين عائشة وحفصة فى التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم فى النفقة . ﴿ فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ قال بريدة . أى : أبوبكر وعمر ، وقيل : على ^(١) .

● ﴿ وللائسكة بعد ذلك ظهير . عسى وبه إن طلقـكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكهن ﴾ قيل : كل عسى فى القرآن واجب الوقوع إلا فى هذه الآية ^(٢) ، ثم نمت الأزواج بقوله :

﴿ مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات ساجدات ﴾ أى : صائمات ﴿ ثيبات وأبكاراً ﴾ أى : بعضهن كذا وبعضهن كذا ، و « الثيب » تمدح من جهة أنها أكثر نجربة وعقلاً وأسرع جبلاً غالباً . و « البكر » تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مدابة وملاعبة غالباً ، قال بريدة : فى الآية وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بالثيب : آسية ، وبالبكر : مريم ^(٣) .

* * *

١٨١ — باب ما نزل فى وقاية الزوجة من النار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ ۝ ٦ ﴾ [٦]

● قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ من النساء والولدان . وكل من يدخل فى هذا الاسم ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ أى : اجباوها وقاية بالناسى به صلى الله عليه وسلم فى ترك الماصى ومنل الطاعات .

* * *

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٦٨

(٢) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٧٢

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٦ : ٢٤٤

١٨٢ - باب ما نزل في امرأتين كافرتين

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ [١٠]

● قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح ﴾ اسمها « واهلة »
وقيل : « واهلة » (١) ، ﴿ وامرأة لوط ﴾ واسمها « واهلة » وقيل : « والمة » (٢)
﴿ كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ، ولوط عليهما السلام ، أى :
كانتا فى عصمة نكاحهما ﴿ فغائتاها ﴾ أى : وقتت منهما الخيانة لهما ، أما خيانة
امرأة نوح ، فكانت تقول للناس : إنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط ؛ فكانت
بدلائها على الضيف ، وقيل : بالسكفر ، وقيل : بالنفاق ، وقيل : بالجميمة . وقد
وقت الأدلة الإجماعية على أنه ما زلت امرأة نبي قط (٣) .

● ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ﴾ أى : لم ينفعهما نوح ، ولوط بسبب
كونهما زوجتين لهما شيئاً من النفع ، ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما
على الله وبنوتهما شيئاً من الدفع ؛ وفيه تنبيه على أن المذاب يدفع بالطاعة
لا بالوسيلة . ﴿ وقيل ﴾ أى : يقال لهما فى الآخرة أو عند موتهما ﴿ ادخلا النار مع
الداخلين ﴾ أى : من أهل الكفر والمعاصي .

قال يحيى بن سلام (٤) : ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من
المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه ؛ وما أحسن ما قال ، فإن
ذكر امرأتى النبيين بعد ذكر قصتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد أتم
إرشاد ، ويوضح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين ، وبيان
أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فإن ذلك لا يبنى عنهما من الله
شيئاً ، وقد عصهما الله سبحانه من ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة
الصحيحة الخالصة .

* * *

(٢٤١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٨٠

(٤٤٢) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٨١

١٨٣ — باب ما نزل في امرأتين مؤمنتين

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ
أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ .. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَفَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ
مِنْ رُوحِنَا وَصَلَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنَّ بِنْتَيْنِ ﴾ [١١-١٢]

● قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ هي « آسية » بنت
مزاحم ، وكانت ذات فراصة صافقة ، آمنت بموسى عليه السلام ؛ فضدبها فرعون
بالأوتاد الأربعة (١) ؛ أى : جعل الله حالها مثلاً لحال المؤمنين ترغيباً لهم في الثبات على
الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة ، وأن وصلة الكفر لا تضرهم كالم تضر
امراة فرعون ؛ وقد كانت تحت أكثر الكافرين ، وصارت يؤمنها بالله في جنات
النعم ، وفيه دليل على أن وصلة الكفر لا تضر مع الإيمان .

● ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ أى :
من ذاته الخبيثة وشركه ، وما يصدر عنه من أعمال الشر ، وقال ابن عباس : من عمله
يعنى : جماعه . وعن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس ، فإذا انصرفوا
عنها أغلقتها للملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة (٢) .

● ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ قال السكاكي : هم أهل مصر (٣) ، وقال مقاتل :
هم القبط (٤) . ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته وقبض الله روحها . قال الحسن
وابن كيسان : نجاه الله أكرم نجاه ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتضرب (٥) . وفيه
دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ، ومسألة الخلاص منه عند المحن
والتواكل من سبب الصالحين والصالحات ، وديدن المؤمنين والمؤمنات بيوم الدين .
وعن أبي هريرة : أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها ، وجعل على

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٨١ - ٦٦٨٢

(٢-٥) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٨٢

صدرها رحي ، واستقبل بها عين الشمس ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : « رب ابن لي » الآية .

● ﴿ ومريم ابنة عمران ﴾ مثل المؤمنين بامراتين ؛ كما مثل حال الكفار بامراتين ، والمقصود من ذكرها أن الله سبحانه جمع لها بين كرامتي الدنيا والآخرة ، واصطفاهما على نساء العالمين مع كونها بين قوم كافرين ﴿ التي أحصنت ﴾ أى : حفظت ﴿ فرجها ﴾ عن الفواحش والرجال ، فلم يصل إليها رجل لا ينسكح . ولا بزنا ، قال المفسرون : المراد بالفرج هنا الجيب ^(١) ﴿ فننفخنا فيه من روحنا ﴾ المخلوقة لنا ، وذلك أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها ، أى : طوق قبضها ، فحفلت بميسى عقب النفخ ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ يعنى : بشرائه التي شرعها الله لمبادءه ، وقيل : بميسى ؛ لأنه كلمة الله ، وقيل : صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره . ﴿ وكتبه ﴾ المنزلة على الأنبياء كإبراهيم وموسى وابنها عيسى (وكانت من القانتين) أى : من القوم للطيحين لربهم ، وقيل : من المصلين .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة مرعون مع مخلص الله علينا من خبرها في القرآن » . أخرجه أحمد والطبراني والحاكم ^(٢) .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل من الرجال كثير ، ولم يكل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ^(٣) .



(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٦٨٢

(٢) الحاكم : المستدرک ٣ : ١٨٥ مع بعض الاختلاف ، صحيح البخارى ٥ : ٤٧ وفيه « خير نساؤها مريم وخير نساؤها خديجة » .

(٣) صحيح البخارى ٥ : ٣٦٥ باختلاف في الرواية .

ما ذكر عن النساء
في سورة المعارج

١٨٤ — باب ما نزل في تقديرة المرأة عن نفس الرجل

﴿ ٠ ٠ يَوْمَذُ الْمَجْرِمُ لَوْ يَقْنَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيَوْمٍ بَيْنِي وَصَحْبِي بِهِ
وَأَخِيهِ ﴾ [١١ - ١٢]

● قال تعالى في سورة المارج: ﴿ يَوْمَذُ الْمَجْرِمُ ﴾ أى : الكافر ، أو كل من يذنب ذنباً يستحق به النار ﴿ لَوْ يَقْنَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيَوْمٍ ﴾ أى : العذاب الذى ابتلوا به ﴿ بَيْنِي وَصَحْبِي ﴾ أى : زوجته ﴿ وَأَخِيهِ ﴾ فإن هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه ، فلو قبل منه القداء لهدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب .

١٨٥ — باب ما نزل في التجاوز عن الزوجات إلى غيرهن

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [٢٩ - ٣١]

● قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من الإماء ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ على ترك الحفظ .

● ﴿ فَمَنْ ابْتَغَى ﴾ أى : طلب منسكحاً ﴿ وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ أى : غير الزوجات والمالوكات ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أى : للتجاوز عن الحلال إلى الحرام . وهذه الآية تدل على تحريم المتعة واللواط والزنا ووطء البهائم والاستمناء بالكسف ، وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة المؤمنين^(١) .

—•••••—

(١) انظر ص ١٧٤ من هذا الكتاب .

ما ذكر عن النساء
في سورة نوح

١٨٦ — باب ما نزل في الدعاء للوالدين والمؤمنين والمؤمنات

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [٢٨]

● قال تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكاننا
مؤمنين ، وأبوه «لامك» أو «ملك» بفتحين ، وأمه «شمخي» بوزن سكرى^(١) ؛
بلغ أنوش ، وقال سميد بن جبير : أراد بوالديه : أباه وجده^(٢) .

● ﴿ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾ يعني : مسجده ، وقيل : منزله الذي هو ساكن
فيه ، وقيل : سفينته ، وقيل : دينه^(٣) ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أي : واغفر لكل
متصف بالإيمان من الذكور والإناث ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ أي : هلاكاً
وخيراً أنا ودماراً .



(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٧٩٢

(٢،٣) القرطبي ج ٨ الشعب ٦٧٩٣

مَا زَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ

فِي بَيِّنَةِ الْقِيَمَةِ

١٨٧ - باب ما نزل في خلق المرأة من المني

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ : أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ
عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمُوَيِّقِينَ ﴾ [٣٩ - ٤٠]

- قال تعالى في سورة القيامة : ﴿ فجعل منه ﴾ أى : من الإنسان ، وقيل : من المني ﴿ الزوجين ﴾ أى : الصندين^(١) ، قال السكري . أى : لاختصاص الفردين ، وإلا فقد حمل للمرأة بذكرين وأنثى وبالعكس ، ثم بين ذلك فقال : ﴿ الذكر والأنثى ﴾ أى : الرجل والمرأة ، فتارة يجتمعان ، وتارة أخرى يتفرد كل منهما عن الآخر .
- ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يخفف للوني ﴾ أى : يبيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا ، فإن الإعادة أهون من الابتداء وأيسر مشونة منه .

—❦—

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ عَبَسَ

١٨٨ - باب مازل في الفرار من صاحبة وغيرها يوم القيامة

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَحْبَتِهِ
وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٣٤ - ٣٧]

● قال تعالى في سورة عبس : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه .
وبنيه ﴾ أى : لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه ، قيل : أول من يفر
من أخيه (١) : قاييل ، ومن أبويه : إبراهيم ، ومن صاحبه : لوط ، ومن ابنه :
نوح (٢) ؛ والعموم أولى .

● ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أى : لكل إنسان يوم القيامة
شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم .



(١) كذا في الأصل وفي الفرطحي ج ٨ الشعب ٢٠١٦ ، وإن كان مقتضى السياق والتشديد

أن الذى يفر هو هابيل .

(٢) الفرطحي ج ٨ الشعب ٢٠١٦

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ التَّكْوِيْنِ

(وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ : بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [٨ - ٩]

● قال تعالى في سورة التكاوير : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ : بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ثلاث باى ذنب قتلت كانت العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية ، عذابة المار والمأجدة والإملاق ، وخشية الاسترقاق . وتوجيه السؤال إليها لإظهار كمال النبط على قاتلها ، حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك . وفيه تذكير لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب ، وهذه الطريقة أنفع في ظهور جناية القاتل وإثراء الحجج عليه ، وقيل : لتقول : بلا ذنب قتلت ، وعلى هذا فهو سؤال تطف .

وفي الآية دليل على أن أطفال الشرك لا يعذبون ، وعلى أن التمثيل لا يكون بلا ذنب . وعن عمر بن الخطاب قال : جاء قيس بن عاصم التيمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني وأدت ثمانى بنات لى فى الجاهلية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعتق عن كل واحدة رقبة » ^(١) قال : إنى صاحب إبل ، قال : « فأهد عن كل واحدة بدنة » أخرجه البزار والحاكم فى السكتى والبيهقى فى سننه .

—•••••—

(١) السنن ٨ : ١١٦ وفيه « عن كل واحدة نسمة » .

مَا ذَكَرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْبُرُوجِ

١٩٠ - باب ما نزل في فتنة المؤمنين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [١٠]

• قال تعالى في سورة البروج : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى :
حرقوهم بالنار في الأخدود ، وقال الرازى : يحتمل أن يكون المراد : كل من فعل
ذلك ، قال : وهذا أولى ؛ لأن اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك الظاهر من غير
دليل ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ من قبح صنهم ولم يرجعوا عن كفرهم وقتلتهم ﴿ فَلَهُمْ ﴾ في
الآخرة ﴿ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ بسبب كفرهم ﴿ وَلَهُمْ ﴾ عذاب آخر وهو ﴿ عَذَابُ
الْحَرِيقِ ﴾ قال مقاتل : ومفهوم الآية أنهم لو تابوا أخرجوا من هذا الوعيد .



ما ذكر عن النساء
في سورة الطارق

١٩١ - باب ما نزل في خلق الولد من منى الوالد والوالدة

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَسَبَ خُلُقٍ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)
[٨ - ٥]

● قال تعالى في سورة الطارق : ﴿ فلينظر الإنسان نَسَبَ خُلُقٍ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ . وهو المنى ، والدفق : السب ، أرباب سبعائه ماء الرجل والمرأة ؛ لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جمعهما ماء واحداً لامتزاجهما ، ثم وصف هذا الماء فقال :

● ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ أى : صلب الرجل وترائب المرأة ، « والترائب » : جمع تريبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، والولد لا يكون إلا من المائتين ، وقيل : الترائب : مابين الثديين ، قال الضحاك : ترائب المرأة : اليدين والرجلان والمينان ، وقيل : هى الحيد ، وقيل : هى مابين للثكبين والصدر ، وقيل : الصدر ، وقيل : التراقي ، وقيل : عصاره القلب . والمشهور فى اللغة . أنها عظام الصدر والنحر^(١) ، وقيل : إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ، ولا يخالف ما فى الآية ؛ لأنه إذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب ، وقيل : إن الذى يخرج من جميع أجزاء البدن ، ولا يخالف الآية كذلك ، لأن نسبة خروجه إلى مابين الصلب والترائب باهتار أن أكثر أجزاء البدن هى الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقها مما يكون تنزله منها . قال ابن عادل : إن الولد يخلق من ماء الرجل فيخرج من صلبه العظم والعصب ، ومن ماء المرأة فيخرج من ترائبها اللحم والدم^(٢) .

● ﴿ إنه على رجهه لقادر ﴾ أى : على إعادته بعد الموت بالبعث .

—•••••—

(١) القرطبي ج ٨ الشعب ٧٠٩٥

(٢) القرطبي ج ٨ الشعب ٧٠٩٦

مَا نَزَّلْنَا عَنْكِ النَّسَاءَ

فِي سُورَةِ الْبَنَاتِ

١٩٢ — باب منازل في خلق الآتى ومسألة الخنى

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ﴾ [١-٣]

● قال تعالى في سورة الليل : ﴿والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكور والأنثى﴾ قيل : آدم وحواء ، والظاهر العموم .

قال المحقق^(١) : والخنى للشكل عندنا معلوم عند الله تعالى ذكرأ أو أنثى ، فيبحث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرأ ولا أنثى . انتهى . وعبارة الخطيب : وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل ؛ معلوم بالذكورة أو الأنوثة . انتهى . وقال الكرخي : يبحث بتكليمه ؛ لأن الله لم يخلق من ذوى الأرواح من ليس ذكرأ ولا أنثى ، والخنى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا ، خلافاً لأبى الفضل الممداني فيما حكام وجهاً أنه نوع ثالث ، ويدفعه قوله تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا ثَمَابٌ وَنَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ﴾ (٢) ونحو ذلك قاله الإسفندي .



(١) تفسير الجلالين ٢ : ٣٧٤ .

(٢) الشورى : ٤٩ .

مَا ذَكَرْنَا عَنِ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ بَيْتٍ

١٩٣ - باب ما نزل في المرأة التامة وهي زوجة أبي لهب

﴿ سَبَّحْنَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ ﴾ [٥ - ٣]

● قال تعالى في سورة تبت : ﴿ سَبَّحْنَىٰ نَارًا ﴾ أى : أبو لهب بنفسه النار ، ويحترق بها ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ اشتعال وتوقد ، وهى : نار جهنم .

● ﴿ وامراته حمالة الحطب ﴾ أى : وتصل امرأته أيضاً ، وهى ^(١) : أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ، وكانت عوراء ، تحمل النضال والشوك والسعدان فطرحها بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم . كذا قال جماعة ، وقال قوم : إنها كانت تمشى بالتيمة بين الناس ، والمرب تقول : فلان يحطب على فلان إذا تم به ، وقيل : مناه : أنها حمالة الحطايا والذنوب ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ ^(٢) ، وقيل : حمالة الحطب في النار ، وقيل : حمالة الحطب : نقالة الحديد ^(٣) .

● ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ الحيد : المنق ، والسد : الليف الذى تقتل منه الحبال . قال الضحاك وغيره : هذا في الدنيا كانت تمرى النبي صلى الله عليه وسلم بالفقراء ، وهى تحتطب في جبل تجعله في عنقها ، خفقتها الله به فأهلكها ، وهو في الآخرة جبل من النار ^(٤) ، وقيل : غير ذلك .

—•••••—

(١) تفسير ابن كثير ٤ : ٥٦٥

(٢) الأنعام : ٢٦ .

(٣) القرطبي ج ٨ الشعب ٧٣٢٩ - ٧٣٣٠

(٤) القرطبي ج ٨ الشعب ٧٣٣١

مَا تَذَكَّرْنَا عَنْ النِّسَاءِ
فِي سُورَةِ الْفَلَقِ

١٩٤ - باب منازل في الاستمادة من النساء النفائات

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [٤]

● قال تعالى في سورة الفلق : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ هن السواحر ، أى : وأعوذ برب الفلق من شر النفوس النفائات ، أو النساء النفائات . « والنفت » : النفع ، كان يفعل ذلك من ريق ويسحر ، قيل : مع ريق . وهو دليل على بطلان قول المنزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره . و « العقد » : جمع عقدة ، وذلك أنهم كن ينقثن في عقد الخيوط حين يسحرون بها . قال أبو عبيدة : النفائات : هن بنات لبيد ابن الأعصم اليهودى ؛ سحرن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) . وأخرج الساقى وابن مردويه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من عقد عقدة ثم نكث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك » ، ومن تعلق بشيء وكل إليه ^(٢) .



هذا آخر آيات الكتاب المميز الواردة في النساء ؛ المتعلقة بهن : في أمر دينهن ، ودنياهن مما له أيسر مناسبة بهن ، والإضافة تصح بأدنى ملازمة ، وقد اقتصرنا في بيان معانيها وشرح مبانيها على أوجز كلام ، وأحلت بسطها لمن يريد الوقوف عليها على تفسير فتح البيان ، فإنه تكفل ببيان مقاصد القرآن ، وما ذكرته هنا هو منجزة مافية من تفسير هذه الآيات ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

انتهى الكتاب الأول من حسن الأسوة فيما يتعلق من آيات
الكتاب المميز بالنسوة ويليه الكتاب الثانى فيما ورد بهن
من أحاديث السنة الطاهرة

(١) تفسير ابن كثير ٤ : ٥٧٤ ، وانظر القرطبى ج ٨ الشعب ٧٣٤٣ ونهبا «سحره يهودى من بنى زريق ، يقال له : لبيد بن الأعصم . . . ولم أجده في كتاب جاز القرآن لأبى عبيدة .

(٢) تفسير الوصول ٢ : ٩٨ .

